الفصل الثاني

الحركات الإسلامية

obeikandl.com

الانتفاضات الثورية الإسلامية
فى أفغانستان

الحملات الإلحادية والإباحية:

كانت الحملات الإباحية الغربية، والإلحادية الماركسية التى شنت على **أفغانستان** هى التى حدت بالشعب الأفغانى المتدين إلى القيام بالدفاع عن دينه وعقيدته الإسلامية. وفى الحقيقة أن هذه الهجمات العدوانية لم تكن هجوما على **أفغانستان** فحسب، ولكنها بالإضافة إلى ذلك كانت نيلا من الإسلام وأهله فى بلاد الأفغان، إنها كانت خطة مرسومة تعاونت فى تنفيذها الشيوعية فى الشرق الشيوعى، والإباحية فى الغرب الإباحى أيام كان الإنجليز يحكمون البلاد الهندية الباكستانية البنغالية، وما استقطعوه من البلاد الأفغانية. ثم تحولت الخطة المرسومة ضد الأفغان إلى معركة بين الإسلام والشيوعية عندما انسحب الإنجليز ورحلوا عن الهند. فقد خاض الشعب الأفغانى هذه المعارك ضد الإباحية والإلحادية قديما وحديثا كالتى نراها اليوم تدور رحاها الآن على الأرض الأفغانية بين المسلمين الأفغانيين وبين الشيوعيين الملحدين. وقد حافظ المسلمون فى هذه المعارك على هيبة الإسلام وجلاله، وعلى هيبة الأفغان وعظمتهم الإسلامية، وعلى أصالتهم التاريخية العريقة فى القدم.

obeikandl.com

والحملات الإباحية والهجمات الشيوعية الإلحادية التى شنت على **أفغانستان** متنوعة ومتعددة من حيث الزمان والمكان، ومن حيث الأغراض والأهداف من الناحيتين الدينية والسياسية.

إن الصراع بين الإسلام والإلحاد، وبين الإسلام والإباحية هو إحدى ظواهر المجتمع الأفغانى، وأحد عوامل جهاده ونضاله، وهو بالتالى أحد أسباب التدمير والتخريب العمرانى فى **أفغانستان**، وفى الوقت نفسه أحد أسباب تنشيط عقيدة الجهاد فيها. والجهاد الإسلامي هو الذى يدفع بدم الحياة فى شرايين الحياة الأفغانية، وهو الذى يدفع الإنسان الأفغانى المسلم دفعا شديدا إلى الوقوف أمام كل أنواع الوعيد والتهديد والترهيب، وأمام كل المحاولات اليائسة للقضاء على حياته الإسلامية. سواء كان ذلك بقوة السلاح المدمر. أو بالخدع بالشعارات البراقة، والعبارات الرنانة والوعود الكاذبة. والجماهير الأفغانية تثور ضد كل ذلك ثورة عارمة إلى درجة التطاحن والتلاحم، وتهدأ باختفاء تلك المظاهر العدوانية الماركسية والإباحية. وظاهرة الثورة والإثارة أمر طبيعى فى المجتمع الأفغانى المسلم الشديد التدين، فيها يعلو صوت المؤمنين الصادقين على صوت الكافرين الملحدين، وتشتد وطأته على من يريد النيل من عقيدته ووطنه من المنافقين المرجفين فى جنبات الوطن، الذين باعوا وطنهم بثمن بخس، ومن المعتدين الآثمين الملحدين الذين جاءوا واعتدوا على حرمة الإسلام فى هذا الوطن، وعلى كرامة الإنسان المسلم فى هذا الوطن.

ودور الجماهير المسلمة فى الصراعات التى دارت على الأرض الأفغانية على مر العصور أهم وأبرز وأكثر تأثيرا من دور الحكومات والأحزاب الأفغانية وإن كنا لا ننكر دورها المؤثر إلا أنها تخضع أحيانا لضغوط سياسية وعسكرية خارجة عن إرادتها السياسية، وقدرتها العسكرية لوقوعها بين فكى كماشة القوتين الأعظم، كان الإنجليز فى الهند يشكلون تهديدا مستمرا للحكومات والجماهير الأفغانية، وكان الروس فى الشمال يشكلون تهديداً خطيرا وبصفة دائمة ومستمرة وبصورة خطيرة بالغة الخطورة. ولكى نلم بالنضال الجهادى بشئ من الشمولية والتفصيل علينا أن نرجع إلى الوراء، إلى عصر داعية الوحدة الإسلامية **السيد جمال الدين الأفغانى**، ذلك العصر الذى ظهرت فيه ملامح جهاد الشعب الأفغانى ضد كل أنواع الاستبداد والظلم، وضد الحكام الذين كانوا يلعبون بعقول الناس، ولا يقدرون للشعب جهاده الإسلامى، وقد أهدروا بذلك قيمة الإنسان فى جهاده. ومن ذلك التاريخ بدأ صوت العلماء يرتفع عاليا يعلن قتال المستبدين والكافرين لإزالة هذا الظلم عن البلاد والعباد، وفيما يأتى بعض الصور الرائعة من تلك المعارك الجهادية التى جرت فوق الأرض الأفغانية، وما قامت فيها الجماهير الأفغانية من الأدوار بقيادة زعمائها من رجال العلم والدين ضد كل أنواع الانحراف والاستبداد والظلم من داخل البلاد، وضد كل أنواع التدخلات العسكرية والسياسية وألوانها من خارج البلاد، ونبدأ ذلك بتقديم صورة من النموذج الجهادى من الإقليم الذى ينتمى إليه السيد جمال الدين الأفغانى بانى الحركة الجهادية لأجل الوحدة الإسلامية..

انتفاضة عام ١٨٤٦م (١٢٦٢هـ) الإسلامية:

وادى " تكاو " فى ولاية " كابيسا " من الوديان والأقاليم المشهورة بتدين الأهالى فيها وبشدة غيرتهم على الدين والعقيدة، وهؤلاء الناس فى وادى " تكاو " الشهير ينتمون إلى القبائل الأفغانية التى تشتهر باسم " الصافى " الشديدة المراس فى تحمل المشاق فى الحرب والسلام. ثارت قبائل " الصافى " فى وادى " تكاو " سنة ١٨٤٦م (١٢٦٢هـ) ضد الانحرافات التى كانت الحكومة الأفغانية تقوم بها أيام الأمير دوست محمد خان حاكم **أفغانستان** القوى المقتدر آنذاك، وقد قاد انتفاضة ١٨٤٦م (١٢٦٢هـ) هذه عدد من العلماء ورجال الدين منهم الشيخ القائد معاذ الله خان، والشيخ الزعيم جانان خان، والشيخ المجاهد فتح خان، وكلهم من رجال الدين العلماء. وكان الأمير الأفغانى دوست محمد خان قد أظهر شيئا من الميل والتودد نحو الإنجليز، وألقى إليهم بشيء يسير من المودة تحت ضغوط سياسية وعسكرية تعرض لها الأمير لإرغامه على قبول مطالبهم السياسية فى **أفغانستان** وبالأخص فى السياسة الخارجية. وقد استشهد هؤلاء الشيوخ العلماء فى المعارك التى دارت بين القبائل الصافية وبين جيش الأمير دوست محمد خان بقيادة ابنه الوزير محمد أكبر خان. وذلك قبل أن يلتحق السيد جمال الدين الأفغانى بالبلاط الأميرى فى كابل بأحد عشر عاما.

إن القبائل الصافية فى وادى " تكاو " وكوهستان، وأهالى بنجشير وكوهدامن وأهالى المناطق المحيطة بتلك الأقاليم لهم تاريخ مجيد فى الجهاد الإسلامى فى **أفغانستان**، وكان للعالم الفاضل عبد الحى البنجشيرى يد طولى فى نجدة حركة

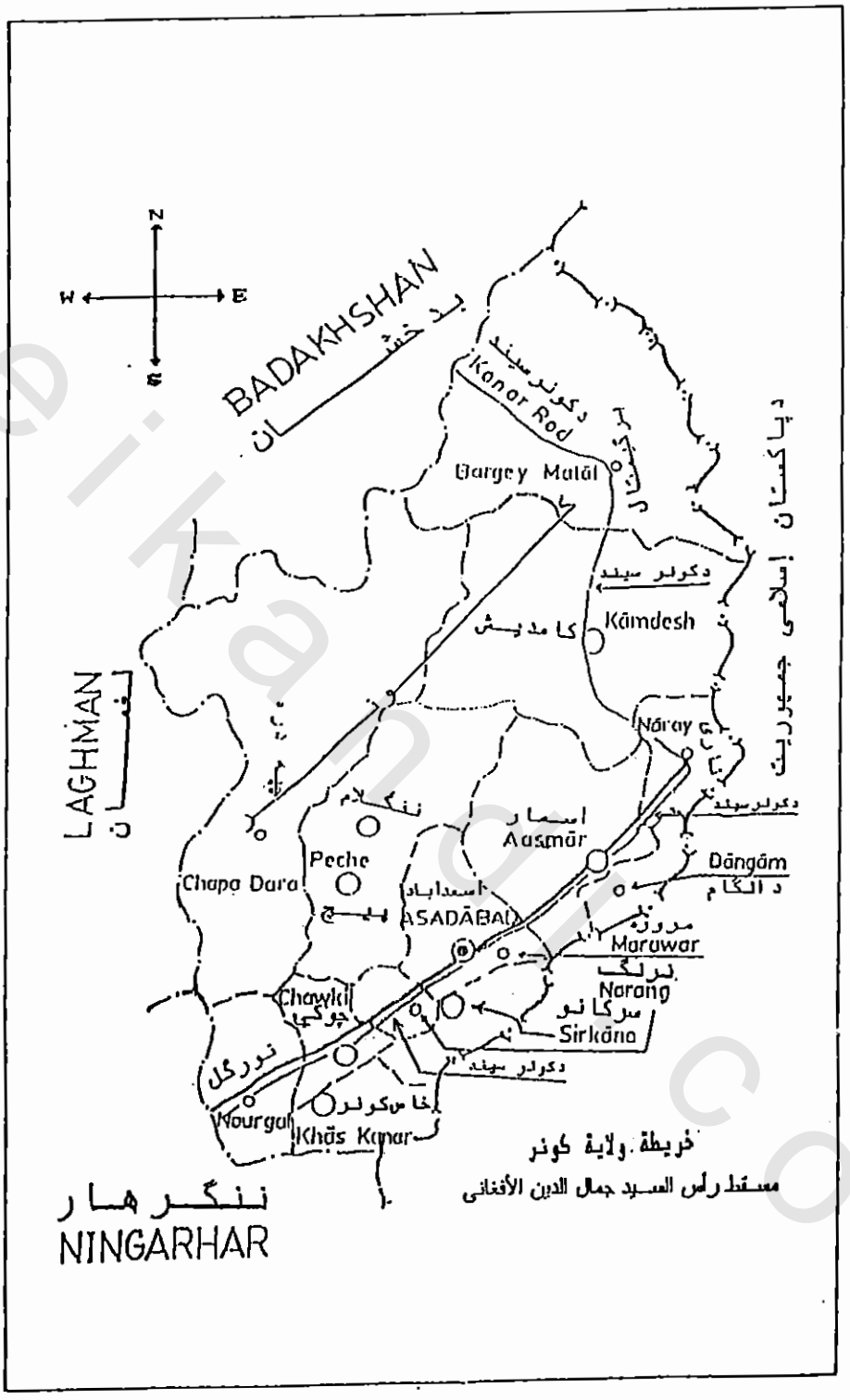
N
W
E
S
BADAKHSHAN
بدخشان
Kanar Rod
دکونر سیند
Dargey Malāl
دکونر سیند
Kāmdesh
کامدیش
LAGHMAN
لغمان
Nāray
دیاکستان اسلامی جمهوریت
دکونر سیند
Dāngām
دانگام
اسمار
Aasmār
نگلام
Peche
Chapa Dara
اسعدآباد
ASADĀBAD
مروزه
Maruwar
نرنگ
Narang
Chawki
چوکی
سرکانو
Sirkāna
دکونر سیند
نورگل
Nourgal
خاص کونر
Khās Kanar
خریطة ولاية كونر
مستقطر راس السيد جمال الدين الأفغاني
ننگرهار
NINGARHAR

أنور باشا الذى بدأها بالكفاح ضد الروس فى فرغانه وبخارى وتاجكستان بعد سقوط الخلافة العثمانية الإسلامية فى تركيا، فقد توجهت جموع حاشدة من شعوب هذه الأقاليم إلى شمال **أفغانستان** لمساعدة أنور باشا فى جهاده ونضاله ضد الشيوعيين الروس الذين استولوا على بخارى وطردوا ملك بخارى إلى **أفغانستان**. وقد استشهد فى تلك المعارك الإسلامية والد الشيخ عبد الحى البنجشيرى مع عدد كبير من المجاهدين دفاعا عن الإسلام والعقيدة.

انتفاضة عام ١٨٥٧م (١٢٧٣هـ) الإسلامية:

وفى سنة ١٨٥٧م (١٢٧٣هـ) ظهر فى بلاط الأمير دوست محمد خان فى كابل العاصمة الثائر المصلح السيد جمال الدين الأفغانى، جاء هذا المصلح الثائر من المحيط الإسلامى الصغير إلى الميحط الإسلامى الكبير، جاء من وادى " كونر " الثائر، ذلك الإقليم الذى أشعل الشرارة الأولى للثورة الإسلامية المقدسة ضد الشيوعية الباغية الطاغية فى بلاد الأفغان فى العصر الحاضر، خرج من دائرة أضيق إلى دائرة أوسع، وهما بضيقهما وسعتهما تشتركان فى كونهما من الدوائر الإسلامية وذلك ليسير على هذا الدرب الإسلامى إلى منتهاه بادئا من سفوح جبال " هندوكش " و " تخت سليمان " محلقا فى أرجاء العالم الإسلامى، حاملا دعوته الإسلامية إلى الوحدة الإسلامية، طالبا طرد الإنجليز من جميع بلاد الشرق. جاء هذا المصلح إلى العاصمة كابل من إقليم " كونر " مسقط رأسه فى **أفغانستان** الشرقية، حاملا فكرا ثوريا وهاجا فى إطار برنامج ثورى إصلاحى شامل وعميق، وكان الأمير دوست محمد خان منصرفا بكامل قواه إلى المؤامرات التى كان

الإنجليز والروس يثيرونها ضده وضد الشعب الأفغانى فلم يتمكن من الالتفات إلى هذا الثائر الآتى من شرق بلاده، وإلى برنامجه الثورى الإصلاحى الشامل ليس للأفغان فحسب بل للعالم الإسلامى كله. والسيد جمال الدين الأفغانى الذى ولد فى " أسعد آباد " بإقليم " كونر " سنة ١٨٣٨م (١٢٥٣هـ) أحد قادة حركات التحرير فى العالم عامة، وأحد أبرز وأقدم مؤسسى الحركة الإسلامية فى **أفغانستان** بخاصة، وبوصوله إلى البلاط الأميرى زاد قوة ونشاطا، حيث لعب دورا كبيرا فى تحريك الحركة الإسلامية والسياسية فى البلاد الأفغانية بإتخاذه العاصمة كابل مقرا له ولنشاطه بدلا من " كونر " مسقط رأسه حتى أيام الأمير شير على خان، إلا أن الاضطرابات التى صادفتها البلاد صارت عقبة فى طريقه وبالتالى لم تمكن دعوته الإصلاحية أن تثمر وتأتى بأكلها وثمارها ناضجة حيث كان الأمراء الأفغان يحاولون جاهدين إقرار السلام فى البلاد، وإنقاذها من الحروب الداخلية المدمرة. وفى ذلك يقول السيد جمال الدين الأفغانى: " إنى إضطررت لترك بلادى الأفغانية مضطربة تتلاعب بها الأهواء والأغراض... " ومن هنا، وانطلاقا من أرضية الحركة الإسلامية غادر الأفغانى بلاده الأفغانية لتنفيذ منهاجه الإسلامى فى البلاد الإسلامية الفسيحة الأرجاء، وترك وراءه حركة يتردد صداها حتى الآن فى جنبات جبال " هندوكش " و " تخت سليمان ". وفيما يأتى بعض من تولى أمر الحركة الإسلامية، أو أمر حركة الجهاد الإسلامى فى **أفغانستان** الوطن الكبير المسلم المجاهد الذى فرض عليه الجهاد فرضا حتى أصبح ظاهرة من ظواهر الحياة عند الأفغانيين ومن أشهر هؤلاء المجاهدين..

أولا - زعماء أسرة السيد الأفغانى:

إن زعماء أسرة السيد جمال الدين الأفغانى كانوا من أبرز الناس فى ميادين العلم والأدب والسيف والقلم وفى مجال السياسة والتدبير بجانب شهرتهم فى الحرب والجهاد فى سبيل الله والوطن، وكانوا يساهمون بعلمهم ونضالهم فى إثارة الحركات الإسلامية والوطنية فى **أفغانستان**، وفيما جاورها من البلاد، لقد عاش رجال هذه الأسرة الكريمة فى إقليم " كونر " الذى دارت على أرضه معارك ضارية ضد الغزاة الطغاة ابتداء من معارك الإسكندر التاريخية وحتى العصر الحاضر أيام الاحتلال الروسى الغاشم **لأفغانستان** حيث كان أول إقليم اندلعت فيه انتفاضة الجهاد الإسلامى ضد الاحتلال الروسى وضد أعوانه الأفغان الذين باعوا بلادهم للشيطان الروسى. وهذه الحياة النضالية والأدبية كان لها تأثيرها فى حياة كل رجال هذه الأسرة، وهى نقطة تحول أخرى فى حياة السيد الأفغانى نفسه. ولأسرة السيد الأفغانى خمسة مراكز رئيسية بالإضافة إلى قرى ومدن أخرى منتشرة فى جميع أنحاء الإقليم، يعيش فيها أشراف كونر وساداتها من أسرة السيد الأفغانى العريقة، وهذه المراكز هى:

١- بلدة "إسلام بور ":

" إسلام بور " اسم بلدة جميلة، ومعناها " مدينة الإسلام " وتقع مدينة الإسلام هذه على شاطئ نهر كونر عند مدخل الوادى على يمين المتجه إلى حاضرة الولاية " أسعد آباد " وقلاعها الحصينة المسورة ما زالت شامخة شموخ أهلها. ونفوذ

سادات هذا المركز " إسلام بور " يسيطر على قبائل " الصافى " فى وادى " مزار " و " ديوكل " وعلى غيرها من القبائل المنتشرة فى المنطقة على جانبى النهر.

٢- مدينة " نرهنك ":

و " نرهنك " اسم مدينة كبيرة، ومعناها " قبيلة الشهامة " وهى المركز الثانى من مراكز أسرة السيد الأفغانى الشهيرة، ونراها رابضة فى وسط الوادى فى أحضان النهر، على يمين الذاهب والمتجه إلى مدينة " أسعد آباد " الحاضرة الإقليمية تداعبها رمال النهر الذهبية الذى يتجه من الشمال إلى الجنوب فى وسط الوادى فى رحلة الوصول إلى ممر خيبر باب الهند. وفى مقابل مدينة " قبيلة الشهامة - نرهنك " على الجانب الآخر من النهر تربض بلدة " بشد " التى يسكنها فرع آخر من سادات كونر وأشرافها من الأسرة الكبيرة التى ينتمى إليها السيد الأفغانى. ونفوذ أشراف " نرهنك " ينتشر بين قبائل " الصافى " فى وادى " باديل " و " ديوكل " وعلى غيرها من القبائل الأفغانية على جانبى النهر، وداخل الوديان فى إقليم كونر.

٣- قرية " دوشاخيل ":

" دوشاخيل " قرية كبيرة تقع على شاطئ نهر " بيج " أحد روافد نهر كونر الرئيسية، ومعنى هذا الاسم " قبيلة السادات " وقرية " دوشاخيل " مركز ثالث من مراكز أشراف كونر وساداتها من أسرة السيد الأفغانى الشهيرة، وتقع بجوار مدينة " أسعد آباد " الحاضرة الإقليمية، وهذا المركز هو الذى يلتجئ إليه أفراد قبائل

" الصافى " فى وادى " بيج " وغيرهم من القبائل النورستانية لحل المنازعات القبلية والمشاكل الاجتماعية.

٤- بلدة " شين كولك - شين كورك ":

وبلدة " شين كولك - شين كورك - الطوفان الأخضر " مركز رابع من مراكز الأشراف فى كونر، وتقع بين الحاضرة الإقليمية " أسعد آباد " وبين القاعدة العسكرية " أسمار "، وسادات " الطوفان الأخضر " يقومون بحل المشاكل القبلية والمنازعات الاجتماعية بين القبائل الصافية، والشينوارية، والمشوانية المنتشرة فى وديان " بيج " و " شيكل " و " أسمار ".

٥- قرية " شال - الرداء ":

وهى مركز خامس من المركز التى يتجمع فيه أفراد أسرة السيد الأفغانى فى أعالى إقليم كونر بالقرب من مقاطعة " دير " ومهمة سادات " الرداء - شال " هو القيام بحل منازعات القبائل الأفغانية المختلفة التى تقطن هذه المناطق فى أعالى وادى " كونر " الجميل.

وكان زعماء أسرة السيد الأفغانى المنتشرة فى وادى كونر الجميل بأسفله وأوسطه وأعاليه يقودون الحملات الهجومية الإسلامية ضد الجيوش البريطانية التى كانت تتمركز على الحدود بين **أفغانستان** والهند البريطانية. إن الهتافات الحماسية، والصرخات المدوية التى كان المجاهدون يرفعونها تلبية لنداءات زعماء السادات الجهادية مازال يتردد صداها ووقعها الجميل بين جنبات وادى كونر، وذلك عندما

أعلنوا الجهاد الإسلامى المقدس ضد الحكومة الإنجليزية التى صممت على شق طريق فى منطقة " المومند " من مناطق القبائل الأفغانية الحرة، وإخضاعها بالقوة. حقا إنها ذكريات جهادية بطولية تمثل النضال البطولى الشعبى لحشود بشرية تتجه نحو الحدود بقيادة هؤلاء العلماء من السادات للاشتراك فى حرب ضد الإنجليز وضد أعوانهم من الهنود بقلوب صلبة لا تهزها أصوات المدافع ولا أزيز الطائرات دفاعا عن دين الآباء والأجداد، إن فكرة الجهاد كانت قوية فى قلوبهم وأفكارهم بكل معانيها وقيمها الوطنية المستوحاة من المبادئ الإسلامية، إنهم وجدوا فى ذلك معينا لا ينضب، وعزة تمنحهم كبرياء فى الجهاد، والتفرد فى النضال، والاستقلال فى الوطن، والحرية فى كل شئ من هذا الوطن. إنهم وغيرهم من العلماء ورجال الدين والمدرسين فى المدارس الدينية الأهلية كانوا شعلة مشحونة بالنور فى الجهاد، وبالنار على الكفار.

ثانيا - دور الزعماء والعلماء والشيوخ:

يأتى بعد ذلك دور زملائه فى الدرب والسائرين على نهجه فى تحريك الحركة الإسلامية الجهادية ودفعها إلى الأمام فى البلاد الأفغانية وفيما جاورها من البلاد المحيطة بمنازل الأفغان. فمن الناحية العلمية ظهر فى هذه البيئة الإسلامية المشتركة علماء جيدون فى علوم التفسير والحديث والفقه الإسلامى والمنطق وفى غيرها من العلوم الإسلامية من أمثال القاضى مبارك، والعالم الفاضل حمد الله، والكاتب المؤلف محمود الجونفورى، والمنطقى القدير عبد الحكيم السيالكوتى، والمحدث العظيم الشاه نعمة الله الدهلوى. هذا من الناحية العلمية الإسلامية، أما فى ميدان

الجهاد والنضال فمن رفاق دربه فى الحركة الإسلامية النضالية المزوجة والمكوَنَةِ من العلم والتفقه والتصوف والحرب فى الميدان، الشيخ الفاضل نجم الدين خان المرشد العالم والصوفى الواصل فى مدينة " هده " بالقرب من مدينة " جلال آباد " فى شرق **أفغانستان**، وصديق السيد الأفغانى المناضل صديق حسن خان وكان من معاصريه، والشيخ عبد الغفور خان الشهير بأخنزاده السواتى، والعالم والملا الفاضل محمد دين خان الملقب ".بمسك العالم " الأندرى فى غزنه، والشيخ عبد القادر خان الغزنوى، والشيخ محمد جان خان الموسهى، والشيخ جل محمد خان الأندرى، ومحمد عثمان خان صافى من وادى " تكاو " وأخوه محمد شاه خان صافى، ولعل محمد خان لعلبورى من إقليم " ننجرهار " ومحمد أفضل خان الصافى، ومحمد موسى خان الصافى، وعبد الكريم خان الأندرى، ومحمد أكبر خان لعلبورى، وغيرهم من المجاهدين الأفغان الذين كانوا من أبرز ممن ساهم فى تحريك الحركة الإسلامية بالعلم والفضل بالقلم والجهاد وبالنضال والكفاح المسلح فى **أفغانستان** بعد مغادرة السيد جمال الدين الأفغانى لها مجاهدا لنشر دعوته الإسلامية فى الآفاق ﴿**فليقاتل فى سبيل ا لله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، ومن يقاتل فى سبيل ا لله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً**﴾.

هكذا كان الأفغانى، وهكذا كانت أسرته الكريمة، وهكذا كان هؤلاء المجاهدون من العلماء والشيوخ ورجال الدين والزعماء والمدرسين قوة عسكرية وسياسة واجتماعية أقضت مضاجع الغرب الإنجليزى والشرق الروسى، وحافظت على الوطن وعقيدته ودينه وحريته، وأخرت غزوهما لوطن الأفغان، وبالتالى لعالم الإسلام، فهذا الجدار العسكرى الذى مثله الأفغان بقيادة العلماء والسادات

ورجال الدين أمام الإنجليز والروس قد افتقر إلى المساندة الفعالة التى تدعمها وتطورها وترمم ما فى ثناياها من ثغرات الضعف المادى، و لم يجد الأفغان مثل هذه المساعدة لأن عالمنا الإسلامى ما زال غارقا فى أحلام القوميات الطائفية الإقليمية الضيقة، لا يفكر فى رد الغارات الشيوعية والإلحادية عن الدول الإسلامية التى تعرضت لها قديما، وتتعرض لها الآن، وما أشبه اليوم بالبارحة!؟

ترك الأفغانى أثره فى أمته تأثير التآخى والتآزر فى الوطنية والقومية لينصب كل ذلك من القوميات الإقليمية واللغوية فى قالب الجامعة الإسلامية بالتآزر والتآخى، وبالتعاون وبالتعاضد، وقد تحقق ذلك فى وطنه إلى قدر كبير، ولكن لم يتحقق شئ من ذلك فى الجامعة الإسلامية. بل نجد أكثر حكام المسلمين أكثر عداوة للتعاون بين المسلمين، وأكثر اضطهادا لمن يدعو إلى الجامعة الإسلامية.

انتفاضة عام ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ):

وفى عام ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ) كانت هناك أنتفاضة أخرى، لعلها لم تكن بعيدة كل البعد عن تأثير السيد الأفغانى الثورى فى بلده وفى قومه الأفغان. كان السيد الأفغانى فى الهند منفيا من مصر بعد أن طرد من استنبول (استانه) فى تركيا، وكانت الحكومة الإنجليزية فى الهند تقوم بنقله مسجونا بين بمباى وكلكتا عندما قامت الثورة العرابية فى مصر، وكان أحمد عرابى قائد الثورة من تلاميذ السيد الأفغانى، هذا صحيح، وصحيح أيضا أن الحكومة البريطانية كانت تراقب السيد الأفغانى بشدة نظرا لتلك الانتفاضة أو الانتفاضات والحركات الإسلامية التى كانت القبائل الأفغانية تقوم بها ضد الإنجليز، ومن تلك الحركات الجهادية

انتفاضة عام ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ) التى قامت بها القبائل الأفغانية بقيادة علمائها ورجال الدين فيها وشيوخها فى الأقاليم الشرقية من **أفغانستان**، كانت ثورة هذه القبائل والطوائف الأفغانية عارمة صارخة، وكانت تمثل استمرارية الحركة الإسلامية فى إطار الجهاد الإسلامى الذى دعا إليه السيد الأفغانى فى منهجه الإصلاحى الثورى، فقد قامت بها فصائل الجهاد المكونة من القبائل الأفريدية، والمهمندية، والصافية، والشينوارية والمشوانية فى كل من سوات، وبنير، وباجور، وتيرا، ومهمند، وخيبر، وغيرها من الأقاليم الأفغانية التى كان الإنجليز يسيطرون عليها ويحتلونها، أو يهددونها بالضرب والتدمير، ثم الاحتلال، وكانت جماعات رجال الدين والعلماء والشيوخ والزعماء، وأئمة المساجد، ومدرسى المدارس الإسلامية ورؤساء القبائل والعشائر تقوم بقيادة هذه الفصائل الجهادية، وتوجيهها وإثارتها بخطبهم فى المساجد، وبأحاديثهم فى الحشود، وبفتاواهم الدينية والشرعية الخاصة بالجهاد فى سبيل الله والدفاع عن الإسلام ووطنه الإسلامى، وليس ذلك فحسب، بل كان العلماء ورجال الدين وأهل التصوف المرشدون يشتركون فعلا وعملا وقولا فى الثورات الجهادية والهجمات الإسلامية، والغارات الدينية على مراكز الأعداء. ذلك لأن علماء الإسلام ليسوا كغيرهم من رجال الدين فى الشعوب والأمم الأخرى ينزوون فى المعابد والصوامع والكنائس والأديرة، ويقبعون فى الخلوات والفلوات والمغارات بل كانوا يشاركون مشاركة عملية فعالة فى الحياة الواقعية للمسلمين اجتماعية كانت أم سياسية، اقتصادية أم عسكرية، وذلك فى جميع الأقطار الإسلامية المختلفة فى الماضى البعيد والقريب، وفى العصر الحديث والحاضر على السواء. إن علماء الإسلام فى الأفغان قد قدموا

للجهاد الإسلامى، والحركة الإسلامية خدمات سنية، وتضحيات غالية، تحملوا فى ذلك والشعب الأفغانى كثيرا من المآسى والنكبات والبلايا التى قام أعداء الإسلام بصبها على رؤوس المسلمين فى البلاد الأفغانية كل ذلك رغبة فى الدفاع عن الدين والعقيدة والوطن فى الدنيا، وطمعا فى رضا الله وجناته الفسيحة يوم القيامة. ومما يدعو للسخرية أن بعض الكتاب يعتقدون أن علماء الإسلام وعلماء الدين فى **أفغانستان** لم يكن فى مقدورهم إدراك الأزمات السياسية التى كانت تتجمع وتتراكم فى البلاد الأفغانية، وبالتالى لم يكن فى مقدورهم أن يقوموا بأى عمل لمجابهة مثل تلك الأزمات. والجهاد السياسى والحربى الذى قام به العلماء ضد الاستعمار الإنجليزى، وضد التدخلات السياسية الروسية وضد الفساد فى الدوائر الحكومية فى البلاد لخير دليل، وأنصع برهان على يقظة العلماء ورجال الدين فى **أفغانستان**. غاية ما فى الأمر أن دور هؤلاء العلماء ورجال الدين كان دينيا وأهليا بقيادتهم الدينية، وبسياستهم الإسلامية لم يكن غرضهم وهدفهم من ذلك منصبا أو جاها، وأعداء الدين كما نعلم جميعا أكثر من أن يحصوا، وجماعات العلماء ورجال الدين قلة بالنسبة للأعداء، ورغم ذلك كان النصر دائما حليف المسلمين ﴿**وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولى المتقين**﴾.

كان علماء الإسلام ورجال الدين فى **أفغانستان** مقاتلين أشداء فى الحرب والقتال، قادة مخلصين فى الحياة السياسية والاجتماعية، وحراسا مرابطين فى السلم لحراسة الحدود وصد عدوان الأعداء، "رِباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها... "إنهم كانوا يتقدمون صفوف المجاهدين، وكانت لهم مراكز القيادة والريادة بين جماعات الجهاد الإسلامى فى مختلف أنحاء البلاد، منهم من نال

الشهادة، ومنهم من عاد وقام بقيادة الجماعات النضالية الإسلامية مرة تلو المرة في شجاعة نادرة، وفي صبر منقطع النظير، حتى روى بدمه ثرى **أفغانستان** المجاهدة. **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾**.

انتفاضة عام ١٨٧٩م (١٢٩٦هـ) :

بطل هذه الانتفاضة الجهادية الإسلامية في غزنه وزابلستان هو العالم الفاضل دين محمد خان الأندرى الذى يشتهر بلقب طيب جميل وهو " مسك العالم " والذى يشتهر بالحنكة والدهاء، وبالشجاعة والمضاء وبالعبقرية والذكاء، وهو عالم ديني، وقائد إسلامي، وشجاع أفغاني، وفدائى من الفدائيين في الإسلام. بينما كان السيد الأفغاني لا يزال يحارب الدهرية في الهند قام معاصره ورفيق دربه الشيخ " مسك العالم " بحركته الجهادية ضد الإنجليز، وضد أعوانهم سنة ١٨٧٩م (١٢٩٦هـ) كانت الحكومة الإنجليزية في الهند قد حددت إقامة السيد جمال الدين الأفغاني، وأرغمته على الإقامة الجبرية، ومنعته من التنقل بحرية بين المدن الهندية وذلك نظرا لما كان يجرى في البلاد الأفغانية والبلاد المصرية من الثورات والانتفاضات ضد الاستعمار الإنجليزى. قاد الشيخ " مسك العالم " الثورة الإسلامية ضد القوات الإنجليزية المحتلة في عام ١٨٧٩م (١٢٩٦هـ)، وكان رفيق دربه في ذلك الشيخ عبد الغفور خان، والشيخ محمد خان وغيرهما من العلماء، وذلك بعد أن قام الجيش الإنجليزى المحتل بالقبض على الأمير محمد يعقوب خان ونفيه إلى الهند، وقد بلغ عدد الحروب التى دارت بين الأفغان والإنجليز بعد مغادرة السيد الأفغاني **لأفغانستان** وحتى عام ١٨٧٩م (١٢٩٦هـ) وهو في الهند أكثر من

ثلاثين معركة باءت كلها بالفشل وإلحاق الهزيمة بالإنجليز، وكان العلماء الأفغان ورجال الدين يقودون هذه المعارك التى دارت بين الجانبين، وانتفاضة ١٨٧٩م (١٢٩٦هـ) واحدة من تلك المعارك وكان قائدها الشيخ العالم " مسك العالم " الذى كان يدير الجهاد الإسلامى فى إطار الحركة الإسلامية من داخل مدينة كابل العاصمة، وذلك بعد أن انتقل إليها ثقل الحركة الجهادية الأفغانية من مدينة غزنه نظرا للاحتلال البريطانى للعاصمة كابل. وقد قام الجيش الأفغانى الشعبى بقيادة الشيخ الفاضل " مسك العالم " الذى عينه المجاهدون قائدا للجيش الشعبى وحاكما عسكريا لمدينة كابل، بمحاصرة الجيش البريطانى بقيادة الجنرال رابرتس فى مدينة " شير بور= مدينة الأسد " وقد تمكن من إلحاق الهزيمة المنكرة بالجيش الإنجليزى المدجج بأحدث الأسلحة، وارتفعت أصداء النصر الأفغانى فى كابل وفيما يحيط بها من الجبال الشاهقة. وكان الجيش الشعبى الذى قاده الإمام العالم " مسك العالم " ورفاق دربه فى الجهاد، يرى الموت والشهادة فى ميدان الحرب والوغى أكبر الأمانى وأحلاها التى يحققها المؤمن فى هذه الحياة. وهذا من تأثير التربية الإسلامية التى غرزها العلماء ورجال الدين فى أذهان الشعب الأفغانى المسلم الشديد التدين.

والحركة العلمية الإسلامية ما زالت مستمرة فى البلاد الأفغانية، ويوجد الآن فى بلاد الأفغان أكثر من مائتين وخمسين ألف عالم من علماء الدين الإسلامى بالإضافة إلى خريجى كلية الشريعة بجامعة كابل، وخريجى قسم اللغة العربية بكلية الآداب، ومدرسى المواد الدينية فى المدارس الحكومية، ومدرسى المدارس الأهلية الدينية، ومدرسى الحلقات الدراسية فى المساجد، وخريجى الجامعات الإسلامية فى

مصر والمملكة العربية السعودية. إن كل هؤلاء العلماء والشيوخ الأتقياء هم القادة الدينيون والسياسيون الذين قادوا الشعب، وقاوموا فى الماضى والحاضر كل ألوان الفساد والإلحاد، كان الإباحيون والدهريون والشيوعيون يدعون إلى الفساد بكل ألوانه محاولين بذلك الوقوف عقبة فى طريق الحركات والانتفاضات والثورات الإسلامية ساعين بكل قواهم المادية والمعنوية، وبكل تأييد من أسيادهم الإنجليز والروس إلى ضرب هذه الحركة، والقضاء عليها بقوة، وطردها من الميدان العملى والحياة العملية بقوة أشد وأنكى، والعكس بالعكس، فقد تنادى علماء الإسلام فى بلاد الأفغان، وأعلنوا الحرب المقدسة ضد المد الروسى والإنجليزى وضد تآمرهم بقوة عقيدتهم وبسلاح إيمانهم القوى الراسخ فى النفوس النقية، وبقوة إيمانهم بحقهم فى الحرية والاستقلال فى وطنهم الأفغانى الكبير، وكانوا بحق حراس الإسلام فى سفوح جبال هندوكش وتخت سليمان، دافعوا عنه بكل غال ونفيس، بدمائهم وأرواحهم، وقد جلجلت أصداء انتصاراتهم فى جنبات جبال **أفغانستان** الشاهقة وفى أوديتها السحيقة الهادئة الثائرة، وفوق ذراها وقممها العالية التى تطاول سماء **أفغانستان** الثورة على الكفر والإلحاد، وعلى الفساد والتبعية. ﴿**قاتلوهم حيث ثقفتموهم، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم**﴾ قام العلماء وعلى رأسهم الإمام الفاضل " مسك العالم " بإخراج الإنجليز من البلاد، وقاموا بطرد التآمر الروسى من كابل، وقاموا بالقضاء على الفساد فى منازل الأفغان.

وقد استمر جهاد العلماء ونضال الشعب الأفغانى تحت قيادة العالم الفاضل دين محمد خان الأندرى (مسك العالم) لمدة ست سنوات حتى أيام الأمير عبد الرحمن خان، حتى توفى سنة ١٨٨٦م (١٣٠٣هـ) بعد أن جاهد فى سبيل الله،

وحارب الإنجليز وأعوانهم لمدة ست سنوات، ودوخهم تدويخا، كما قام الإمام السيد جمال الدين بتدويخهم فى كل مكان نزل فيه.

والإمام العالم دين محمد خان الأندرى الشهير بمسك العالم، يشتهر فى حياته بالصدق فى القول، والإخلاص فى العمل، والتفانى فى الجهاد فى سبيل الله، وبالشجاعة فى الإقدام، وبالحنكة السياسية، وبالتمسك الشديد بأحكام الدين، وبالاستماتة فى الدفاع عن الإسلام، وكان محببا عند الشعب الأفغانى المسلم، موقرا عند أصدقائه وعند خصومه على السواء، وكان يذكره الجميع بعمق الإيمان، وشدة التدين، وقوة الشكيمة، ومضاء العزيمة فى الحرب والسلم، وفى الحياة السياسية والاجتماعية على السواء، وهو يشبه فى كل ذلك رفيق دربه السيد جمال الدين الأفغانى. وبعد جهاد طويل فى سبيل الله والوطن، وتحمل كثير من الصعاب والمشقات لحقت روحه الطاهرة بأرواح أسلافه المجاهدين من علماء الإسلام فى زمرة الشهداء الأبرار الخالدين فى جنات الخلد ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾

إنه كان قائدا شجاعا حالفه النصر فى كل معاركه التى خاضها ضد الإنجليز فى بلاد الأفغان، وقد أنجز هذا النصر ، وهذا الفتح العظيم فى مدة ست سنوات من عمره، و لم يجلس فيها و لم يقعد عن الجهاد، وكان يتمتع بميزتين لم تتوفرا لغيره من أنصاره ومعاصريه.. والميزة الأولى مقدرته الفائقة فى اختيار الرجال والمواقع والأوقات المناسبة للعمل ليلا أو نهارا، والميزة الثانية قابليته الموهوبة والمكتسبة فى القيادة فى المجالين السياسى والحربى. وكان يفضل أن يكون فى المقدمة أثناء العمليات التى كان يقودها ضد الإنجليز. نعم كان شجاعا لا متهورا، يعرف

الفرص، ويجيد انتهازها والاستفادة منها فى الوقت المناسب. تلك هى المزايا التى كان يتمتع بها.. ماض مجيد فى الحرب، وفى خدمة الإسلام.

انتفاضة عام ١٨٨١م (١٢٩٨هـ) :

إن **أفغانستان** بلد إسلامى متمسك بالدين أشد التمسك، توجد فيه أيديولوجية إسلامية شعبية شديدة النقاء، تنبعث انبعاثا مندفعا عن الشعور الدينى، والحماس الإسلامى الأصيل، يمكن حشد هذه الأيديولوجية الشعبية الإسلامية المتدفقة بقوة الإيمان ضد أعداء العقيدة والإسلام، وأعداء الوطنية والوطن بفعالية منقطعة النظير، ليس من السهل أبدا الوقوف أمام مثل هذه الأيديولوجية الشعبية الإسلامية الممزوجة بالوطنية التى تتدفق ينابيعها عندما يدعو إلى ذلك داعى الضرورة الدينية والوطنية الإسلامية، وعندما يرتفع صوت الجهاد من فوق ذرى **أفغانستان** وقممها الشامخة فى أقاليمها المختلفة، ومن مآذن مساجدها، وانطلاقا من هذه الأيديولوجية الأفغانية الأصيلة استمرت الحركات الجهادية، والانتفاضات الثورية، و لم تتوقف المطالبة الإلحاحية بضرورة مطاردة الإنجليز، والقضاء على الفساد والتمهيد بذلك لإجراء إصلاحات عامة وجذرية تنفيذا للمنهج الذى أعلنه السيد جمال الدين الأفغانى، وطاف لأجله أطراف العالم الإسلامى، ومن هنا قام الشعب الأفغانى، وأشهر السيف لمطاردة الجيش البريطانى من البلاد الأفغانية المفعمة بالطاقة الروحية الإسلامية، ومن البلاد التى تقع فيما وراء الحدود الأفغانية، والقضاء على كل ألوان الفساد والظلم والاستبداد داخل البلاد، والعودة إلى الأصول الإسلامية النقية الصافية الخالية من كل الشوائب والخرافات، ليسود البلاد

نظام حكم مبنى على الأصول الإسلامية وحدها. ومن أجل ذلك تنافس الشعب الأفغانى فى جميع الولايات والمحافظات والأقاليم فى طرد الإنجليز، وشمر عن ساعد الجد للنزول إلى ميدان الجهاد والمبارزة للقتال ضد الإنجليز، وللوقوف أمام حيلهم العنكبوتية الشيطانية للسيطرة على **أفغانستان** الإسلامية المستقلة، ومن هنا يظهر دور علماء الإسلام والشيوخ واضحا مؤثرا يصل صداه المثير من أقصى **أفغانستان** إلى أقصاها، فقاموا بتوجيه نداء الجهاد الإسلامى إلى الشعب الأفغانى المسلم، وطالبوه بقتال هؤلاء الكفار الذين كانوا يحاولون السيطرة والتسلط على مصير **أفغانستان**، وقاموا بقيادة الحشود الأفغانية المجاهدة لصد العدوان الإنجليزى على البلاد، وتولوا أمور الحركة الإسلامية الجهادية، وكان صوت علماء كندهار وكوهستان فى انتفاضة عام ١٨٨١م (١٢٩٨هـ) هو العالى الواضح الغالب، ومن أبرز هؤلاء العلماء والقادة الأجلا هو كل من الشيخ المجاهد أمير محمد خان الكوهستانى، والشيخ القائد عبد الرحيم خان الكاكرى، والشيخ المناضل عبد الأحد خان البوبلزى، والحاج عبد العزيز خان، والحاج محمد أمين خان، والحاج محمد نواب خان، والحاج تور خان، والحاج محمد يعقوب خان التوخى، والحاج عبد الرءوف خان الكابلى، والحاج محمد أيوب خان الكاكرى، والشيخ فضل حق خان، والشيخ عبد الواسع خان، والشيخ رسول خان، والحاج خُدا يار خان البارکزى، والحاج محمد عثمان خان، والشيخ محمد حسن خان، والشيخ عبد الحميد خان، والشيخ عبد الحق خان، وغيرهم من الزعماء وعلماء الإسلام، ورجال الدين فى إقليم كندهار وكوهستان الذين أثاروا الشعب الأفغانى المسلم، وقادوه لتحطيم كبرياء الإنجليز، وقتلوا الآلاف من الجنود الإنجليز والهنود وتمكنت

الشهامة الإسلامية من إسقاط الكبرياء الإنجليزية ممرغة فى الوحل فى كندهار وفى غيرها من الأقاليم الأفغانية. ﴿**الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل ا لله، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان، إن كيد الشيطان كان ضعيفا**﴾ (سورة النساء ٧٦)

وقد حاول الإنجليز قبل انتفاضة ١٨٨١م (١٢٩٨هـ) التى قادها العلماء والشيوخ ورجال الدين، احتلال كندهار وذلك عام ١٨٣٩م (١٢٥٤هـ) أيام الأمير دوست محمد خان الذى لم يستطع الوقوف أمام هذه الحملة الشديدة التى اشتركت فيها ثلاثة جيوش قوية، الجيش الإنجليزى الذى احتل كندهار بمساعدة الأمير شاه شجاع، والجيش الهندى التابع الخانع للجيش الإنجليزى، والجيش الأفغانى التابع للأمير شاه شجاع الذى كان ينازع الأمير دوست محمد خان فى الحكم فى **أفغانستان**. وكان للشعب الأفغانى بقيادته الشعبية أعنى بقيادة العلماء مواقف مشرفة فى تلك المعارك التى كان الطرف الرئيسى فيها الحكومتان الأفغانية والإنجليزية، أما انتفاضة عام ١٨٨١م (١٢٩٨هـ) فكانت أفغانية إسلامية شعبية أثارها العلماء وقادها العلماء، تكوينها الأساسى الرئيسى عبارة عن الشعب والعلماء، جيش شعبى يقوده أناس من الشعب.

إذا الشعب يوما أراد الحياة ❁ فلابد أن يستجيب القدر

وكان السيد الأفغانى فى هذا الوقت معتقلا فى حيدر آباد فى الهند، وفى سنة ١٨٨٢م (١٢٩٩هـ) أبعد عن الهند، ومر بالسويس فى مصر، ثم ظهر فى باريس فى عام ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ).

انتفاضة عام ١٩٠٩م (١٣٢٦هـ):

كابل عاصمة **أفغانستان** الرائعة بروعة عقيدتها الإسلامية، وبروعة بطولاتها الدفاعية عن هذه العقيدة الراسخة فى قلوب أهلها. ولها فى ذلك مواقف بطولية مشرفة مشرقة. ومن هذه المواقف الرائعة ثورة أهالى كابل ضد الإنجليز الكفرة بعد أن قام علماؤها وشيوخها بتوجيه نداء الجهاد إلى الشعب الأفغانى فى العاصمة، فكان الهجوم على دار " إسكندر برنس " والفتك به تلبية عملية لهذا النداء الموجه من قادة الشعب إلى الشعب، وكان ذلك إما فى عام ١٨٣٨م (١٢٥٣هـ) أو فى عام ١٨٤١م (١٢٥٦هـ).

كان ذلك قبل التاريخ الذى حددناه للانتفاضة الشعبية التى اشترك فيها أهالى كابل بصورة رئيسية وكان دورهم أكثر فعالية من دور الجيش الأفغانى، والتى تعتبر ثمرة من ثمار الصيحة الإسلامية التى أطلقها السيد جمال الدين الأفغانى، واستمرت تتفاعل وتتضخم بمرور الزمن، وتختمر وتنمو يوما بعد يوم، وتزداد قوة ونشاطا جيلا بعد جيل لمواجهة التبعية والانحراف، والوقوف فى طريق الإلحاد والإباحية، ولمواجهة أخطار الاستعمار الإنجليزى الذى كان يهدد **أفغانستان** بحركاتها الإسلامية من قاعدته العدوانية فى الهند. إن الشعب الأفغانى المسلم لم يخضع للضغوط السياسية والعسكرية التى تعرض لها، ولم يسلم نفسه لليأس، وصمم وعزم على نيل النصر، والقضاء على الإلحاد والفساد والغدر، والمحافظة على الاستقلال وحرية الإرادة. وكان العلماء ورجال الدين والإسلاميون خير قادة لخير شعب، حيث لم يكن هؤلاء القادة، وهذا الشعب المسلم يفكرون إلا فى إنقاذ

هذه البلاد من ويلات الحروب الأهلية والاستعمارية ونجاتها من براثن الاستعمار ومؤامراته الدنيئة، وخلاصها بل وتطهيرها من كل ألوان التدخلات الأجنبية فى شئونها الداخلية والخارجية، مستمدين فى كل ذلك الطاقة والنشاط والحيوية من روحانية العقيدة والأيديولوجية الإسلامية الكامنة المستقرة فى كيان هذا الشعب المتدين المتمسك بدينه الإسلامى الذى هو جزء من حياته وكيانه ومقوماته. ومضى هؤلاء وهؤلاء جميعا فى طريق أداء رسالتهم الأبدية المقدسة غير متأثرين، بل وغير مبالين بطغيان الطغاة، وجبروت المتكبرين واستبداد الظالمين، وبإهمال المتقاعسين، وبخذلان المتخاذلين.. إنه رغم هذا الطغيان والاستبداد والتقاعس والخذلان فقد تحولت صيحة السيد الأفغانى ونداءات هؤلاء العلماء ورجال الدين الإسلامى إلى ثورة إسلامية، الشعب الأفغانى كيانها، والإنجليز وقودها، والعلماء محركها، والسيد الأفغانى قائدها، والإصلاح الإسلامى هدفها، تحولت الصيحة الإسلامية إلى الثورة الإسلامية بكل المقاييس حين تولى أمرها هؤلاء الأبطال الذين ساروا على الدرب الذى سار عليه السيد الأفغانى وزملاؤه فى الجهاد والنضال، والذين اتخذوا من مدينة كابل مقرا وقاعدة لدعوتهم وجهادهم الإسلاميين وكانت نظم الحكم فى **أفغانستان** أخذت فى التمايل والتأرجح بين كفتى الميزان.. بين كفة المحافظة على كرسى الحكم بالمساعدة الخارجية، وبين كفة العمل الوطنى فى الإطار الإسلامى بالقوة الذاتية الأفغانية، وكادت أن تميل إلى الكفة الأولى السياسية على حساب الكفة الإسلامية فى الإطار الوطنى القويم لولا تربص الشعب بقيادة هؤلاء العلماء، ورجال الدين والشيوخ وزعماء العشائر الأفغانية الذين كانوا يتمتعون بنفوذ وتقدير عظيمين بين هؤلاء الناس من أفراد الشعب الأفغانى، كان

قولهم هو وحده الصدق كل الصدق، وما ينطقون بـه هـو وحـده فصـل الخطـاب ومسك الختام فى كل الأمور، ونداؤهم هو وحده واجب التلبية فـى كـل الشئون الحربية والسياسية، وطلبهم هو وحده واجب التنفيذ فى كل الأحـوال الاجتماعيـة والاقتصادية والثقافية، ومن هنا كانت الحكومات الأفغانية تعمل لهم ألف حسـاب لأن نفوذهم الإسلامى وسلطتهم الشعبية كانت أقوى من السلطة الحكومية، ومـن هنا أيضا كانت الحكومات تخاف ثورة العلماء ورجال الدين، ومـن عـارض ذلـك راح ضحية معارضته فورا وبـدون تأخـير، وقصـة الملـك الأفغـانى الأسـبق ليسـت ببعيدة عن هذا المجال.

ومن أبرز أبطال هذه الانتفاضة الذيـن اشـتركوا فـى معاركهـا الإسـلامية فـى ثوب الحركة الإسلامية التى نادى بها السيد الأفغـانى كـل مـن السـادة والشـيوخ والزعماء والعلماء والمدرسين أيام الأمير حبيب الله خان عام ١٩٠٩م =١٣٢٦هـ الشيخ المرشد نجم الدين خان من مدينة "هده" التاريخية فى الشرق الأفغانى ذلـك الإمام العالم الذى أصدر فتوى دينية بشأن الجهاد لمقاتلة الإنجليز أيام الأمـير حبيـب الله خان تردد صداها فى جميع أنحاء **أفغانستان**، أثار بها المشاعر الإسلامية للشعب الأفغانى وبخاصة فى كابل. والشيخ محمد سرور خان المدرس بالمدرسة الحبيبية فـى كابل، وينتمى إلى القبائل الألكوزية، وكان أبوه عالما فاضلا ومنـاضلا مـن رجـال الدين، وقد تم إعدام هذا العالم الفاضل والمجـاهد المنـاضل رميـا بـالمدفع، والقـاضى عبد الأحد خان الأرغنداوى الذى ألقى به الأمير فى غيـاهب السـجن فـى كـابل، والشيخ الفاضل مظفر خان الخروطى، والشـيخ العـالم نجـف علـى خـان، والشـيخ محمد حسين خان البنجابى، والشيخ غلام محى الدين الأفغانى الـذى كـان مدرسـا

بالمدرسة الحبيبية، والشيخ محمد أكبر خان أخنزاده الذى ألقى به فى ظلمات السجن فى كابل، والشيخ منهاج الدين خان الذى كان مدرسا خاصا للأمير محمد أكبر خان، كل هؤلاء العلماء والشيوخ والمدرسون الذين رفعوا راية الانتفاضة الإسلامية، والحركة الجهادية ضد الإنجليز، وضد الظلم والطغيان والاستبداد والخذلان والتقاعس قد ألقى بهم فى سجون كابل المظلمة سنة ١٩٠٩م (١٣٢٦هـ) أيام الأمير حبيب الله خان.

إن غيرة الشعب الأفغانى، وغيرة قادته العلماء على الدين والعقيدة والوطن، ليست وليدة العصر الحديث، إنما هى متأصلة فى هذا الشعب المتدين المتمسك بالتعاليم الإسلامية، وقديمة قدم الشعب، وثورة الشعب الأفغانى بقيادة العلماء ورجال الدين وشيوخ القبائل على تصرفات الحكومات الأفغانية والتدخلات دليل ما قلته من تأصل جذور الثورة الإسلامية وقِدمها فى الشعب الأفغانى، لم يكن الشعب الأفغانى بعلمائه ورجال دينه وشيوخه ينتظر طويلا حتى تأتى الأمور على غير هواه الإسلامى، بل كان يتنبه دائما إلى الخطر الذى يتهدده فى دينه وعقيدته وحريته ووطنه، وكما تصدى من قبل بكل ما يمس عقيدته الإسلامية، وأرضه الإسلامية، وترابه وتراثه الإسلاميين قام هذه المرة أيضا بالتصدى الثورى العنيف، وكان مركز التصدى هذه المرة هى مدينة كابل العاصمة نفسها. وقد تجلت فى تصدى هؤلاء المناضلين عظمة الإسلام وأمجاده العظيمة الخالدة، وسجايا الإسلام الكريمة، وأخلاقيات الإسلام الشريفة، كما تجلت فيهم تلك الغرائز النجيبة التى غرسها الإسلام فى نفوسهم، وذلك لأن المبادئ الإسلامية هى المثل العليا لدى الأفغان فى السلم والحرب على السواء. ولا يمكننا أن ننسى ما فى روحانية العقيدة

الإسلامية وبساطتها من جاذبية غير عادية تتفاعل مع الأحاسيس والمشاعر والعوطف النبيلة فى نفوس الأفغان أصحاب الرسالة الإسلامية أيام المعارك الجهادية، فكانوا يتركون كل شئ من الشئون وكل أمر من الأمور ويمضون فى أداء رسالتهم الغالية غير مبالين بالطغاة ومن يتعاون معهم، ملحقين بهم الخسائر والهزائم فى كل ميدان من ميادين المعارك فى **أفغانستان** ﴿**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾ (سورة التوبة ٤١).

مات السيد جمال الدين الأفغانى فى أستانة بتركيا سنة ١٨٩٧م (١٣١٤هـ)، ودفن هناك، ولكن دعوته إلى الثورة، وإلى الإصلاح الاجتماعى، وإلى إيقاظ الشعوب والشعب الأفغانى بخاصة، وإلى التحرر من الاستعمار والظلم والاستغلال، والتخلص من الاستبداد والطغيان، هذه الدعوة الحية ما زالت حية نابضة تتجدد بتجدد المواقف والأحداث، وكان أثرها ولا يزال فى قيام الحركات الحرة فى الدول الإسلامية واضحا جليا للعيان، وانتفاضة عام ١٩٠٩م (١٣٢٦هـ) فى كابل أحد آثار تلك الدعوة التى صاح بها السيد جمال الدين الأفغانى فى كابل عام ١٨٥٧م (١٢٧٣هـ) ويتردد صداها فى جنبات جبال هندوكش، وتخت سليمان التى تربض كابل تحت سفوحها، وهى تحمل أسرار تلك الصيحة الأبدية بأبدية الإسلام، حتى الآن.

إن ترابطا بين الحركات الجهادية اليوم فى **أفغانستان**، وبين الحركات الإسلامية التى كانت الأرض الأفغانية مسرحا لها، بمعنى أن هذه الأخيرة أساس وقاعدة متينة لتلك، أو تلك امتداد لهذه، سواء كان هذا أو ذاك فإن هذا الترابط

القوى بين ماضى الحركات الإسلامية فى **أفغانستان**، وبين حاضر التنظيمات الجهادية لم ينقطع أبدا، فإذا كان الشعب الأفغانى حمل السيف بالأمس ضد الاستعمار الإنجليزى فإنه يحمل السيف اليوم ضد الاحتلال الروسى. وإذا كان الأمير شاه شجاع أمير الأفغان فى الماضى مصدرا لجلب المتاعب الاستعمارية للشعب الأفغانى، فإن كارمل ورفاقه من الشيوعيين مصدر تلك المتاعب والمشاكل التى نشأت عن الاحتلال الروسى لأ**فغانستان** فى الوقت الحاضر.

انتفاضة عام ١٩١٥م (١٣٣٣هـ):

وباب الحركات الإسلامية والانتفاضات الشعبية فى **أفغانستان** مفتوح لم يغلق، وقد ظل هذا الباب مفتوحا على مصراعيه رغم أنف هؤلاء الذين يحاولون محاولات فاشلة لإغلاقه، ووضع الأقفال الحديدية عليه لصده فى وجه الثورات الإسلامية التى لا تصد ولا تعرقل، فهى جارية كالسيل العارم فى مجرى بلا حدود، ومن هذا المنطلق الواسع واصل التيار الإسلامى سيره، وتدفقه المتجدد يدعو إلى الاستمرارية الحية المثمرة، والاستفادة من عمق العقيدة الإسلامية فى الشعب الأفغانى ومن رسوخها الثابت فى أعماقه بداخل كيانه، يدعو بإلحاح شديد إلى اتخاذ هذه العقيدة الإسلامية العميقة دافعا مثيرا للمقاومة والمدافعة والجهاد الإسلامى، وحافزا قويا للقتال ضد الكفار والمشركين الذين يحاولون السيطرة على **أفغانستان**، والتسلط المستبد على الشعب الأفغانى المسلم، والقضاء على كل ما ينتمى إلى الإسلام، وعلى كل ما هو إسلامى فى هذه الديار الإسلامية، ورغم كل ذلك فإن هذه العقبات والصعوبات التى حاول الأعداء

وضعها وخلقها فى طريق التيار الإسلامى فإنها لم تحل دون تقدم الإسلاميين العلماء، والمجاهدين القدماء، و لم تتمكن من الوقوف أمام هدفهم الأسمى، ومقصدهم الأعلى، وغرضهم الأرفع ما داموا لا ينظرون إلى الأرض، وإلى متاعها الفانى الزائل، ولا يفكرون إلا فى الرضا الإلهى والجنة الموعودة، ونعيمها الدائم، ولا ينتظرون النصر إلا من عند الله النصير، ولا يطمعون فى العون إلا من المعين الدائم الكريم، فلو كانت غايتهم الأولى متاع الدنيا من النهب والسلب، أو كانت غايتهم السامية الضرب والقتل، أو التدمير والتخريب، أو الاستعمار والاحتلال، لثقلت بهم الهمم، ولفترت فيهم العزائم والصمائم، ولتزعزت فيهم النيات والإرادات، ولكنه الإيمان الذى دفعهم إلى الجهاد والنضال والقتال، وإلى الدخول فى المهالك والمخاطر والأهوال، وإلى ركوب المخاوف والمكاره والمفازع، حتى نالوا من الانتصارات ما نالوه فى معاركهم، وحروبهم، وحركاتهم وانتفاضاتهم وثوراتهم وتحركاتهم الإسلامية التى خاضوها على وجه الأرض الأفغانية الدامية بدماء الشهداء فى السنوات ١٨٤٦، ١٨٥٧، ١٨٧٨، ١٨٧٩، ١٨٨١، ١٩٠٩، ١٩١٥ الميلادية (السنوات ١٢٦٢، ١٢٧٣، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٨، ١٣٢٦، ١٣٣٣ الهجرية) وفى غيرها من الأعوام المشهورة التى كان للأفغان فيها مواقف ثورية إسلامية ضد المستعمرين، وضد أعداء الدين الذين حاولوا بشتى الطرق تطويق الإسلام وكبت الحرية فى البلاد الأفغانية التى لم تخضع للأجنبى أبدا وقد شارك فى انتفاضة ١٩١٥م (١٣٣٣هـ) التى عمت الولايات الشرقية والمركزية عدد كبير من العلماء والشيوخ ورجال الدين والزعماء ورؤساء القبائل والعشائر الأفغانية، نذكر منهم على سبيل المثال.. السيد المجاهد " شيخ باجا "

الإسلامبورى من أشراف أسرة سادات كونر التى ينتمى إليها السيد جمال الدين الأفغانى، وكان على رأس جماعة من المجاهدين فى الجبهة الشرقية فى إقليم كونر موطن السيد الأفغانى، والشيخ الإسلامبورى تلميذ الشيخ نجم الدين خان المرشد والمجاهد العظيم فى مدينة " هده " والشيخ محمد جان خان الموسهى تلميذ الشيخ عبد الغفور خان السواتى، والشيخ المرشد ملا تجاو وهو من تلاميذ الشيخ نجم الدين خان، والشيخ الشريف باجا فى مدينة " تيركرى " فى لغمان من تلاميذ الشيخ نجم الدين خان أيضا، والشيخ الشريف ميان فى مدينة " برو " والشيخ ميان صاحب فى " حصارك " بالقرب من كابل، والشيخ شمس الحق خان والشيخ عبد الغفار خان، والشيخ محمد مريد خان من الشيوخ والعلماء المعروفين فى الجهاد، وغيرهم من العلماء، ورجال الدين، والأئمة، والمدرسين، ورجال الطرق الصوفية وطلاب المدارس الدينية الأهلية ومدرسيها، ومدرسى الحلقات الدراسية فى المساجد الكبيرة بالمدن الأفغانية فى جميع أنحاء **أفغانستان**، هؤلاء وغيرهم من الزعماء الشعبيين، ورؤساء القبائل وشيوخ العشائر الذين جاهدوا فى سبيل إعلاء كلمة الله بين السنوات ١٥، ١٦، ١٩١٧ الميلادية (السنوات ٣٣، ٣٤، ١٣٣٥ الهجرية) أيام الأمير حبيب الله خان، هؤلاء جميعا يمثلون حلقة الاتصال المستمرة فى سلسلة حلقات الاتصال المستمر بين الحركات الإسلامية والانتفاضات الشعبية والثورات الجهادية فى **أفغانستان**، فقد أعلن هؤلاء القادة من العلماء الجهاد ضد الإنجليز وضد التدخلات الروسية، وفى الوقت الذى كان وفدا تركيا وألمانيا مشتركا يقوم فيه بزيارة **أفغانستان** بشأن تنسيق المواقف بين البلاد الثلاثة واتخاذ موقف موحد ضد الإنجليز الذين كانوا يحتلون الهند، مهددين **أفغانستان**

بالاحتلال، لم تتمكن الحكومة الأفغانية من اتخاذ موقف جاد تجاه إعلان العلماء الجهاد من جهة، وتجاه الوفد التركى الألمانى الذى كان ينوى إعلان الحرب ضد الإنجليز تشترك فيها الأطراف الثلاثة تنفيذا لفكرة القومية الآرية التى تجمع بين الشعوب الثلاثة من جهة أخرى، وقد رفض الأمير حبيب الله خان أن يوافق على ذلك.

ثورة عام ١٩١٩م (عام ١٣٣٧هـ):

اعتقد الإنجليز وظنوا أن الأفغان قد ضعفت قوتهم، واضمحلت شوكتهم القتالية، وانهارت وحدتهم النضالية، وانتهت حنكتهم السياسية، وتزعزعت عقيدتهم الجهادية، وزال ما كانوا يؤمنون به من النضال الإسلامى نتيجة للخلافات الداخلية أثناء قيام حكومات أفغانية متزلزلة الأركان، مهتزة المقام، ضعيفة الإرادة والإقدام، غير ثابتة الأساس والبنيان، وبناء على هذا الاعتقاد فكروا فى الاعتداء ودبروا، وتقدم الجيش الإنجليزى نحو البلاد، وفتح لاحتلالها ثلاث جبهات حربية أساسية عن طريق ثلاثة ممرات ومداخل رئيسية.. جبهة خيبر الرئيسية الهامة، وجبهة كونر عن طريق جترال، وجبهة بكتيا الرئيسية الثانية، وكان الممر الرئيسى الرابع عن طريق " سبين بولدك - البولان " هادئا هذه المرة نظرا لبعده عن العاصمة التى كانت الهدف الرئيسى من هذه الحملة الإنجليزية الجائرة لاحتلال **أفغانستان**، فتنادى علماء الإسلام بالجهاد، ورفعوا راية النضال الإسلامى ضد قوى البغى والطغيان الإنجليزى، وأعلنوا أن الجهاد قد فرض على أبناء الأفغان فرضا، فرض عليهم القتال لا لذنب جنوه، ولا لاعتداء قاموا به، ولا لجريمة

ارتكبوها، ولا لفساد أدخلوه إلى بلاد المعتدى، إن ذنبهم الوحيد هو أنهم يريدون أن يكونوا فى بلادهم مسلمين أحرارا، فهل هذا بالله ذنب؟ أعلن العلماء أن الجهاد أصبح فرضا على جميع أبناء الشعب الأفغانى بالرجال، والمال، والقلم والكلام، وطالبوا بالوقوف جنبا إلى جنب مع الجيش الأفغانى لمواجهة المعتدى الإنجليزى الآثم وطرده من البلاد، وتطهيرها منه، وكانت كوكبة رجال الدين والعلماء على رأس الجيش الشعبى، وخاضت أعداد كبيرة من الفقهاء والمحدثين والعلماء العاملين المعارك الدامية ضد هؤلاء الأعداء، وقاموا بأعمال قيادية وفدائية وقتالية مختلفة ضد الجيشين الإنجليزى والهندى فى الولايات المتآخمة لحدود الهند البريطانية.. فى كونر، ونجرهار، ولغمان، وبكتيا، وكندهار، وهرات، وكابل، وكانت المساعدات بالرجال والمال والعتاد تصل إلى المجاهدين من بقية الولايات الشمالية والمركزية، وذلك بتحريك وتشجيع العلماء ورجال الدين. وهكذا ساهم الشعب الأفغانى فى عملية تحرير البلاد والعباد من الظلم والاستبداد، ومن الاعتداءات الإنجليزية، ومن التهديدات والمؤامرات الروسية.

وكان العلماء الأفغان ورجال الدين قد وجهوا نداء الجهاد إلى الشعوب الإسلامية وقالوا إن الجهاد قد أصبح واجبا على جميع المسلمين من أبناء الإسلام وليس على أبناء الأفغان وحدهم، وبذلك أصبح تحرير البلاد الإسلامية الأفغانية مسئولية جميع الشعوب الإسلامية، وهذا النداء الجهادى وإن لم يجد آذانا صاغية فى العالم الإسلامى إلا أن أبناء الإسلام فى بلاد الأفغان قد لبوا النداء وقبلوا الدعوة الإسلامية إلى القتال قبولا لا نظير له فى التاريخ الإسلامى القريب. وانطلاقا من المسئولية الإسلامية فإن قافلة الانتفاضات الثورية فى إطار الحركة

الإسلامية المنبثقة من الأيديولوجية الشعبية الإسلامية المشحونة بالحماس الوطنى القوى تواصل سيرها وفقا للخط الإستراتيجى الإسلامى دفاعا عن الإسلام والقيم الإسلامية فى **أفغانستان** الإسلامية، وكان التوفيق والنصر من نصيب المجاهدين المناضلين فى أغلب الأوقات والمواقف والمواقع إلا أن الهزيمة كانت تلحق بهم وبقواتهم الشعبية أحيانا بسبب المواقف السياسية المتهازلة لبعض الحكام الذين كانوا يعملون تحت تأثير المحافظة على كرسى الحكم فى البلاد. ولقد كانت ساحات المعارك الجهادية يتسابق إليها البشر والحجر فى تعاون متماسك شديد للوقوف معا فى بنيان مرصوص ضد اعتداء المعتدى سواء كان خارجيا أو داخليا متقاعسا، أعنى ضد الفساد والاستبداد فى الداخل، وضد الأفعى الروسية الزاحفة من الشمال، وضد الكابوس الاستعمارى الإنجليزى فى الجنوب، وكان الشعب الأفغانى المسلم قد واجه فى هذه المعارك الإسلامية ثلاثة جيوش.. جيش الفساد والاستبداد فى كابل، وجيش الإلحاد والمؤامرات فى الشمال، وجيش البطش والإباحية فى جنوب وشرق البلاد.

وهكذا تستمر الثورة الفكرية والحركة النضالية الإسلامية، والدعوة الإصلاحية الصادقة التى أطلقها السيد الأفغانى ناضرة نابضة تُروى بدماء المسلمين فى بلاد الأفغان، تتجدد بتجدد الظروف والدواعى والأحداث والأحوال وعند ذلك يتولاها رجال من الأفغان منخرطين فى معترك الحياة والصراع الدائر بين الحق والباطل بكل أبعاده وانعكاساته الداخلية والخارجية، وبكل صوره وأشكاله وألوانه ابتداء من أيام حكم دوست محمد خان، مرورا بأيام حكم كل من الأمراء شاه شجاع، وشير على خان، ومحمد أعظم خان، ومحمد يعقوب خان، وعبد الرحمن

خان، وحبيب الله خان، ووصولا إلى الملك أمان الله خان الذى أعلن حرب الاستقلال وأرغم الإنجليز على الاعتراف بالاستقلال الأفغانى الكامل.

وقد تمكن المجاهدون الأفغان فى ظل هذه الظروف القتالية من تحقيق كثير من الانتصارات العسكرية فى مجال الجهاد الإسلامى الذى أصبح نوعا من مظاهر المزاولة اليومية فى الحياة التقليدية لدى هؤلاء العلماء والزعماء والقادة لتحريك الحركة الإسلامية نحو الاستمرارية داخل البيئة الأفغانية، وفى البلاد المجاورة **لأفغانستان** كالبلاد الهندية مثلا. وقد اكتسى نضال الشعب مسحة اسلامية واضحة على مدى التاريخ الأفغانى وهو أمر يعود أساساً إلى أصالة العقيدة الإسلامية فى أعماق الشعب الأفغانى الذى تمسك بإسلامه عبر العصور، وحافظ على تراثه الإسلامى فى وجه كل الغزاة والغزوات الأجنبية، بل اتخذ المجاهدون العلماء، والزعماء الدينيون الأفغان من العقيدة الإسلامية دافعا للمقاومة الإسلامية، وحافزا للقتال، وخوض المعارك والحروب ضد غزوات الكفار الالحادية منذ القِدم، منذ دخول الإسلام إلى هذه الديار الأفغانية وحتى اليوم، كل ذلك مع الاعتزاز الكبير بالدفاع عن العقيدة الإسلامية، وعن التراث والفكر الإسلامى العظيم الذى يكون الجزء الأكبر الرئيسى من الكيان الأفغانى، وقد ازداد ذلك رسوخا منذ الصيحة الإسلامية المدوية التى رفعها السيد جمال الدين الأفغانى فى وادى " كونر " ووصل صداها الموثر بوصوله إلى العاصمة الأفغانية كابل ثم تجاوز منها إلى الآفاق البعيدة فى العالم الإسلامى.

وقد شارك فى انتفاضة عام ١٩١٩م (١٣٣٧هـ) عدد كبير من الأئمة والفقهاء والعباقرة العلماء الذين ملأوا جوانب الأرض الأفغانية الثائرة نورا وعلما

وفضلا، ومعرفة وعرفانا، وأضاءوا بدمائهم مصابيح الهدى، والحكمة الإلهية، وقد جادوا بكل ما يملكونه من المال والجاه فى الجهاد فوق قمم الجبال، وبين الثلوج فى الأودية الموحشة والسفوح وألحقوا الهزيمة بالأعداء، وأدوا أدوارهم الإسلامية داخل إطار الحركة الإسلامية الممستمرة فى البلاد الأفغانية المستمرة فى الجهاد. نذكر من هؤلاء المجاهدين المناضلين من أجل الحرية والحياة الإسلامية بالاعتزاز والتقدير العظيمين كلا من السادة العلماء السيد الشريف مير صاحب جان ذلك المجاهد العظيم الذى ألقى به الملك أمان الله خان فى غياهب السجن، ثم أطلق سراحه إلا أنه مات ليلة وصوله إلى مدينة جلال آباد بصورة فجائية وفى ظروف غامضة، والقائد النقشبندى العظيم فضل محمد خان المجددى الملقب بشمس المشايخ الذى اشترك قولا وفعلا وعملا فى الجهاد ضد الإنجليز فى جبهة " تل " فى جنوب **أفغانستان**، وكان النصر من نصيب هذه الجبهة التى كان يقودها قائدان أحدهما مدنى وهو شمس المشايخ السابق الذكر، والآخر عسكرى وهو محمد نادر شاه خان. والشيخ المجاهد فضل عمر خان المجددى الملقب بنور المشايخ الذى كان يقود الجهاد فى جبهة وزيرستان فى جنوب **أفغانستان** أيضا، والشيخ العالم محمد جان خان الذى كان يدعو الناس إلى الجهاد فى إقليم " لوجر " وكان يرأس جماعة المجاهدين فى هذه الولاية، وكان الأمير حبيب الله قد وضعه تحت المراقبة الشديدة، والحاج عبد الرزاق خان الأندرى وكان من زعماء الجهاد فى غزنه، والشيخ همزة الله خان أحد زعماء الجهاد والحركة الإسلامية فى **أفغانستان**، والشيخ المجاهد الكبير " مُلا أُتمانزى " فى المناطق الحرة، والقاضى عبد الرحمن خان النعمانى، والشيخ عبد الرشيد خان، والشيخ عبد الحميد خان الغزنوى، والشيخ غلام رسول

خان، والسيد الشريف سيد جُل باجا الكونرى من أُسرة السادات التى ينتمى إليها السيد جمال الدين الأفغانى، والشيخ " مُلا جنكور " والشيخ " صاحب الكجورى " والشريف " مير سيد باجا " والشريف " سيد باجا " والشيخ المرشد " ميان صاحب السركانى " فى وادى كونر، والزعيم حيدر خان الصافى، والشيخ حبيب الرحمن الكاموى، والزعيم محمد أمان خان المشوانى، والشيخ " مُلا صاحب البابرى " والشيخ المرشد " حاجى صاحب الترنكزى " والشريف سيد غلام حيدر خان الكونرى الذى توفى فى السجن السياسى فى كابل، والشيخ العالم حميد الله خان الصافى مرشد القبائل الصافية فى إقليم " تجاو " وغيرهم من الزعماء، والعلماء ورجال الدين الأفغان فى جميع الأقاليم والمناطق الأفغانية المختلفة الذين قادوا المعارك بدمائهم، وأموالهم، وبرجالهم وأرواحهم ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾ سورة محمد ٢٧. إن الله هو الذى قد ثبت أقدام هؤلاء المناضلين الأبطال الذين قادوا الشعب الأفغانى من نصر إلى نصر، وكانوا حلقة حية فى سلسلة الحركات والانتفاضات الإسلامية فى **أفغانستان**.

إن ما يجرى الآن فى **أفغانستان** من الأحداث الجهادية الإسلامية واتخاذ التنظيمات الأفغانية " الجهاد " طريقا وشعارا ومنهجا للمقاومة المسلحة والسياسية ضد الروس، وضد أعوانهم من الأفغان، كل ذلك له جذوره العميقة الأصيلة فى الشعب الأفغانى من ناحية التمسك والسير على المنهج الإسلامى، فقد اتخذ هذا الشعب دائما وعلى مدى تاريخه المديد شعار الجهاد داخل الإطار الإسلامى فى الحركة الإسلامية طريقا ومنهجا لمقاومة الاحتلال الأجنبى منذ غزوات التتار والإنجليز حتى الغزوات الروسية فى العصر الحاضر. فالعنصر الإسلامى بقيمه

الإسلامية الأصيلة النقية، بالإضافة إلى أفكار كبار المصلحين المسلمين الأفغان وغير الأفغان كل ذلك تعتبر الروافد الأساسية للحركة الإسلامية والمعارك الجهادية والمقاومة الإسلامية فى **أفغانستان**، وهى تلعب دورا كبيرا وهاما ومؤثرا فى تطوير الأحداث العسكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية فى **أفغانستان** اليوم، كما كانت كذلك فى الماضى. فإذا كانت التنظيمات الأفغانية والفصائل الجهادية قد وقع اختيارها على " الجهاد والمجاهدين " رمزا مقدسا لها، ومنهجا عمليا لعملياتها القتالية وحركاتها السياسية فإن ذلك فى الحقيقة التاريخية إحياء عملى للدافع الدينى، والوازع الإسلامى والقومى الذى يأمر بالجهاد فى سبيل الله وفى سبيل الدفاع عن الوطن الإسلامى، والذى اتخذه زعماء الحركات الإسلامية الثورية فى البلاد الأفغانية منذ أن ارتفع به صوت السيد جمال الدين، ثم ارتفعت به أصوات العلماء والزعماء ورجال الطرق الصوفية، وتمسك به من أتى بعدهم من العلماء والزعماء ورجال الدين ورؤساء القبائل والعشائر وأهل التصوف لمواجهة انحراف القيادة السياسية والعسكرية للأمة الأفغانية، ولمواجهة العدو وعدوانه الذى كان يتربص بها دائما. إن ماضى الزعامة الدينية الإسلامية ومقاومتها الشديدة للغرباء والأجانب لا تتجاوز الزعماء الدينيين، والقادة المسلمين، وإن كانت تجذب إليها غيرهم من الزعامات فهى متبوعة وليست بتابعة، تؤثر ولا تتأثر. هذه المقاومة التى تتكون أساسا من رجال الدين، والمتدينين، وطلاب المدارس الدينية، ومن مدرسيها وأئمة المساجد والعلماء بصفة خاصة، وكذلك من زعماء الطرق الصوفية تحت قيادة الأيديولوجية الإسلامية قد ظهرت نشطة فعالة فى الساحة الأفغانية منذ القرن التاسع عشر فى شكل تعبئة القبائل الأفغانية وإثارتها فى إطار الحماس الدينى

الإسلامى لمقاومة الأجنبى الغريب، ولتقويم الانحراف عن المبادئ الإسلامية التى لا تفرق بين الدين والدولة، وبين الإسلام والسلطة، فهما متحدان لا انفصام بينهما، ولا انفكاك، هكذا يراها الشعب الأفغانى كحقيقة ثابتة، إن الشعب المسلم فى **أفغانستان** يجد فى الحركة الإسلامية وفى المقاومة الوطنية خلاصا لدينه وقيمه الوطنية.

إن التنظيم الفدائى، والعمل الوطنى الثورى، والفكر الجهادى الإسلامى، والعقل النضالى المدبر، والإقدام المعتمد على الكفاح ليس أمرا جديدا، وليس كذلك بالأمر المستحدث فى **أفغانستان** كما يظن ذلك الجيل الجديد، إن الأعمال الفدائية، والتنظيمات الثورية، والحركات الإسلامية السياسية منها والنضالية قديمة فى **أفغانستان** قِدم الفكر الأفغانى، أصيلة أصالة الشعب الإسلامى. إن ١٧ إبريل سنة ١٩٧٣م (٢٥ ربيع أول سنة ١٣٩٣هـ) وهو توقيت انطلاق الرصاصة الأولى من بنادق رجال التنظيمات الأفغانية الإسلامية فى العصر الحديث، إنما هو تجديد، بل إثارة للفكر النضالى الثورى الكامن فى الكيان الأفغانى الثائر، وإيقاظ له قام به فتية مؤمنة ثائرة من الأبناء البررة تسير على آثار أقدام الآباء، وإن ثورة الأبناء اليوم صورة ثورة الآباء بالأمس، إن آثار الآباء تظهر فى الأبناء، ومن تشبه بالآباء فما ظلم. إن الشعب الأفغانى قد حمل السلاح، وأشهر السيف فى وجه الأعداء بقيادة قادته من العلماء ورجال الدين ورؤساء الطرق الصوفية دفاعا عن الدين والعقيدة والوطن طيلة تاريخه، وبخاصة منذ أن أطلق السيد جمال الدين الأفغانى الصيحة الثورية الإسلامية الأولى من فوق أرض البطولات الإسلامية الحديثة من "كونر" أرض أجداده، ثم انطلق بها إلى العاصمة الأفغانية كابل أيام الأمير دوست محمد

خان، ومنذ ذلك التاريخ يتقدم العلماء ورجال الدين بمساندة الشعب صفوف المجاهدين، ويتبوؤون فى أنحاء البلاد الأفغانية المختلفة مراكز القيادة والريادة، وأماكن الترشيد والتوجيه بين جماعات المناضلين الأفغان، فمنهم من باع دنياه الفانية بآخرته الباقية، وعاش حياة أبدية فى جنات الخلد، وترك المال والجاه والأهل والولد ولازم الجهاد والمجاهدين الثوار وقاتل وناضل وجاهد فى الجبال والقفار والقمم، كما هو الحال والمآل فى الوقت الحاضر، ومنهم من خاض المعارك الجهادية، والحروب الإسلامية المسلحة ضد الإنجليز والروس، وضد أعوانهم من الخونة فى شجاعة نادرة وبسالة منقطعة النظير، حتى روى بدمه الزكى الطاهر ثرى **أفغانستان** المجاهدة وذراها، كما هو الحال فى المعارك الدامية الجارية فى **أفغانستان** فى الوقت الحاضر أيضا. إن التاريخ الأفغانى النضالى، والأحداث الجارية فى **أفغانستان** فى الوقت الحاضر خير دليل، وأنصع برهان على ذلك لأن الكفاح المسلح فى نفوس الأفغان أصل ثابت من أصول الفكر الإسلامى قديما وحديثا ﴿**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾ (سورة الذاريات ٥٥).

كانت هناك حركة فكرية، وكان هناك اضطهاد فكرى، وبجانب هذا وذاك كانت هناك جماعات إسلامية حية ذات أثر فعال، ودعوة تحررية تهدف إلى إعادة الإسلام إلى أسلوب الحياة العملية، تدعو إلى الإيمان الصادق بالله، وفى مقابل ذلك كانت هناك دعوة سافرة إلى الكفر والإلحاد، وإلى الاضطهاد والإجرام، وكل هم هؤلاء الكفرة والملحدين إطفاء نور الله، والقضاء على دين الإسلام، وإزالة كل أثر فى الحياة، وهناك كانت العداوة بين الإيمان والكفر، بين الإيمان والإلحاد، عداوة بين الصالح والطالح، وهذه العداوة كانت تأخذ شكل السطو والقهر

والحرب، وصورة الدفاع حتى الموت، فكان هناك حزبان.. حزب الشيطان وحزب الرحمن، والمؤمن عضو عامل فى حزب الله، ليس على شاكلته إنسان غيره إلا أن يكون عضوا عاملا فى حزب الله، ولو لم يكن الإنسان الأفغانى عضوا فى حزب الرحمن لما بقى له ولبلده **أفغانستان**، ولإخوانه الأفغانيين إلا الذل والهوان، إن المسلم الأفغانى قد ساد الأرض الأفغانية بعضويته فى حزب الرحمن، فى حزب الله الواحد القهار، له فكره فى حياته الخاصة والعامة، وله نظرته إلى الحياة، وله آلامه وآماله فى الحياة فوق أرض الأفغان، وله أهدافه وغاياته الإسلامية وانطباعاته عن الأمة الإسلامية، فهو إنسان قوى فريد على وجه الأرض، وهو يحب الله، ولا يحب سواه، وهو يدافع بكل قواه عن دين الله ﴿**والذين آمنوا أشد حباً لله**﴾ (سورة البقرة ١٦٥). هذا هو المؤمن الأفغانى الذى هزم أقوى الأقوياء على وجه الأرض، وهو يحارب أقوى الأقوياء على وجه البسيطة.

دور العلماء الأفغان فى قيادة الأفغان:

وكان العالم الأفغانى السيد جمال الدين الأفغانى بانى الثورة الإسلامية فى العالم عامة، وفى البلاد الشرقية والإسلامية بخاصة، وفى **أفغانستان** بالأخص، كان يتمتع بمنزلة عالية من التقدير فى نفوس الأفغان، ولا يزال كذلك، فهو فى نفوس الأفغان وفى نفوس المسلمين قمة من قمم الفكر الإسلامى، وأمة من الأمم المجاهدة، وصورة حية نابضة تعيش فى القلوب ممتزجة بالدماء والأرواح داخل الأحاسيس والعواطف الإسلامية. وبالإضافة إلى ذلك فهو فى نفوس الشرقيين نموذج من نماذج النضال لتحرير الشعوب، وإثارتها ضد التبعية والتذيلية

والاستعمار، لأنه غرس فى **أفغانستان** بـذور الوطنيـة الإسـلامية، كمـا غـرس فـى الشرق عامة بذور الإصلاح الوطنى، واليقظة الوطنيـة، وقـد قـام بقيـادة الإصـلاح الفكرى لكل ثورة إسلامية فى الشرق وفـى الغـرب علـى السـواء، وكـان الهـدف النهائى لأفكاره إيقاظ الشعوب والأمم مـن غفوتهـا، وتنبيههـا إلى مخـاطر الزحـف الاستعمارى، وتجديد الاجتهاد الإسلامى، وبعث النهضة الإسلامية فى كل الديـار والممالك الإسلامية، والجهاد الإسلامى فى بلده **أفغانستان** جاء حلقة قوية وحركة تجددية فى سلسلة أفكاره الجهادية التى نادى بها منذ سنوات طويلة، وكأنه يبعـث بتأثيراته القوية وبأفكاره الإصلاحية إلى وطنه الجريح من خـلال دعوتـه إلى الجهـاد والنضـال، وإلى اليقظـة الوطنيـة، وإلى صحـوة التنويـر والتحديـث، وإلى إحيـاء الاجتهاد والجهاد، إن روحه الثورية الإصلاحية لتحلق فى سمـاء وطنـه العظيـم فـى سعادة بالغة، وهى ترى أرضه الطاهرة يرويها المجاهدون بدمائهم الزكيـة الطـاهرة. لقـد زرع فـى أرض بـلاده بـذور الحريـة والجهـاد، وعمـق فيهـا أسـاس التنويـر والاستنارة، والتضحية والفداء، وأبناء وطنه يقدمون أجمل صـور الفـداء والتضحيـة وأروعها. وهـم لا يخافون من السلطان ولا يخشون من الشيطان، ولا يبالون بالنـار والدمار اللذين يلحقان بالديار التـى أنبتـت هـذا القـائد المغـوار، والمصلـح الجبـار، وسفير الإسلام للديار. وقد قام العلمـاء الأفغـان بتسـلم ثـورة السـيد جمـال الديـن الأفغانى الإصلاحية، وقاموا بتطبيق منهجه الثـورى الإصلاحـى العظيـم، ومقاومـة الظلم والاستبداد والإلحاد وطغيان الحكام والأمراء، فكان لهـم مرشـدا وقـائدا فـى دورهم المؤثر المستمر المثمر فـى إعـلاء كلمـة الله بالجهـاد بكـل وسـائل النضـال، وذلك اقتداء بهذا الرجل الحكيم، والمصلح الاجتماعى الثائر العظيم.

لقد ظهر دور العلماء الأفغان فى إعلاء كلمة الدين بالسيف والقلم، وقد وقف العلماء ورجال الدين والطرق الصوفية موقفا صلبا ضد كل من حاولوا النيل من العقيدة الإسلامية فى **أفغانستان**، وقاموا بإثارة القبائل الأفغانية الشديدة المراس، واستطاعوا إلحاق الهزيمة بالمعتدى وكان علماء الإسلام فى بلاد الأفغان وراء كل ثورة قام بها الشعب الأفغانى الأبى. ووقف العلماء مع كل حاكم أفغانى أعلن تحكيم الشريعة الإسلامية وجعلها المصدر الوحيد للقوانين فى البلاد. وقد ظهرت مقاومة العلماء الأفغان للتيارات الإلحادية فى عصر كل من الملك السابق محمد ظاهر شاه ، والرئيس الأسبق السردار محمد داود خان، وظهر دورهم بارزا ومؤثرا فى مقاومة الاتجاهات العلمانية، وفى محاربة توطيد العلاقات الأفغانية الروسية، وقد زج بكثير منهم فى السجون الأفغانية فى أيام محمد ظاهر شاه ومحمد داود. وفى أحضان هؤلاء العلماء ورجال الدين، ورجال التعليم الدينى، وتحت تأثير هذه البيئة الجبلية القبلية الطائفية النقية نمت الدعوة الإسلامية، وأثرت فى العمل السياسى والاجتماعى والثقافى، والفضل فى ذلك يرجع إلى هؤلاء الأتقياء من العلماء ورجال الدين والتصوف والتعليم فى المسجد والمدرسة والمعهد. إن الحركة الإسلامية فى مختلف أشكالها وصورها وقوالبها وألوانها قد قادها فى **أفغانستان** المدرسون فى المدارس الدينية وغير الدينية، والأئمة فى المساجد الأفغانية فى المناطق الريفية وفى القرى والمدن، وشيوخ الطرق الصوفية فى التكايا والربط والملاجئ والخانقاهات المنتشرة فى البلاد الأفغانية وكان هؤلاء جميعا جنودا مجندة للدفاع عن العقيدة فى كل وقت، وفى كل ظرف. وكانوا بالإضافة إلى ذلك أى بالإضافة إلى عملهم فى المدرسة، والمسجد والتكية كانوا قادة للشعب الأفغانى

يقودون الشعب عند كل حادثة ألمت بالبلاد، وهددت عقيدته الإسلامية، وحريته الاستقلالية، وثقافته الوطنية، وكيانه القومى، وكانوا يحكمون الحياة العامة، ويوجهون الشعب إلى الجوانب الطيبة والمفيدة فيها، فكان لهم فى الأفغان نصيب كبير من التأثير، كما كان للأفغان فيهم نصيب كبير من التقبل والتشجيع وحسن الاستقبال.

وقد ظهر على مر الأجيال وفى العصور الحديثة والقديمة علماء مصلحون، وشيوخ مرشدون عظام، تعاونوا فى رفد هذا النبع الصافى المتدفق، وفى تسيير نهر الجهاد بأفكارهم، ومجاهدتهم، وبآرائهم النيرة التى استلهموها من فكر السيد جمال الدين الأفغانى الذى أحدث ثورة إصلاحية فى إطار الاتجاهات الإسلامية المجددة والذى ترك أثره القويم فى سلسلة طويلة تالية من العلماء والفقهاء المجددين الذين أعلنوا الحرب ضد الفساد والإلحاد، والظلم والاستبداد فى النظام الملكى، والجمهورى، وفى النظام اليسارى الشيوعى القائم الآن فى **أفغانستان** بمساندة القوات الروسية التى تحتل بلاد الأفغان منذ عام ١٩٧٩م (١٤٠٠هـ) لمساندة هذا النظام الفاسد المفروض على البلاد والعباد فى **أفغانستان**.

وللعلماء الأفغان دورهم المؤثر الذى ورثوه من الأفغانى فى جهادهم ضد البريطانيين فى الحروب الثلاث التى دارت رحاها بين الأفغان والإنجليز. فكانوا ثورة عليهم فى الحرب وفى السلم على السواء، كما كانوا ثورة على كل حاكم انحرف عن المنهج الإسلامى كل ذلك بهدف إعلاء كلمة الله، وإقامة حكم إسلامى فى الأراض الإسلامية، وتحرير **أفغانستان** من سيطرة الكفر والإلحاد

والشيوعية الكافرة الفاجرة، والوقوف بصمود وثبات ضد كل أنواع الفتنة وألوان الفساد والإلحاد تحت راية الجهاد الإسلامى.

وتحت تأثير العلماء الأفغان وعلى رأسهم السيد جمال الدين الأفغانى أبت **أفغانستان** الضيم والذلة والخنوع، ونفرت من الاستعباد والاستعمار والعبودية أشد النفور، واستمسكت بالعروة الإسلامية الوثقى، والتجأت إلى ربها، ولاذت بالشريعة الإسلامية الغراء، واتجهت فى سلوكها الإسلامى إلى الله القوى، واسترشدت بالإسلام وبكل مافيه من النظام، وسلمت القيادة والريادة للعلماء الصناديد الأبطال، فأحسنوا القيادة وقادوا المعارك الحربية والسياسية ووقفوا فى مواجهة المؤامرات والمغامرات، وضحوا فى الدفاع عن البلاد والعباد، وعن الدين الحنيف والعقيدة الإسلامية السمحاء بدمائهم الزكية طمعا فى إرضاء ربهم، وهم يتسابقون إلى الشهادة والفداء، وإلى التضحية والوغى لكأنما عبير الجنة الموعودة للشهداء الأبرار يزداد شذاه الطيب مع كل قطرة دم تراق دفاعا عن العقيدة والوطن، إنه الدم لونه لون الوردة الحمراء، وريحه ريح المسك الطيب الشذا.

وتعاظم شأن دور العلماء والمعلمين، ورجال الدين والأئمة فى قيادة الجماهير الأفغانية، وطالبوا الحكومة بوضع حل عاجل للإهانات والمهاترات التى كانت عصابات الشيوعيين ترتكبها ضد القيم الإسلامية كالحماقة والوقاحة التى ارتكبها أحد أعضاء تلك العصابات المضللة وهو " بارك شفيع " الذى صلى على إلهه لينين بدلا من النبى صلى الله عليه وسلم، وذلك فى الاحتفال الذى أقامه الشيوعيون بمناسبة عيد ميلاده المشوى، فقامت جماعة العلماء ورجال الدين بمظاهرات ومسيرات صارخة تطالب فيه الحكومة بوضع حد لهذه الإهانة التى تقوم بها هذه

العصابات لإضلال الناس بالأكاذيب والأضاليل الشيوعية الشيطانية وكان الطابع السياسى لمظاهرات العلماء ومسيراتهم هو وقوف الحكومة أمام هذا التيار الشيوعى الجارف الذى نشأ تحت أرض كابل بمساعدة روسيا، ولم تكن هذه المسيرات لعلماء الإسلام ورجال الدين وأئمة المساجد والمعلمين الإسلاميين فى المدارس الأهلية والأميرية، والطلاب فى المدارس الدينية، وطلاب حلقات الدرس فى المدن والقرى إلا للدفاع عن الكرامة الإسلامية التى لم تدنس فى تاريخ **أفغانستان** إلا من قبل هذه العصابات المضللة العميلة التىأهانت القرآن الكريم والمؤسسات الإسلامية الأخرى، لم يقم العلماء بحشدهم الكبير سنة ١٩٧٠م (١٣٨٩هـ) من وجهة نظر القومية، أو الوطنية، أو الإقليمية، أو اللغوية، وإنما قاموا بهذا الحشد الكبير باعتبار أن إهانات الشيوعيين للإسلام والمسلمين والحرمات الدينية تزداد يوما بعد يوم وتحت بصر الحكومة الأفغانية التى اتخذت نحو هذه الإهانات والحماقات والمهاترات التافهة، والتفاهات الصبيانية موقفا متساهلا مائعا غير جدى وغير شريف وكأنها تؤيد العصابات الشيوعية فى ذلك. وقد استمر هذا التظاهر الدينى عدة أيام فى كابل الذى اشترك فيه كل من اليمين واليسار والوطنى أيضا، إلا الحكومة الضعيفة التى ظلت نائمة ولا تحرك فى ذلك ساكنا حتى قامت بقمعه بالقوة بدلا من اتخاذ موقف مشرف للوقوف فى طريق العصابات المأجورة من الشيوعيين الماركسيين تجار حرية **أفغانستان** واستقلالها القومى. وقد أعاد العلماء بحشدهم هذا فى المظاهرات ضد الإلحاد الشيوعى إلى الأذهان دورهم المتميز فى تاريخ **أفغانستان** الجهادى قديما.

الصراع على الجبهة الشمالية:

لولا موقف الشعب الأفغانى الصلب الحازم لمحته روسيا من التاريخ كما محت شعوبا إسلامية أخرى من الوجود، إن قصة هذه الشعوب من أشنع وأبشع ما عرف التاريخ البشرى من قسوة وإجرام وظلم وإبادة وفظاعة. لولا شكيمة الشعب الأفغانى وبأسه الشديد لأبادته روسيا كما أبادت تلك الشعوب، وضمت أراضيها الشاسعة الواسعة الخصبة إلى الأراضى الروسية. هذه الشعوب والأمم من القوقازيين والجراكسة ومن غيرهم من شعوب أواسط آسيا قد اعتنقوا الإسلام على المذهب السنى المحافظ، وكانت لهم مساجد ومدارس ومدرسون مسلمون لتعليم الإسلام وأحكام شريعته. وكان لمقاطعاتهم تاريخ طويل قديم كتاريخ الأفغان، وكان لهم نضال شريف دون أوطانهم كنضال الأفغان وجهادهم الطويل، حاربوا المغول، والألمان والقياصرة ونجحوا فى صد هجمات هؤلاء جميعا. فلما جاء سفاح التاريخ ستالين قاتلهم وحاربهم بطريقة لم يعرفها التاريخ من قبل. قام باستئصالهم نهائيا، محاهم محوا تاما من التاريخ الإنسانى، أزال معالم بلادهم من فوق الخريطة الأرضية، أباد أكثريتهم الساحقة وشتت البقية الباقية فى شمال سيبريا وغيرها من الجهات البعيدة النائية، وذابوا فى الأجناس الأخرى فى تلك البقاع. وجاء إلى بلادهم بقوم آخرين من الروس فأقاموا فيها واستعمروها، وبذلك امتدت رقعة الأراضى الروسية على حساب تلك الشعوب التى تمت إبادتها.

ظلت هذه الشعوب والأمم تواصل حياتها فى أوطانها حتى قامت الثورة البلشفية فأرادت روسيا البلشفية أن تضع يدها على هذه البلاد الآمنة، ولكنها

الحدود الأفغانية الروسية

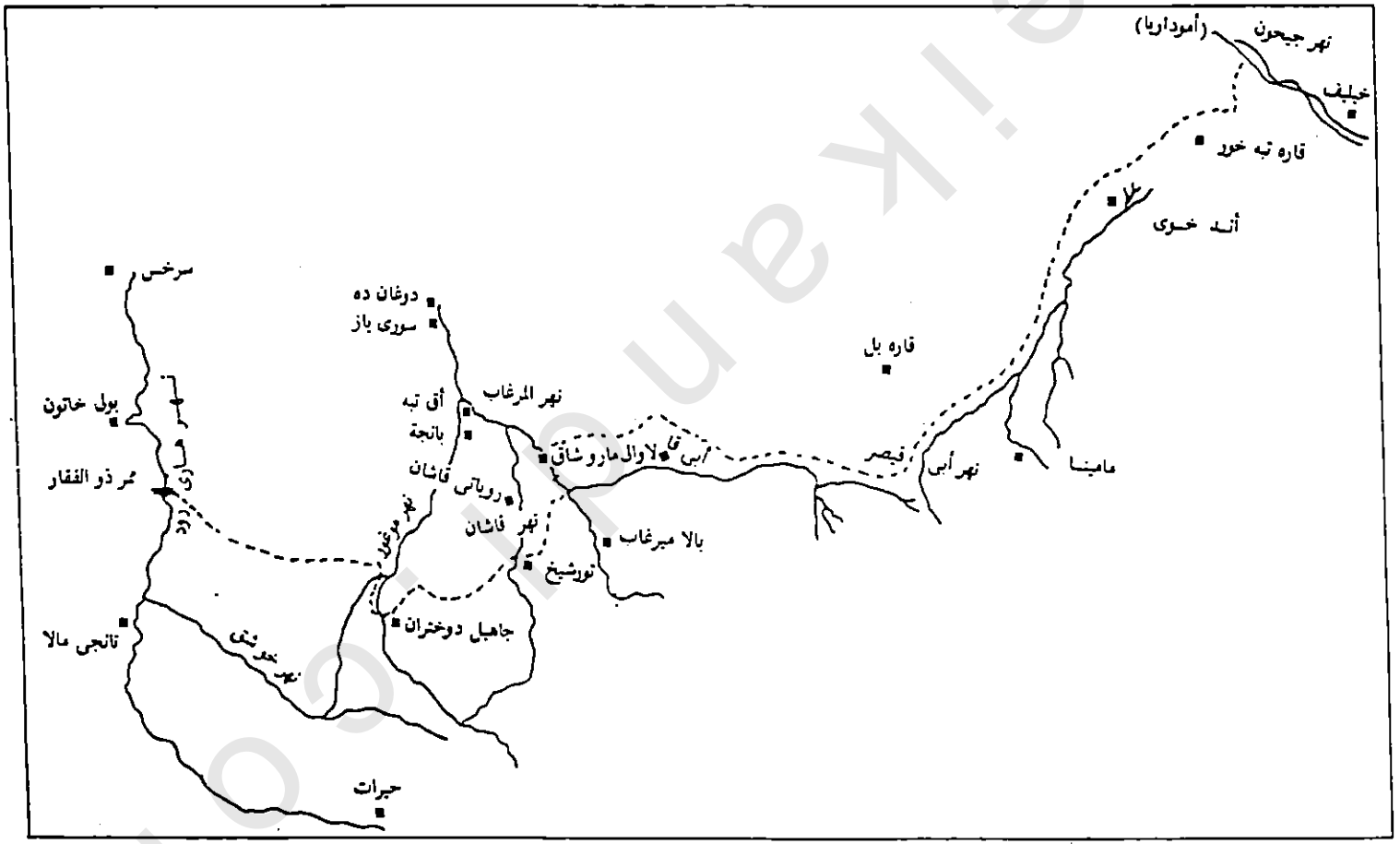

قاومت مقاومة لا تعرف اللين، فاضطر لينين أن يدعهم إلى فرصة أخرى. وفى سنة ١٩٤٤م (١٣٦٣هـ) اتهم ستالين السفاح هذه الشعوب بالتعاون مع الألمان ضد الروس، فدخل الجيش الروسى إلى هذه البلاد بحيلة الراحة بعد العودة من جبهة القتال مع الألمان فحاصرهم وقبض عليهم، وساقهم فى القطارات إلى المنفى، مات منهم من مات من البرد، والجوع، ومشقة السفر، أما الزعماء منهم وأعضاء الحكومة فأعدموا رميا بالرصاص.

لولا الله، ثم لولا قوة البأس وقوة الشكيمة فى الأفغان، وعدم الرضا بالذلة لحاكم أجنبى، لعاملهم الروس معاملة هؤلاء الشعوب، ولقضى عليهم وعلى بلادهم إلى الأبد.

مناوشات قاجارية بإثارات روسية:

من البطولة بمكان أمر هذا الشعب الذى عاش أكثر فترات تاريخه الطويل بين عدوين شرسين من جبابرة العصر وطغاته، وبين أخ من الجيران يتحول أحيانا إلى عدو بإثارة من هذا حينا، وبإشارة من ذاك حينا آخر وفقا للظروف السياسية، والأوضاع العسكرية ورغم ذلك فقد حافظ على كيانه الإسلامى المستقل، وعلى عرينه كموطن للإسلام حصين، لم يتمكن الروس والإنجليز والقاجاريين أن ينالوا من الشعب الأفغانى ومن عرينه الحصين قلعة الإسلام وموطن المسلمين، وإن كانوا قد استطاعوا بتر أجزاء كبيرة من هذا العرين الأفغانى، قطعوا منه أجزاء فى الشرق، وأخرى فى الغرب، وثالثة أخرى فى الشمال خطيرة.

كان لزاما على الشعب الأفغانى أن يدفع الشر من أجنابه الثلاثة قدر الإمكان، وقدر القدرات المتاحة لمثل هذا الدفاع الإلزامى، إلا أنه نظرا لشراسة الأعداء، ولشدة مواقفهم العدائية التوسعية كل فى جهته قد تم البتر التوسعى رغم المقاومة، والاستماتة فى الدفاع، ودفع الشر عن البلاد، وكان التعاون واضحا جليا لتحقيق مثل هذه الأهداف التوسعية، وكانت المؤامرات ضد **أفغانستان** يتم الاتفاق عليها بين الجهات العدائية الثلاث فى الخفاء. وتنفيذا لهذه الاتفاقات بدأت الاستقطاعات بهذه المناوشات الروسية القاجارية:

مناوشة عام ١٨٠١م (١٢١٥هـ) الروسية بالإثارة الفرنسية:

إن مناوشة سنة ١٨٠١م (١٢١٥هـ) الروسية الفرنسية لم تنفذ نظرا لاستحالة تنفيذها من الناحية العملية، وكان الغرض منها على ما يبدو لى تخويف الحكام فى **أفغانستان** من ناحية، وتخويف الإنجليز فى الهند من ناحية أخرى، فقد أرادت روسيا القيصرية بإيماء من نابليون احتلال الهند وتدويخ الإنجليز فيها أو تخويفهم، وذلك بتوجيه ٢٢ ألف جندى روسى، و٢٤ مدفعا عن طريق بخارى، وخيوه عبورا على **أفغانستان**، ووصولا إلى البلاد الهندية، إلا أن فكرة احتلال الهند عن طريق البلاد الأفغانية لم تنفذ بسبب اغتيال الامبراطور بال الأول وابنه، وبسبب استحالة التنفيذ عمليا. ورغم ذلك فإن هذه الفكرة ظلت تراود قياصرة روسيا فيما بعد لأهمية الفكرة فى السياسة الروسية الطويلة المدى حيث إنها تشتمل أولا: الوصول إلى المياه الدافئة وبالتالى إلى الذهب الأسود فى الخليج. ثانيا: تخويف

المستعمرين الإنجليز فى الهند وإقلاقهم. ثالثا: تخويف أمراء **أفغانستان** بهذا التهديد المستمر الذى ينذر بنذر الاحتلال كهدف وكوسيلة للوصول إلى الهدف.

مناوشة عام ١٨٠٢م (١٢١٦هـ) الروسية بالإثارة الفرنسية النمساوية:

وقد حاول الإسكندر الأول فى عصره تنفيذ هذه الفكرة الروسية للوصول إلى الهند واحتلالها وطرد الإنجليز منها، وكان القيصر الروسى الإسكندر الأول هذا يريد أن يوجه ٢٥ ألف جندى من الجيش الروسى لتنفيذ فكرة احتلال الهند عن طريق استرآباد الإيرانية، وهرات، وقندهار الأفغانيتين يشاركه فى ذلك جيش كل من فرنسا والنمسا. إلا أنه لم يتمكن من ذلك لخطورة الخطة واستحالة تنفيذها. ورغم ذلك فإن هذه الفكرة وطرق تنفيذها نوقشت كثيرا بين القواد والمسئولين الروس، وقد وصلوا فى تصور تنفيذ هذه الخطة إلى ما يأتى: أولا: فتح باب المفاوضات مع كابل، وتقوية هذه المفاوضات ومساندتها وتنشيطها بإنزال فرقة عسكرية روسية كاملة فى كابل. ثانيا: احتلال كابل، وتحديد خط السير إلى الهند، وإعداد الأجهزة اللازمة لتنفيذ هذه الخطة. ثالثا: الهجوم على الهند بصورة مفاجئة، ودخولها بشكل مباغت كما فعل الأمير تيمور الجورجانى.

تلك كانت أحلام قياصرة الروس، وأحلام قوادهم العسكريين وزعماء روسيا السياسيين، ما استطاعوا تنفيذها، بل كانوا يهددون الإنجليز فى الهند، ويتخذون من **أفغانستان** وسيلة لهذا التهديد، والدليل على ذلك أنهم اتفقوا مع الإنجليز فى

سنة ١٩٠٧م (١٣٢٤هـ) فى اتفاق ودى بينهم على تقسيم البلاد الأفغانية والفارسية كمناطق نفوذ للفريقين الاستعماريين الإنجليز والروس، وكان قبل ذلك يهدد كل فريق من الفريقين الفريق الآخر باحتلال الأفغان أو الفرس لسد الطريق فى وجه الفريق الثانى الغريم، أما فى الاتفاق الودى الأخير فإنهم قد اتفقوا على تقسيم ما لا يملكون على من لا يستحقون، أى تبرعوا بأموال لا يملكونها للصوص لا يستحقون التبرع، بل إنه يجب قطع أيدى هؤلاء اللصوص قبل أن تمتد إلى هذا التبرع الذى تم الاتفاق عليه بين اللصوص أنفسهم دون علم صاحبه، إنها لفلسفة القوة والاستبداد واللعب بحقوق الشعوب، وامتصاص دماء الأمم، والاستيلاء على أفكارها وأموالها، وثرواتها، وعلى أراضيها، والتحكم فى إرادتها الدينية ومصيرها السياسى والاقتصادى، أصحاب الأرض يكدحون، وأصحاب القوة يستمتعون، أصحاب الأرض يتبرعون بأرضهم وهم لايرضون، ولهذا كانت الحرب محتومة على أصحاب الأرض الذين بقوة إيمانهم بحقهم سينتصرون. إن أعداء الشعوب فى الشرق وفى الغرب لا يؤمنون بحق الشعوب فى الحياة، الغزاة غزاة شرقيون أم غربيون، لا يعملون ولا يغزون ولا يستعمرون إلا لأهدافهم الاستعمارية الدنيئة الخسيسة. والشعب الأفغانى صاحب الديانة والثقافة والحضارة والأرض وصاحب قوة الإيمان بحقه فى أرضه لم يسكت على هذا النوع من الذل والظلم والطغيان، وكان الدفاع فى الجبهة الشمالية والغربية، كما كان الدفاع فى الجبهة الشرقية والجنوبية. انتصر الشعب الأفغانى فى كثير من معارك الدفاع، و لم يحالفه النصر فى القليل.

مناوشة عام ١٨١٨م (١٢٣٣هـ)
القاجارية بالإثارة الروسية:

فى سنة ١٨١٨م (١٢٣٣هـ) أثارت الحكومة القاجارية فى إيران موضوع الهجوم على **أفغانستان**، فهاجمتها إلا أنها لم تتمكن من تحقيق أهدافها السياسية والتوسعية، وكل ما استطاعت أن تكسبه من هجومها على الأفغان هو إثارة الفتن بين الأمراء الأفغان التى نتجت عنها أحداث مؤلمة تركت آثارها السيئة على العلاقات الأخوية بين الشعبين الشقيقين التى استفادت منها كل من روسيا وبريطانيا اللتين كانتا تتربصان بهما الدوائر. واتخذت روسيا أثناء الحرب موقفا سلبيا فى انتظار فرصة سانحة تسمح لها بوضع اليد على أجزاء من جسد الوطن الأفغانى منتهزة فى عملية الانقضاض على تلك الأجزاء الأفغانية الخلافات التى أثارتها المهاجمة الحكومية الإيرانية بين الأمراء الأفغان بالإضافة إلى استغلالها وانتهازها الاعتداءات الإنجليزية المتكررة على البلاد الأفغانية.

أخلفت روسيا فى وعودها الكاذبة لحكومة إيران كما خانت خيانتها الكبرى فى وعودها المخادعة البراقة لحكومة كل من الأمير دوست محمد خان، والأمير شير على خان اللذين كانا قد اعتمدا فى حربهما ضد الإنجليز على المساعدات الروسية، وقد راحت ضحية هذا الاعتماد حكومة كل من الأميرين الأفغانيين. ووقتها قال الشعب الأفغانى الحكمة الأفغانية التى تقول: " الكلب الأصفر شقيق الثعلب الماكر " لا فرق بين الكلب الروسى الأصفر وبين الثعلب الإنجليزى الماكر، التشابه بينهما واضح فى الانقضاض على الوطن الأفغانى بغرض الاحتلال، فإن لم

يتحقق ذلك لسبب، أو لآخر فللاستقطاع والتوسع وهو أضعف الأهداف، إلا أنها من أسهلها تحققا وهدفا ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء...**﴾ سورة المائدة ٥٧.

مناوشة عام ١٨٣٧م(١٢٥٢هـ)القاجارية الروسية:

فى سبتمبر سنة ١٨٣٧م (١٢٥٢هـ) قامت حكومة محمد شاه القاجارى فى إيران الشقيقة بالحملة العسكرية على " هرات " الأفغانية، وحاصرتها تحت حماية الضباط الروس وامتدت المحاصرة وطالت حتى ديسمبر ١٨٣٨م (شوال ١٢٥٣هـ)، ولما لم يستسلم الشعب الأفغانى فى هرات و لم ييأس من رحمة الله وفضله، وقد وفقه الله حتى تمكن من فك الحصار القاجارى، وقد فشل محمد شاه القاجارى من وضع اليد على مدينة " هرات " التى قاومت مقاومة شديدة بقيادة الأمير " كامران خان " الذى عرض الصلح على الجانب القاجارى لرفع معاناة الحصار عن أهل المدينة، واستمرت حكومة محمد شاه القاجارى فى القتال ورفضت العرض الأفغانى وطالب الأمير " كامران خان " بالاستسلام.

وكان الروس والإنجليز يخشون الاتحاد بين الأفغانيين والإيرانيين، وكانوا يحرصون حرصا شديدا على التفريق والتباعد بين الجانبين علما منهم بأن التقارب بينهما ليس فى مصالحهم الاستعمارية. وقد بذل الأمراء الأفغان مساعيهم ليتم التقارب بين **أفغانستان** وإيران، وبدأوا يراسلون الشاه بهذا الشأن ويوادونه، ويرسلون إليه السفراء والرسل، ويتخذون منه موقفا أخويا مخلصا، ولكن الروس

والإنجليز كانوا يخافون من هذا التقارب بين المسلمين، فكان الهجوم على هرات، ومحاصرتها مدة طويلة عانى فيها الأهلون معاناة شديدة.

قام الروس بتخدير الأفغان بالمعاهدات، وخدروا الحكومة القاجارية فى إيران بقوة الاحتلال والاستقطاع وبالمعاهدات، ثم أرغموها على التدخل فى **أفغانستان** بهجومها على هرات بعد أن وعدوها بضم كل من هرات وقندهار الأفغانيتين إلى الأراضى الإيرانية، ولتخدير الأمراء الأفغان أرسلوا مندوبا روسيا إلى كل من كابل وقندهار بحيلة تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية إلى الحكومة الأفغانية لإعادة بشاور إلى الوطن الأم، وكان الإنجليز قد استولوا عليها، وقدم المندوب الروسى رسالة بهذا الشأن إلى الأمير دوست محمد خان، وذلك بغرض تخديره بالوعود، وقد تمكنوا بذلك من تخدير العناصر الرئيسية فى القضية وهى **أفغانستان** وإيران والإنجليز، وبدأوا بعد ذلك بتنفيذ عمليات الاستقطاع من الوطن الأفغانى ومن البلاد الإيرانية أيضا. واستغلوا فى ذلك الحكومة الإيرانية الشقيقة.

مناوشة عام ١٨٥٣م (١٢٦٩هـ)
الإيرانية بالإثارة الروسية:

لم يكن الهجوم القاجارى على هرات الأفغانية مثمرا فى إنهاء الخلافات والمشاكل بين **أفغانستان** وإيران الشقيقتين، بل أضاف إلى ذلك بعدا جديدا لم يكن موجودا قبل ذلك، حيث نشأ من ذلك إحساس بالمرارة فى البلدين، كان سببا فى استمرار شعور العداء السافر الذى كانت الحكومة القاجارية فى إيران

تضمره إزاء الأمراء الأفغان الذين كانوا عقبة فى طريقها منعتهم من الإستيلاء على هرات. ومن مظاهر هذا العداء قيام الإيرانيين بهجوم على مدينة هرات مرة أخرى فى عام ١٨٥٣م (١٢٦٩هـ) بغرض احتلالها، وكان ذلك بإيماء من الروس وبإثارة وعودهم الكاذبة لكل من الحكومتين الأفغانية والإيرانية. ولم يتمكن الإيرانيون من البقاء فى هرات طويلا، حيث انسحبوا تحت ضغط المقاومة الأفغانية من ناحية، وتحت الضغط الإنجليزى من ناحية أخرى، وبسبب خيبة الأمل فى المساعدات التى وعد بها الرفاق الروس الذين كانوا يتراجعون فى كل مرة حاول الإيرانيون فيها الاستيلاء على هرات، وفى الخطوة الثانية على كندهار وما أدراك ما كندهار، وما بعد كندهار!.

مناوشة عام ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ) بالوعود الروسية الكاذبة:

كانت **أفغانستان** فى حالة حرب مع الإنجليز بصفة دائمة، وكان الأمير شير على خان فى حاجة ماسة إلى من يقدم له يد العون للتغلب على الإنجليز والقضاء على تدخلاتهم فى **أفغانستان**، فاستغل الروس هذا الموقف، وتقدموا إليه ووعدوه بتقديم معونات ومساعدات عسكرية فى حربه ضد الإنجليز، وفى سياسته ضد الحكومة القاجارية فى إيران، إلا أن الوعود الروسية بالمساعدات العسكرية والسياسية كانت كاذبة، حيث اتخذوا تجاه **أفغانستان** فى حربها ضد الإنجليز موقفا سلبيا، حاول الأمير شير على خان الاستغناء عن الروس وعن وعودهم الكاذبة، وظل يحارب الإنجليز أحيانا، ويصالحهم أحيانا، واستمر فى الكفاح حربا وسلما،

أما المقاومة الإسلامية الشعبية فإنها لم تتوقف عن الكفاح والجهاد على الجبهات الثلاثة شرقا وغربا وشمالا.. كانت فى اشتباك دائم ومستمر على الجبهات الثلاث. وذلك رغم الضغط الشديد عليها من الحكومات الثلاث الإيرانية والإنجليزية والروسية. وإذا كانت الحكومة الأفغانية قد انخدعت بالوعود الروسية فإن المقاومة الأفغانية الشعبية لم تنخدع بتلك الوعد أبدا.

مناوشة صحفية روسية للتستر على العدوان الإنجليزى:

فى عام ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ) بدأ الإنجليز زحفهم وتحركهم نحو **أفغانستان** لاحتلالها، وبدأت الحرب بين الأفغان والإنجليز فى جبهات مختلفة، بينما كانت الصحافة الروسية تقوم بنشر أخبار مضللة كاذبة حول الموقف المتوتر فى **أفغانستان** تؤكد فيه بأن الحرب لن تبدأ فى **أفغانستان** قبل حلول موسم الربيع من عام ١٨٧٩م (١٢٩٦هـ)، وكان الغرض من ذلك التستر على العدوان الإنجليزى ضد **أفغانستان** وفقا للاتفاق الذى كان قد تم بين الجانبين الروسى والإنجليزى حول الأوضاع فى **أفغانستان** للقضاء على الروح الإسلامية والوطنية فى الشعب الأفغانى، والقضاء على استقلاله الوطنى، وعندما افتضح أمر الصحافة الروسية، واكتشفت الأمور على حقيقتها، قام الروس وطلبوا من الأمير شير على خان الصلح مع الإنجليز، وكان الأمير مضطرا إلى ذلك حيث كان محتارا بين الاعتداءات الإنجليزية فى الشرق، وبين المخادعات والتخاذلات الروسية فى الشمال، ومع ذلك فقد قام الشعب الأفغانى بالمقاومة البطولية إلى النهاية، وذلك رغم أنف

الروس وموقفهم المتخاذل السلبى، وكذلك رغم أنف الإنجليز واعتداءاتهم المتكررة.

إن الروس قد قدموا وعودا كثيرة بتقديم المساعدات العسكرية والمساندة السياسية لتأييد الموقف الأفغانى فى كفاحه ضد الإنجليز، وفى خلافاته مع الحكومة فى إيران.. قدموا وعودا إلى الحكومة الأفغانية أيام كل من الأمير دوست محمد خان، والأمير شير على خان، والأمير محمد يعقوب خان، و لم ينفذوا من تلك الوعود شيئا، و لم يوفوا بعهدهم أبدا، وكان الهدف من تلك الوعود إثارة الإنجليز ضد الأفغان، وتقديم مساعدات عسكرية غير قابلة التنفيذ للأمراء الأفغان، ثم استغلال مثل هذه الظروف والأوضاع لتنفيذ سياستهم التوسعية على حساب الأراضى الإسلامية فى كل من **أفغانستان** وإيران، والوقوف سدا منيعا فى طريق التقارب والتآخى بين الشعبين الشقيقين الأفغانى والإيرانى، وقد تعاونت فى ذلك وساهمت فيه المسيحية القيصرية، والمسيحية الإنجليزية بغرض القضاء على الإسلام فى بلاد الإسلام.. **أفغانستان** وإيران.

عملية اعتداء عام ١٨٨٤م

(١٣٠١هـ) الروسية لاحتلال مرو:

قام الروس بالتمهيد لتنفيذ سياستهم التوسعية الإجرامية باتقان جيد حيث خدروا الإنجليز بالاتفاقيات، وخدروا الإيرانيين بالتعهدات، وخدروا الأمراء الأفغان بالمساعدات العسكرية وبالمساندة السياسية، ثم شمروا عن ساعدهم

للاستقطاعات عن جسد الوطن الأفغانى وكانت " مـرو " الأفغانيـة الهـدف الأول لهذه السياسـة. ففـى فـبراير سنة ١٨٨٤م (جمـاد أول ١٣٠١هـ) قـامت القـوات الروسية باحتلال " مرو " إحدى الولايات الأفغانية التاريخيـة، ونجـا أميرهـا " قجـر خان " من الموت وفر هاربا إلى كابل. وبدأت بعـد ذلـك ببـتر أجـزاء أخـرى مـن جسد الوطن الأفغانى.

محاولة عام ١٨٨٤م (١٣٠١هـ) الروسية لاحتلال 'أق رباط':

احتل الروس " مرو " الأفغانية، وكانوا قد احتلوا قبل ذلك كلا مـن تاشـكند، وخيوه، و " عشق آباد " ومدوا خط سكة الحديـد بـين بخـارى ومـرو وسـرخس، فقامت الحكومة الأفغانية بـالتجهيزات الدفاعيـة العسـكرية فـى واخـان، وشـغنان، وروشان بمنطقة بامير، وفى بنجده فى سنتى ١٨٨٣م و١٨٨٤م (سنتى ١٣٠٠هـ و١٣٠١هـ)، وفجأة قام الروس باحتلال مـرو الأفغانيـة، وتـلا بعـد ذلـك احتـلال سرخس التى كانت تحت الإدارة الإيرانية، وحاولوا كذلـك احتـلال " أق ربـاط " فى بادغيس بالقرب مـن هـرات، وهـددوا هـرات نفسـها، حيـث إن المسـافة بـين هرات ومرو تقدر بمائتين وأربعين ميلا. وكانت " بنجـده " الهـدف الثـانى لـلروس بعد استيلائهم على " مرو " التى كانت من المراكز العلميـة والأدبيـة فـى خراسـان الأفغانية.

إن الشعب الأفغانى يشعر فى قرارة نفسه بالنفور الشديد والكراهية المتزايدة، وبالمرارة الشديدة لاتفاق القوتين الرئيسيتين الاستعماريتين المتنافستين بريطانيا وروسيا على سياستهما التوسعية على حساب **أفغانستان**، اتفقت القوتان على تنفيذ سياسة الاحتلال أو الاستقطاع، أو المقاسمة، وقد عانى الشعب الأفغانى المسلم من هذه السياسة الروسية الإنجليزية المشتركة، ودفاعا عن السلوك الاستقلالى التقليدى أعلن الشعب الأفغانى الحرب ضد هذه الأعمال العدوانية ونفذ فيها هذين المبدأين الإسلاميين.. الحرب المقدسة دفاعا عن الأرض المقدسة. وليس من المستبعد أن يكون الاتفاق بين الروس والإنجليز للقضاء على هذا التقديس المتمكن من قلوب الأفغان.

عمليات عام ١٨٨٤م (١٣٠١هـ)
الروسية التمهيدية للوصول إلى بنجده:

قصة العمليات الروسية لاحتلال الأراضى الأفغانية تمثل الوجه القبيح من أعمال الروس فى العلاقات الدولية بين البلاد المجاورة، إنها قصة تمت عناصرها الروائية فى الخفاء ومن وراء ستار الصداقة وحسن الجوار، وفصول القصة عبارة عن الوعود الكاذبة، والتعهدات البراقة، والمساعدات الوهمية، والمعونات العسكرية، والمساندة السياسية، والتأييد المعنوى كل ذلك كالسراب الذى يخدع الظمآن، وكانت روسيا إذا أرادت احتلال جزء من الأجزاء الهامة، أو إقليم من الأقاليم مهدت لها بعمليات خاطفة سريعة تستقطع فيها تلك الأجزاء أو المناطق التى وضعت عينها عليها للغدر بها واستقطاعها من الوطن الأم. وهذه السياسة

هى التى نفذتها روسيا فى استقطاع كثير من المناطق والأقاليم من كل من **أفغانستان** وإيران، مهدت لاحتلال مرو وسرخس باحتلال تاشكند، وخيوه، و " عشق آباد " ومهدوا لتوجيه التهديد إلى هرات الأفغانية بمحاولتهم احتلال " أق رباط " وها هم يمهدون لاحتلال بنجده واستقطاعها وفصلها من الوطن الأم باحتلال وقطع أعضاء أخرى من جسد الوطن الأفغانى فى الحدود المتآخمة للحدود الروسية.

ففى سنة ١٨٨٤م (١٣٠١هـ) قامت القوات الروسية القيصرية باحتلال كل من منطقة " بل خاتون " و " قزل تيبه " و " بل خشتى " وذلك تمهيدا لاحتلال الإقليم الأكبر الأهم، وهو إقليم " بنجده " الإستراتيجى الهام، وضربت بذلك كل الأعراف الدولية الخاصة بحقوق الجوار والمواثيق والمعاهدات عرض الحائط، المهم فى نظرها هو الحصول على الأرض بغرض التوسع. ودهش الشعب الأفغانى فى هذه المناطق وروع لهذا الموقف العدائى من الأصدقاء الذين كانوا ينادون بأعلى الأصوات نداءات الصداقة والتعاون بين الجيران الأصدقاء، وتحولت الصداقة إلى العداوة، وتحول أصدقاء الأمس إلى أعداء اليوم، لا يعرفون حقوق الصداقة، وعلاقات الجوار، ولا يعرفون الأعراف والمواثيق الدولية الخاصة بسلامة الأراضى للدول المجاورة، ولا يعرفون إلا قانون القوة والاستيلاء بالقوة.

عملية عام ١٨٨٥م (١٣٠٢هـ)
الروسية لاحتلال بنجده:

الأمير عبد الرحمن خان الذى عاش مدة فى سمرقند كان يعرف جيدا أنه من الخطأ الاعتماد على الصداقة الروسية، وقد وصل الأمير إلى هذه النتيجة بعد أن قام بتحليل السياسة الروسية فى الشرق، ووضع أمامه أوراق تاريخ كل من الأمير دوست محمد خان، والأمير شير على خان، والأمير محمد يعقوب خان، ومن هنا كان الأمير يتعامل مع الروس بحذر شديد، و لم يكن يقترب منهم إلا فى أضيق الحدود، و لم يكن يسمح للروس بوضع أقدامهم داخل الأراضى الأفغانية، وكانت أوامره للموظفين الأفغان العاملين فى مراكز الحدود المشتركة صارمة وحازمة بهذا الشأن، وقد راح ضحية هذه الأوامر والى هرات السردار عبد القدوس خان الذى سمح لروسى بالعبور إلى إيران عن طريق هرات، وكان جزاؤه الطرد لقاء هذا العمل الشنيع الذى خالف فيه أوامره. ورغم كل ذلك لم يكن يرغب فى إثارة مشاكل تسبب إثارة العدواة الروسية. ولعدم الاعتماد على الصداقة الروسيةكان يهتم كثيرا بتقوية سلاح الحدود وتسليحه المتمركز فى كل من بلخ، وميمنه، وهرات، وفى غيرها من الثغور الأفغانية فى مواجهة التهديد الروسى **لأفغانستان** من بلاد ما وراء النهر المحتلة.

ففى أواخر مارس سنة ١٨٨٥م (١٣٠٢هـ) هاجمت القوات الروسية " ينجده " الأفغانية واحتلتها بالقوة. وكان الأمير عبد الرحمن خان يزور الهند البريطانية. وكان الروس قد مهدوا لاحتلال ينجده باحتلال كل من " بل خاتون " و " قزل تيبه " و " بل خشتى " كما مر، وكان قائد القوة الروسية الجنرال كوماروف الذى قام بالاستيلاء على " جشمه سليم " و " جمن بيد " أيضا. وقد أثار استيلاء الجنرال " كوماروف " على إقليم بنجده استياءا وإحساسا بالمرارة،

وشعورا بالكراهية نحو الروس ونفورا منهم ومن خيانتهم للصداقة والجوار، ومن أعمالهم التى تنافى المواثيق الدولية فى جميع أنحاء **أفغانستان**، وثار الناس فى كل مكان ضدهم، وطالبوا الحكومة بالسماح لهم بخوض المعارك ضد الروس الذين قاموا بالاستيلاء على أجزاء غالية وقطع صلتها عن الوطن الأم، وأرسلت القبائل الأفغانية مندوبين منها للمطالبة بإعلان الحرب المقدسة لاسترداد الأرض الإسلامية المقدسة.

صدى الاستيلاء الروسى على بنجده:

فقد أثار هذا الاحتلال والاستيلاء الروسى على " بنجده " الأفغانية، وقطع عضو من أعضاء جسد الوطن الأفغانى ثورة شعبية عارمة، وأهاج هيجانا إسلاميا عظيما يجيش بالغضبة القومية فى جميع أنحاء البلاد الأفغانية، وفى منازل الأفغان المترامية الأطراف، وأحدث ضجة كبيرة بين القبائل والطوائف الأفغانية المتعددة، ثارت وهاجت قطاعات واسعة من الشعب، وطالبت بأخذ الثأر وطرد الروس المحتلين، والوقوف ضد الزحف الروسى بحزم وبصرامة لتحطيمه، وتطهير البلاد الأفغانية من هؤلاء الروس المنحطين. ووصل إلى كابل مندوبون من القبائل الأفغانية فى الأقاليم والولايات المختلفة مطالبين التطوع للدفاع عن الإسلام والوطن، كما وصل إلى كابل مندوبون من القبائل الأفغانية فى كل من أقاليم ومناطق بشاور، و " ديره جات " وبلوجستان، وكذلك من جترال، وسوات، وبنير، ودير، وباجور، ومهمند، وكذلك عدد من مسلمى خوقند، وسمرقند، وبخارى، ومن مسلمى كل من أقاليم السند والبنجاب والهند، وطالبوا الحكومة

الأفغانية بالسماح لهم فى الحرب ضد الروس الذين قاموا بالاستيلاء على " بنجده " الأفغانية. ونادوا بالجهاد، وقد أصبح الجهاد فرضا على جميع أبناء الأفغان فى كل بقاع الأرض الأفغانية، وفى شتى أصقاعها، دانيها وقاصيها، وذلك لتحرير البلاد الأفغانية من براثن الدب الروسى، وتطهيرها من دنس القوات الروسية، وكانت جميع الأقاليم الأفغانية تدعو إلى تطبيق مبدأ الحرب المقدسة للأرض المقدسة وإعلان ذلك ضد الروس أعداء المسلمين فى **أفغانستان**.

إن الاستعمار على أنواع، والاستعمار الروسى أحط أنواع الاستعمار لأن أساسه قائم على الذل والمهانة وامتهان الإنسانية، واستعمال القوة لإذلال الشعوب والأمم وتعريتها من القيم الإنسانية السامية، إهدار كرامة الإنسان، وتفريق واسع بين الآباء والأبناء، عانى المسلمون من الحروب الصليبية، كثيرا، ولكن معاناة المسلمين الأفغان من الصليبية القيصرية كانت أشد وأنكى. وقد عرجت أرواح كثير من الجنود الأفغان إلى السماء فى زمرة الشهداء ﴿**تلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم ا لله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء وا لله لايحب الظالمي**﴾ آل عمران ١٤٠.

أسباب الهزيمة فى حرب بنجده:

منيت القوة الأفغانية الدفاعية التى اشتبكت فى بنجده مع القوات الروسية الغازية بالهزيمة بعد أن أبلت بلاء حسنا، وقاومت مقاومة منقطعة النظير، إلا أن الظروف العسكرية والجهادية لم تكن مواتية للجانب الأفغانى بل كانت فى صالح

الجانب الروسى . وفيما يأتى خلاصة الأسباب التى أدت إلى الهزيمة فى اشتباك بنجده المؤلم:

١- فقدان المقاومة الشعبية: إن المقاومة الشعبية الإسلامية هى القاعدة الأساسية فى كل انتصار كان من نصيب **أفغانستان** فى حروبها الطويلة ضد الغزاة، وإقليم " بنجده " كان خاليا فى ذلك الوقت من هذا العنصر الأصيل فى المقاومة الشعبية والانتصارات الأفغانية، وبعبارة أخرى لم تكن قد تطورت بعد المقاومة القومية الأفغانية المستنبطة من فكرة الحرب المقدسة للدفاع عن الأرض المقدسة. وإن فقدان مثل هذه المقاومة الشعبية الإسلامية بقيادة علماء الأفغان الإسلاميين من عامة الشعب أدى - دون شك - إلى مثل تلك الهزيمة والاستسلام المخزى الشنيع، وهذا بالضبط هو الذى ساعد الروس ومكنهم من إلحاق الهزيمة بالقوة الأفغانية المدافعة، واحتلالهم إقليم أفغانى عزيز " بنجده " الإسلامية التى تعيش الآن تحت حكم الإلحاد الأسود البغيض. إن الحكمة الاجتماعية التى تقول: " إن الأفغان يطردون الدخلاء أو يستوعبونهم " لم تكن قد تمكنت من أن تترك أثرا فى هذا الجزء الغالى من البلاد الأفغانية.

٢- فقدان الشعور السياسى: لم يكن يوجد هناك شعور سياسى، أو يقظة وطنية طاغية على كل شئ فى مشاعر الناس وأحاسيسهم فى الحياة السياسية والاجتماعية. أو بعبارة أدق لم يكن يوجد هناك تمرد إسلامى قومى جارف على نطاق شعبى واسع، أو حتى تأكيد الذاتية الأفغانية على نحو ما كان حادثا وواقعا فى الأقاليم الأخرى من الأرض الأفغانية. كانت بنجده وما يحيط بها من البلاد والعباد بعيدة عن الأحداث التى كانت قائمة بين الأفغان والإنجليز على قدم وساق

على الحدود بين **أفغانستان** والهند البريطانية. ولهذا ولغيره من الأسباب السياسية والعسكرية والقومية والاجتماعية العديدة لحقت الهزيمة بالأفغان، ونتيجة لذلك تم احتلال بنجده الأفغانية.

٣- قلة عدد الحامية الأفغانية: الحامية الأفغانية فى بنجده كانت عبارة عن خمسمائة جندى بقيادة المقدم " شاه مرد خان " بينما كانت القوة الروسية تتكون من ثلاثة آلاف جندى، وقد استشهد ثلاثمائة من الجنود والضباط الأفغان من بينهم المقدم " شاه مرد خان " والضابطان " مير آقا خان " و " على أكبر خان "، بالإضافة إلى ثلاثة وثمانين جريحا، وقتل من القوات الروسية ألف من الجنود والضباط. ويضاف إلى ضآلة عدد جنود الحامية الأفغانية فى بنجده عدم وجود مقاومة شعبية لمساندتها فى حربها ضد القوات الروسية دفاعا عن بنجده، وهذا النوع من المقاومة الإسلامية، والمساندة الشعبية هى القاعدة الأساسية للانتصارات فى **أفغانستان** قديما وحديثا. كل شئ فى **أفغانستان** يجب بناؤه على المقاومة الإسلامية القومية الأفغانية، كل شئ أو كل أمر بنى على غير ذلك فإنه مقضى عليه بالفشل. وهزيمة بنجده واحتلالها مثال حى لذلك.

٤- اختيار الوقت المناسب: ومرة أخرى يظهر التعاون واضحا بين المسيحيتين..المسيحية القيصرية والصليبية الإنجليزية ضد الإسلام فى **أفغانستان**. وجه الحاكم البريطانى فى الهند الدعوة إلى الأمير عبد الرحمن خان لزيارة الهند، فقام بها، وقامت الصحافة البريطانية بنشر أخبار مضللة بأن الروس ليس فى إمكانهم احتلال بنجده فى تلك الظروف مساعدة منهم للروس، كما ساعدهم

الروس بهذا النوع من المساعدة عند حملتهم على **أفغانستان**..هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قام الروس بإلهاء الأفغان بالصداقة وعلاقات حسن الجوار، ولعبوا بعقول الحكام فى إيران الشقيقة بالوعود والتهديدات بضم أراض أفغانية إلى إيران، ولعبوا بعقول الإنجليز بالاتفاقيات والمعاهدات بشأن مناطق النفوذ فى كل من **أفغانستان** وإيران، بالإضافة إلى انشغالهم بالأعمال العدوانية فى مصر، وبعداوتهم التقليدية مع الفرنسيين. فى هذا لجو الملائم قاموا بالاستيلاء على بنجده واحتلالها وضمها إلى مستعمراتها التى استولوا عليها بقوة السلاح أيضا. وهكذا خسرت **أفغانستان** جزءا من أراضيها الغالية بالخيانة والغدر من داخل مناظر الصداقة الخلابة التى أطلت على البلاد الأفغانية من روسيا الخائنة بالتعاون مع بريطانيا اللتين وضعتا **أفغانستان** بين المطرقة والسندان..﴿**ومن الناس من يشهد ا لله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، وا لله لا يحب الفساد**﴾.

خيانة عام ١٨٨٧م (١٣٠٤هـ) الروسية:

احتلت روسيا بنجده، وضمتها إلى مستعمراتها التى اغتصبتها بالقوة، وكشفت بذلك عن نواياها التوسعية فى الأراضى الأفغانية والإيرانية، ساعدها فى ذلك تفوق القوات الروسية، وفقدان التكافؤ بين القوتين الأفغانية والروسية وكذلك فقدان عنصر التحالف بين الجيش والشعب فى هذا الإقليم من الأقاليم الأفغانية، لم تكتف روسيا بهذا العمل الشنيع، بل قامت فى سنة ١٨٨٧م (١٣٠٤هـ) بإثارة الأمير محمد إسحاق خان والى " بلخ " ضد الأمير عبد الرحمن

خان، وقدمت له مساعدات مالية وعسكرية، واشتبك الوالى مع الأمير، وانتهى هذا الاشتباك بالهزيمة التى لحقت بالوالى وبأسياده الروس، وفشل التآمر الروسى ضد الأمير عبد الرحمن خان، ولكن المؤامرات الروسية قد استمرت بعد ذلك بالقيام بعمليات الاستقطاع فى إقليم " بامير " الأفغانية التى تربط **أفغانستان** بالصين.

حملة عام ١٨٩٢م (١٣٠٩هـ)
الروسية على بامير الأفغانية:

وفى سنة ١٨٩٢م (١٣٠٩هـ) هاجمت القوات الروسية سقف الدنيا " بامير " للاستيلاء عليها، ورفع العلم الروسى فوق ذراها، فاشتبكت معها قوة أفغانية أرغمتها على الانسحاب. وكان هدف روسيا القيصرية من احتلال " بامير " هو فصل **أفغانستان** من الصين، وقد حققته لها الحكومة الشيوعية فى كابل فى الوقت الحاضر حيث منحتها هذه المنطقة الإستراتيجية بمحض رضاها. وتمكنت روسيا الشيوعية من تحقيق الحلم الذى كان يراود روسيا منذ أيام القياصرة.

كانت المقاومة الأفغانية صارمة وشديدة فى تطبيق فكرة " الحرب المقدسة للأرض المقدسة " تطبيقا عمليا.ويبدو لى أن مقاومة شعبية قد ساندت القوة العسكرية فى الاشتباك الذى دار بين الجانبين فى بامير. وكان الجانب الأفغانى قد تعلم تجربة عسكرية فى التعامل مع الروس فى جبهة بنجده التى قد سقطت فى أيدى الروس قبل خمس سنوات من هذا الاعتداء الآثم على " بامير " الأفغانية التى

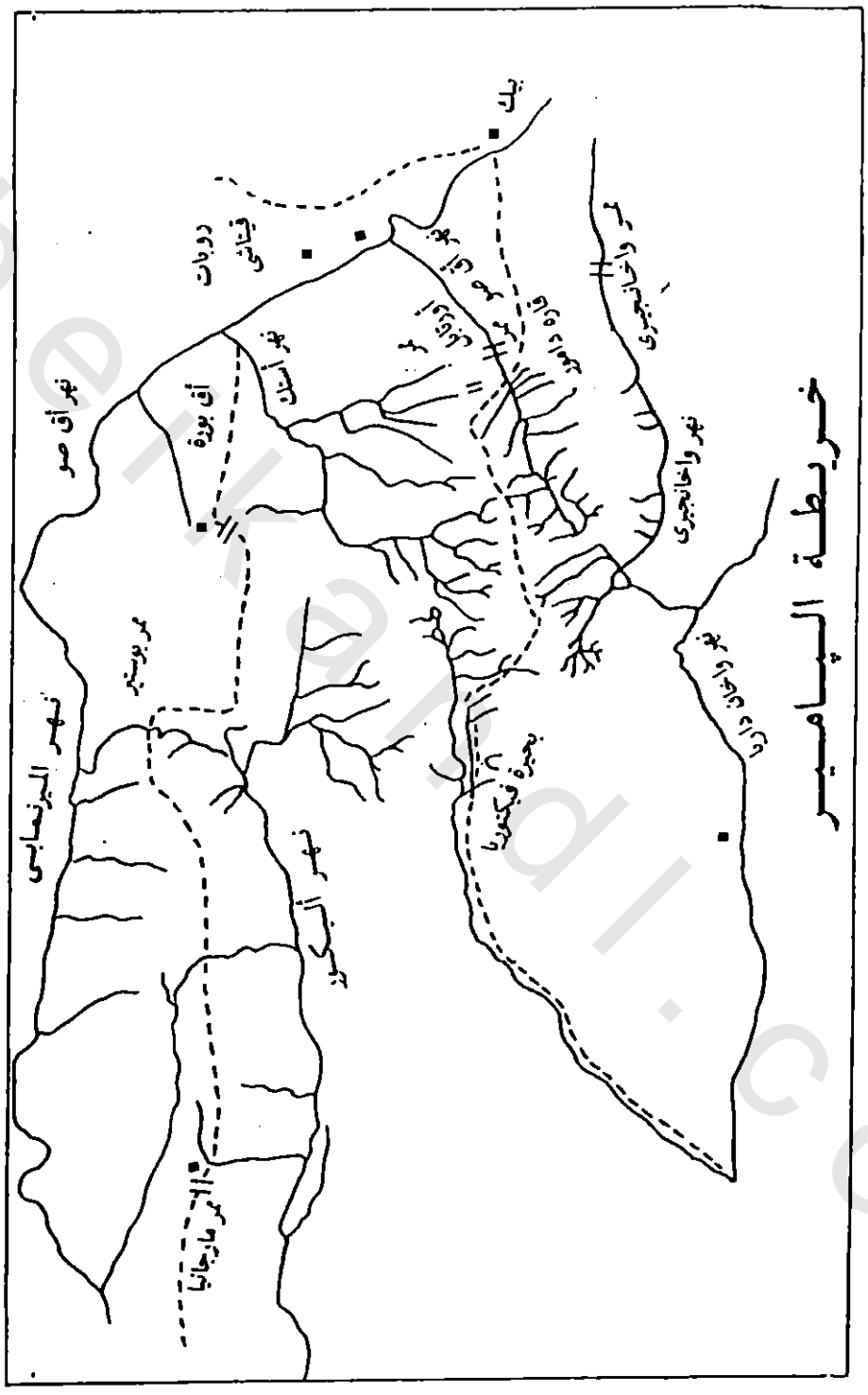
خريطة البامير
نهر واخان دارا
نهر واخانجيري
نهر واخانجيري
بحيرة فكتوريا
نهر أمو دارا
نهر أمو دارا
نهر أسلان
أق بوزة
دوبات قباشي
بلخ
نهر أف صو
مرو بوشير
نهر الميرنصابي
الأمر ماريجانيا

وقفت صامدة فى وجه الغزاة الروس، و لم تمكنهم من الصعود إليها، ورفع العلم الروسى فوق ذراها العالية. لم تقدر عبارات الصداقة وحسن الجوار الرنانة الطنانة أن تخدع الشعب الأفغانى فى هذا الجزء من **أفغانستان**. وكانت الحكومة الأفغانية قد اتخذت إجراءات دفاعية فى كل من " واخان " و " شغنان " و " روشان " فى إقليم " بامير " سقف الدنيا، وذلك فى عام ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ) عندما ازداد خطر الاعتداءات الروسية على الأراضى الأفغانية. وقد أثمر ذلك وأثبت جدواه فى أحداث إقليم " بدخشان " معدن الياقوت والأحجار الكريمة التى يسيل لأجلها لعاب الروس منذ القديم.

اعتداء عام ١٨٩٥م (١٣١٢هـ)
الروسى على بامير الكبرى:

وفى سنة ١٨٩٥م (١٣١٢هـ) أعادت القوات الروسية الكرة للاعتداء على هذه المنطقة للمرة الثانية، وتغلغلت فيها حتى وصلت إلى " شغنان " واستولت عليها، وأعادت القوات الأفغانية كرة الدفاع للمرة الثانية وأرغمت القوات الروسية على الانسحاب بعد اتفاق تم بين الجانبين بشأن التنازلات المتبادلة لصالح الطرفين، تنازلت **أفغانستان** عن أراضيها فيما وراء نهر جيحون - آمو، وامتنعت روسيا القيصرية بالكف عن اعتداءاتها المتكررة على الأراضى الأفغانية فى هذا الجانب من النهر.

سنة ١٨٩٦م (١٣١٣هـ) والانسحاب الروسى من 'درواز' :

إقليم " درواز " من الأقاليم الإستراتيجية الهامة فى " بدخشان " وكانت القوات الروسية قد احتلته من قبل للضغط على الجانب الأفغانى ليتنازل عن الأراضى الأفغانية فى الجانب الشمالى على نهر جيحون (آمو) وعن جميع أملاك **أفغانستان** هناك ليصبح نهر جيحون هو الحد الفاصل بين الجانبين، وعرضت روسيا على الجانب الأفغانى واقترحت الانسحاب الروسى من " درواز " الأفغانية بشرط أن تتنازل **أفغانستان** عن أراضيها فى الجانب الآخر من النهر (آمو - جيحون) وبعد مفاوضات مطولة بين الطرفين تم الاتفاق علىالتنازل المتبادل، تنازلت **أفغانستان** عن أملاكها وأراضيها فى شمال نهر آمو=جيحون، وتنازلت روسيا عن ادعاءاتها واعتداءاتها المتكررة، وعن أطماعها فى الأراضى الأفغانية فى الجانب الجنوبى من النهر. وانسحبت القوات الروسية من " درواز " الأفغانية، نعم حصلت **أفغانستان** وفقا لهذا الاتفاق الجائر على " درواز " فى الشاطئ الجنوبى من النهر إلا أنها فقدت فى مقابل ذلك النصف الثانى من كل من الإقليمين الأفغانيين " شغنان " و " روشان " اللذين يمتدان عبر النهر إلى الجانب الشمالى وتم ضمها إلى إقليم " بخارى " الذى قام الروس بطرد أميرها سنة ١٩٢١م (١٣٣٩هـ)، وجعلته جزءا من الأراضى الروسية. وهذان النصفان من الجسد الشغنانى والروشانى يعيشان الآنْ فى ظلمات الشيوعية محرومين من نور الإسلام، ونعمة الحرية، ومن حرية العقيدة ومزاولة العبادة للواحد القهار...

معاهدة عام ١٩٠٧م (١٣٢٤هـ)
الروسية الإنجليزية التآمرية:

قامت الحكومتان الروسية والإنجليزية بتوقيع معاهدة صداقة لتقسيم **أفغانستان** وإيران إلى مناطق النفوذ. وقد عارضت الحكومة الأفغانية هذه المعاهدة الجائرة بشدة. ورغم ذلك تم التآمر بين الدولتين القيصرية والبريطانية ضد الشعب المسلم في البلاد الأفغانية والإيرانية وضد إرادته في الحرية والاستقلال الوطني.

وفد الخداع الروسي يتوجه إلى كابل
في سنة ١٩١٩م (١٣٣٧هـ):

قامت الثورة الروسية سنة ١٩١٩م (١٣٣٧هـ)، وتم الاعتراف المتبادل بين الحكومتين.. الأفغانية في عصرها الجديد أيام الملك أمان الله خان، والحكومة الروسية الشيوعية في الاتحاد السوفيتي المتعب **لأفغانستان** ومصدر المشاكل السياسية والاجتماعية لها على مدى التاريخ. ففي سنة ١٩١٩م (١٣٣٧هـ) وصل إلى كابل وفد روسي خداعي برئاسة السيد ك.براوين (**K.Bravin**) وكان يحمل معه هدية الوعد بإعادة بنجده إلى الوطن **الأم أفغانستان** بالإضافة إلى الوعد بتقديم مساعدات نقدية وعسكرية وفنية، وذلك في مقابل التعاون بين البلدين لطرد الإنجليز، وتحرير الشعوب الآسيوية من الاستعمار الغربي، وقد استغل الروس دائما حاجة **أفغانستان** إلى من يقف خلفها في كفاحها ضد الاستعمار الإنجليزي الذي كان يهدد باستمرار الاستقلال الوطني **لأفغانستان**. قدم الوفد الروسي اقتراحات

ووعودا بالمساعدات إلا أن روسيا الشيوعية لم توف بشئ من تلك الوعود الخداعية. وقد كان الهدف من ذلك هو إثارة الحكومة الأفغانية ضد الإنجليز فى الهند، وترتاح هى من الاحتكاك بالأفغان والإنجليز، وتشاهد من بعيد ما يجرى بينهم من الحروب المدمرة التى تأتى على الأخضر واليابس. وكان الملك أمان الله خان من ألد أعداء الإنجليز بين الملوك الأفغان الذين عاصروا الحكم الإنجليزى فى الهند التى كانت متآخمة لحدود **أفغانستان** الشرقية.

اغتيال براوين فى عام ١٩٢١م (١٣٣٩هـ):

السيد ك. براوين كان سفيرا لروسيا الشيوعية فى كابل، إلا أنه استقال من منصبه كسفير لمواقفه المعارضة للنظام الشيوعى فى موسكو، ومنحته حكومة **أفغانستان** الجنسية الأفغانية، وكان يشعر أن حياته فى خطر، وكان يحاول مغادرة **أفغانستان** إلى جهة أخرى حفاظا على حياته، وقبل أن يغادر **أفغانستان** تمكنت المخابرات السوفيتية من قتله فى مدينة غزنه وذلك فى سنة ١٩٢١م (١٣٣٩هـ)، ولم تحرك الحكومة الأفغانية ساكنا تجاه السوفيت وقامت بإعدام القاتل الذى استخدمته المخابرات السوفيتية لتنفيذ هذه المهمة.

الروس الشيوعيون يطردون ملك بخارى:

فى سنة ١٩٢١م (١٣٣٩هـ) قامت الحكومة السوفيتية باحتلال بخارى وطردت أميرها سيد عالم شاه إلى **أفغانستان**، ومنحته الحكومة الأفغانية الجنسية الأفغانية. وكانت الحكومة الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى قد سجلت ثلاث

معاهدات مع كل من الأفغان والأتراك والفرس، ولقد كانت المعاهدة مع **أفغانستان** ذات أهمية خاصة لأنها ألزمت كلا من البلدين بتحرير شعوب الشرق من الاستعمار. ووعد السوفيت بجانب المساعدات التى يقدمونها **لأفغانستان**، بأن يردوا **لأفغانستان** الأراضى الأفغانية التى استولت عليها روسيا السوفيتية بالقوة فى القرن التاسع عشر. ومن الواضح أن الروس كعادتهم لم يوفوا بشئ من تلك الوعود، وبالعكس من ذلك فقد أضافوا إلى رصيدهم الإجرامى جريمة أخرى منكرة بطردهم ملك بخارى إلى **أفغانستان**، واصطدم الأفغان بالروس الشيوعيين وتوترت العلاقات بينهم، وقد تأخر لكل ذلك توقيع المعاهدة إلى ٢٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٢١م (٢٠ جمادى الثانى ١٣٣٩هـ).

إشاعات روسية ضد أفغانستان لتخويف أمان الله خان:

الإشاعات الكاذبة التى قام بإثارتها الروس (السوفيت) وعملاؤهم فى البلاد الأفغانية وخلقوها خلقا، ونشروها بين الناس فى **أفغانستان** عام ١٩٢١م (١٣٣٩هـ) نشرا سريعا حول التقارب الأفغانى الروسى أيام الملك أمان الله خان كان الغرض منها تحقيق هدفين: الأول جس نبض الشعب الأفغانى نحو هذا التقارب السريع بين شعب مؤمن بالله وكتبه ورسله، وبين نظام ملحد كل ذلك خرافات فى نظره، وذلك لبناء أسس السياسة الروسية فى **أفغانستان** فى المستقبل وفقا لنتائج هذا التقارب والإشاعات التى أثاروها حوله. والهدف الثانى هو تخويف المرحوم أمان الله خان، وإعداده، ثم إرغامه على توقيع معاهدة بين الأفغان

والروس بحيلة الخطر الموجه إليه من داخل **أفغانستان** شعبيا، ومن خارجها من الإنجليز، وقد تمكن الروس من تحقيق ذلك حيث وقع الجانبان أول معاهدة أفغانية روسية فى فبراير عام ١٩٢١م (جماد أول ١٣٣٩هـ).

انتفاضة عام ١٩٢٢م (١٣٤٠هـ)
الإسلامية ضد الروس:

وفى سنة ١٩٢٢م (١٣٤٠هـ) تجدد الخلاف بين **أفغانستان** وروسيا الشيوعية حين قامت حركة أنور باشا الوطنية بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية فى تركيا، فقد بدأ أنور باشا حركته المشهورة فى بلاد ما وراء النهر فى فرغانه، وبخارى، وتاجكستان أيام الملك أمان الله خان، وقد أثار ذلك أحاسيس المسلمين فى **أفغانستان** فأسرعوا إلى نجدة إخوانهم المسلمين من الطورانيين الذين كان يقودهم أنور باشا، وبخاصة القبائل الصافية فى تكاو، وكوهستان، وأهالى كوهدامن، وبنجشير، ولوكر، وغيرها يقودهم العالم الفاضل الشيخ عبد الحى البنجشيرى، وقد استشهد والد الشيخ الينجشيرى مع عدد آخر كبير من المجاهدين الأفغان فى تلك المعارك التى خاضوها ضد الشيوعيين السوفيت فى الشمال من **أفغانستان**.

حملة عام ١٩٢٦م (١٣٤٤هـ)
الروسية لاحتلال جزيرة 'درقد':

جزيرة " درقد وهومه " جزيرة أفغانية صغيرة تقع داخل نهر جيحون (آمو) الذى يفصل بين الأراضى الأفغانية فى الوقت الحاضر وبين الأراضى الإسلامية التى كانت قد احتلتها روسيا فى القرن التاسع عشر. ففى أيام الملك أمان الله خان الذى انخدع بصداقة السوفيت قامت القوات الروسية بالهجوم على هذه الجزيرة الأفغانية الصغيرة التى هى جزء من ولاية " بدخشان " فى أقصى الشمال الشرقى من **أفغانستان** ولأنها كانت خالية من القوة الدفاعية الأفغانية القوية تمكنت القوات الروسية من احتلالها، وتأزمت العلاقات بين الأفغان والسوفيت، ولشدة المعارضة السياسية والمقاومة الدفاعية..العسكرية والشعبية اضطرت روسيا السوفيتية إلى الجلوس إلى منضدة المفاوضات بين الجانبين لمناقشة الموقف المتأزم الذى نشأ عن أزمة جزيرة " درقد وهومه " وتم الاتفاق على انسحاب القوات الروسية من الجزيرة، وقد انسحبت فى سنة ١٩٢٦م (١٣٤٤هـ) بعد مرور شهور على احتلالها بسبب المماطلة والتسويف الذى هو من شأن الروس السوفيت فى مثل هذه الأحوال والأزمات.

هذه صفحات حمراء ملوثة بالدماء من تاريخ الروس القياصرة والشيوعيين مع البلاد الأفغانية، وصورة صادقة من صور الصداقة الروسية وحسن الجوار لأصدقائهم من الأمراء والملوك والحكام فى **أفغانستان** الذين كانوا مخلصين فى نواياهم وأعمالهم وفى صداقتهم فى مقابل الخيانة والمخادعة الروسية قيصرية

كانت أو شيوعية. وما نعلم من تاريخ الصداقة والجوار بين الدول والشعوب والأمم مثل هذه الصور من الخديعة والخيانة والفظائع البشعة فى استقطاع الأراضى والممتلكات، والاستيلاء على الأقاليم، والقيام بالاغتيالات لتحقيق أغراض توسعية وانتقامية. ولا نعلم حكومة حاولت أن تستغل الصداقة وعلاقات حسن الجوار لأغراض توسعية كما فعلت روسيا القيصرية والشيوعية مع **أفغانستان** فى تاريخها القديم والحديث، قبل الثورة الشيوعية فى روسيا وبعدها. هكذا كافأت الحكومة الروسية الشعب الأفغانى المسلم المسالم على صداقته الصادقة، وعلى علاقات حسن الجوار. وهذا بالضبط ما فعله الروس بالأمير دوست محمد خان الذى وعدوه ثم خدعوه، وخلعوه، وهذا بالضبط ما فعلوه بالأمير شير على خان الذى خدروه بالوعود الكاذبة التى كانت بمثابة السراب الذى يراه الظمآن ماء، وهكذا فعلوا بالأمير محمد يعقوب خان الذى تعاونوا مع الإنجليز فى القبض عليه ونفيه إلى الهند ليموت بعيدا عن تراب الوطن الأفغانى الطاهر، وهكذا عاملوا الأمير عبد الرحمن خان الذى أصدر أوامره الصارمة بعدم إثارة المشاكل والأزمات مع الروس، ومع هذا فإن أكثر الاستقطاعات من الأراضى الأفغانية قد تمت فى أيامه. وحتى الملك أمان الله خان الذى اعترف بالنظام الشيوعى فى موسكو كان جزاؤه طرده من العرش الأفغانى حيث أثاروا ضده لصا من لصوص الأفغان، وقاطع طريق من قطاع الطرق فى **أفغانستان**، وساعدوه حتى تمكن من طرده خارج البلاد لأنه منح ملك بخارى المطرود الجنسية الأفغانية، ومنح السفير الروسى المستقيل فى كابل الجنسية الأفغانية، ولأنه ساعد الزعيم أنور باشا فى كفاحه ضد الروس، ولأن الشعب الأفغانى قد تطوع جماعات

وفرادى فى الحرب التى كانت تدور حول بخارى للاستيلاء عليها واحتلالها إلى الأبد، قاموا بطرد الملك أمان الله وجعلوا **أفغانستان** نهبا للصوص والنكبات، وظلت أعمال هذا اللص ومساعدة الروس له نقطة سوداء فى تاريخ **أفغانستان**.

obeikandl.com

الحركات الإسلامية
والانقلابات الشيوعية

قام الأمير محمد داود خان بانقلاب أطاح فيه بالملك، وأعلن الجمهورية، ونصب نفسه رئيسا لها، وقام الشيوعيون بانقلاب عسكرى أطاحوا فيه بالرئيس محمد داود، ونصبوا السيد نور محمد ترهكى رئيسا للجمهورية الشعبية، وقام السيد حفيظ الله أمين بانقلاب أطاح فيه بالرئيس نور ترهكى، وقتل الروس أمين ووضعوا كارمل مكانه، فأين كان موقف الإسلاميين من انقلابات الشيوعيين... أين كانت مواقف الحركات الإسلامية والتنظيمات الجهادية من تلك الانقلابات الشيوعية التى جرت على الأرض الأفغانية فحولتها إلى حمامات من الدماء؟!.

لا شك أن الحركات الإسلامية فى **أفغانستان** قديمة، وقد نمت نموا مطردا عبر الزمن فى أحضان الشعب الأفغانى الشديد التدين، وهى تضم الآن بين ثناياها كل قطاعات الشعب فى المجتمع الأفغانى، كما تضم كل الاتجاهات الأفغانية بقيادة الأيديولوجية الإسلامية، والهدف الرئيسى للمقاومة الجهادية إقامة نظام إسلامى فى **أفغانستان**. وإليه تدعو، ولأجله تكافح الأيديولوجية الإسلامية الأفغانية، وهى تتشكل بواسطة الزعماء الأفغان الذين يترأسون التنظيمات الجهادية بالتعاون مع القواد الذين يقودون الجهاد المسلح داخل **أفغانستان**، مع ملاحظة التطورات المنبثقة عن مسارات الحرب الجهادية، وهؤلاء الزعماء يتمتعون بقدر كبير من إعجاب الجماهير المسلمة فى البلاد، وبالأخص الزعماء الشبان الذين

يظهرون تحت راية القتال الإسلامى فى البلاد الأفغانية فى هذه الأيـام. إن المقاومـة الإسلامية الشعبية ستستمر باستمرار الاحتلال الروسى **لأفغانستان**، لكونها أصيلـة وعميقة الجذور فى كيان هذا الشـعب، وستكتسـب إطـارا جديـدا لمعنى القوميـة الأفغانية الإسـلامية الثوريـة فـى الجيـل الجديـد مـن المقـاتلين الإسـلاميين، إن هـذه المقاومة الجهادية المسلحة التى نراها اليوم نشطة فعالة مؤثرة، قد اتجهت هذا الاتجاه العملى الفعال منذ أيام الشهيد الأستاذ **غلام محمد خان نيازى** الذى كان قد أسس جماعة إسلامية فى جامعة كابل حيث كان أستاذا بكليـة الشـريعة بالجامعـة، وقـد التف حوله عدد كبير من أبرز الشباب منهـم الأستاذ برهـان الديـن ربـانى رئيـس جمعية **أفغانسـتان** الإسـلامية، والأستاذ عبـد رب الرسـول سـياف رئيـس الاتحـاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان**، والمهندس كُلْبَدِيْن حكمتيار رئيس الحزب الإسلامى، والشهيد وفى الله خان السـميعى الـذى أصبـح فيمـا بعـد مـن أقـرب المقربـين إلى الرئيـس محمـد داود، والشـهيد حبيـب الرحمـان، والشـهيد عبـد الرحيـم **نيـــازى**، والشهيد عبد الهادى هدايت، والدكتور محمد موسى توانـا، والدكتـور سيد جـان بيان اليفتلى، والشهيد سيف الدين نصرتيار، والأخ عنايـة الله شـاداب والأخ نـور الله عماد، والأخ أحمد جان أحمدزى، والشيخ عبـد البـارى خـان، والشـهيد عبـد القادر توانا، والشهيد سيد عبد الرحمن، والشهيد الدكتـور محمـد عمـر، والشـهيد غلام ربانى العطيش، والأخ صوفى قربـان محمـد، والأخ نقيـب الله خـان، والأخ إسلام الدين خان والأخ محمد حكيـم خـان، وهـذان الأخـيران قـد رافقـا الأسـتاذ ربانى فى طريق هجرته إلى بشاور عبر جبال كونر، وغيرهم من شـباب الجامعـات الأفغانية، وأكثرهم فى جنات الخلد يرزقون. وقد تمكن الشهيد **غلام محمد نيـازى**

من تعريف الأفغانيين بالجماعة الإسلامية، وبين لهم أهدافها ومنهاجها الثورى الإصلاحى، وجهادها لخدمة الإسلام، والدفاع عن القضايا الإسلامية فى العالم، والخطر الشيوعى وما يدعو إليه من التبعية الشيوعية، ومن الإلحاد والكفر والإباحية. و لم تكن مهمة الشهيد **نيازى** صعبة معقدة لأن كافة الشباب الأفغانى المسلم الغيور على دينه الإسلامى يدرك بالذكاء الأفغانى الأصيل، وبالضرورة الملحة للكفاح والنضال، وبالانتماء الأصيل إلى المجتمع الأفغانى الخالى من مثل تلك الأفكار الدخيلة، يدرك مكر الشيوعيين، وخداعهم السافر، وتحايلهم الشديد، ودهاءهم الماكر فى استقطاب الشباب. فكانوا يشعرون بالسعادة الغامرة وهم يستمعون إلى رجل فاضل مخلص يوجههم توجيها إسلاميا، ويلفت نظرهم إلى الأخطار التى تنذر بها الشيوعية الباغية.

المهندس كُلْبَدِيْن حكمتيار فى بشاور:

إن المقاومة الإسلامية فى **أفغانستان** كانت موحدة الاتجاهات والأهداف والأطراف داخل **أفغانستان** إلى ما بعد عام ١٩٧٣م (١٣٩٢هـ)، وذلك قبل إلقاء القبض على مهندس السياسة الإسلامية للإسلاميين فى **أفغانستان** الأستاذ **غلام محمد نيازى** الذى كان يحظى باحترام وتقدير جميع العناصر الإسلامية مع التأييد المطلق على مستوى **أفغانستان** كلها. وأول من لجأ إلى بشاور هو المهندس كُلْبَدِيْن حكمتيار لينطلق بجهاده من هناك من وراء جبال " تخت سليمان ". وفى بشاور قام بتأسيس جماعته " الحزب الإسلامى الأفغانى " وكان له اتصال بالحكومة

الباكستانية برئاسة ذو الفقار على بوتو الذى كان يكمن عدواة شديدة وبلا حدود للرئيس الأفغانى السردار محمد داود خان.

برهان الدين يلحق بحكمتيار فى بشاور:

ضيقت حكومة الرئيس محمد داود نطاق العمل على الإسلاميين من تلاميذ وأنصار الشهيد الأستاذ **غلام محمد خان نيازى** الذى ألقى القبض عليه وعلى كثير من الإسلاميين من أنصاره، ووصل إلى بشاور من استطاع إلى ذلك سبيلا، وكان البحث جاريا للقبض على من بقى خارج السجن ومنهم الأستاذ برهان الدين ربانى. وعندما صدر أمر القبض عليه، وهو فى اجتماع فى كلية الشريعة بجامعة كابل، تمكن من الإفلات من عملية القبض بمساعدة تلاميذه من طلبة الجامعة حيث حملوه فى سيارة إلى " كونر " ومنها إلى بشاور برفقة كل من الاخ إسلام الدين خان، والاخ محمد حكيم خان، ولحق ربانى بحكمتيار فى بشاور، وهناك شمر عن ساعده لإحياء " الجمعية الإسلامية " وقد تمكن من ذلك. وقام بإجراء حوار مع المهندس حكمتيار لإيجاد أرضية مشتركة للتعاون والعمل معا إلا أن الحوار انتهى إلى الفشل. وبدأ كل من برهان الدين ربانى، وكُلْبَدِيْن حكمتيار العمل كل بطريقته الخاصة. وبقى الشهيد **غلام محمد خان نيازى** فى سجن كابل حتى تم إعدامه.

تنظيمات أفغانية أخرى تأتى وتقفز إلى الميدان:

ففى سنة ١٩٧٨م (١٣٩٨هـ) قام الشيخ محمد نبى محمدى بتأسيس حزب أو تنظيم جديد أسماه " حركة الثورة الإسلامية " وكان الشيخ سيد أحمد جيلانى قد تمكن من الخروج من **أفغانستان** فى ذلك العام، وقام بدوره بتأسيس حزبه أطلق عليه " المحاذ الإسلامى " وفى عام ١٩٧٩م (١٣٩٩هـ) قام الشيخ صبغة الله مجددى بتأسيس حزبه " الجبهة الوطنية " وقد انفصل الشيخ محمد يونس خالص بمجموعة كبيرة عن المهندس حكمتيار، وأطلق على هذه المجموعة اسم " الحزب الإسلامى " وأخيرا قام الأستاذ عبد رب الرسول سياف بتأسيس حزب أفغانى سابع ورث اسم " الاتحاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان** ".

وهكذا نشأت سبعة تنظيمات أفغانية إسلامية فى مقابل أربعة أحزاب شيوعية استولت على السلطة فى كابل بتمهيد من السردار محمد داود، وبمساعدة فعالة وعملية من الشيوعية العالمية، ومن روسيا الشيوعية بالأخص حيث احتلت **أفغانستان** لتمكين الشيوعية من التسلط والسيطرة على البلاد الأفغانية.

التنظيمات الإسلامية الأفغانية تبدأ العمل وتواجه العدو بحزم:

انطلاقا من الأرضية الإسلامية القوية، وانطلاقا من المبادئ الإسلامية المتينة بدأ المجاهدون بقيادة تنظيماتهم انطلاقتهم الإسلامية وقفزتهم الجهادية المشهورة، حيث وجدوا فى دعوة الإسلام إلى التوحيد معينا جاريا لا ينضب، بل وجدوا فيها نماذج

قيمة، وأمثلة حية تصلح للتطبيق العملى على حال الأفغان وحياتهم، وعلى حال المسلمين وحياتهم جميعا فى شتى أنحاء العام الإسلامى. ومن هنا فقد اتخذوا الجهاد رمزا لنضالهم وكفاحهم البطولى دفاعا عن الحق، وليس لهم هدف غير الحق، وللحق وحده يحاربون ويجاهدون، والجهاد كلمة تحمل معنى إسلاميا عميقا يمتزج فيه التراث الشعبى الإفغانى الأصيل مع العقيدة الإسلامية السامية التى تطالب المسلم بالتفانى والاستماتة فى الجهاد فى سبيل الله أولا وقبل كل شئ، ثم فى سبيل الدفاع عن موطن الإسلام لسيادة العقيدة، مع الاعتزاز الكبير اللانهائى .بمثل هذا الجهاد الذى هو جزء من حياتهم اليومية. وقد اتخذ الأفغان المقاومة والجهاد طريقا لمواجهة الاحتلال الأجنبى لبلادهم منذ أقدم العصور الضاربة فى أغوار الأرض، ابتداء من غزوات الإسكندر، ومرورا بغزوات التتار المدمرة، وغزوات الإنجليز الاستعمارية، حتى غزوات الروس الهجومية السافرة لاحتلال **أفغانستان**. وبالاستناد إلى هذه المبادئ الإسلامية والقومية الأصيلة، وبالاستناد إلى قيمها السامية ينطلقون إلى الجهاد الإسلامى المقدس مؤمنين بمبدأ الحرب المقدسة للأرض المقدسة الذى اتخذوه شعارا لهم ورمزا يستظلون بظله الظليل للوقوف فى مواجهة العدو، والسير فى قطع القفار، وتسلق الجبال، والجوس خلال الديار، والصمود فى وجه نظام حكم ملحد خارج عن الإسلام بكل المقاييس، يسانده جيش أجنبى مسلح مدجج بأحدث الأسلحة جاء إلى **أفغانستان** لتغيير المعالم الإسلامية فى البلاد الأفغانية الشديدة التمسك بدينها الإسلامى طيلة تاريخها المديد، وشديدة التدين التطبيقى والمنهجى عملا ونظاما. التفت الحركة الإسلامية حول الإسلام مبدأ ومنهجا وتطبيقا وعملا باعتباره معين الشعب الإفغانى المسلم، والإسلام أكثر

تأثيرا فى أعماق أعماق هذا الشعب، وأبعد أثرا فى تحريك الأحداث فى منازل الأفغان. ومن هذا المنطلق بدأت مسيرة الجهاد الأفغانى منطلقة إلى كل الآفاق دفاعا عن العقيدة الإسلامية والنزعة الاستقلالية ببسالة منقطعة النظير بحيث أثارات إعجاب العدو قبل الصديق.. تؤيدهم أو تشجعهم الصحوة الإسلامية العالمية، ويدفعهم إلى ذلك الحماس الإسلامى دفعا، يحملون على ظهورهم حياتهم، ومعيشتهم استعدادا لتحمل عبء الدفاع عن الإسلام، ونواميسه، وقيمه الحضارية وسط هذه الممرات الجبلية الوعرة الصعبة ونتوءاتها الكثيرة عبر سلاسل جبال هندوكش، وذرى جبال تخت سليمان، ومرتفعات بامير من خلال سهول باختر التاريخية، وعبر طريق الحرير التاريخى المشهور، تلك الجبال والذرى والقمم والمرتفعات والطرق التى نقشت على صخورها علامات الحضارات القديمة، وحضارة إسلامنا الغالية السامية كانت مسك الختام فيها.

جهاد الأفغان دافعه دين الإسلام:

انقلابات شيوعية أفغانية قامت، وتنظيمات إسلامية أفغانية قامت، ومعارك إسلامية أفغانية قامت واشتعلت بدافع قوى من الدين، فالدافع الدينى هو الذى يلعب دور المحرك الرئيسى الهام فى حركة الجهاد الأفغانى المسلح ضد النظام الشيوعى المسلح فى كابل المسنود كليا بالجيش الروسى الأحمر الذى يريد محو المبادئ الإسلامية الممزوجة بالقومية الأفغانية، والمخلوطة بالدماء الأفغانية، والتى نفذت إلى أعماق هذا المجتمع القبلى الجبلى الصلب فى عقيدته الإسلامية، وهى تنمو يوما بعد يوم، وجيلا بعد جيل، حتى أصبحت مصدرا للثورة الإشعاعية

الفكرية الثابتة الجذور، راسخة الأصول فى كيان الأفغان، وارفة الفروع والأغصان فى شجرة الأفغان الذين يقفون صامدين فى طريق الزحف الروسى على ديارهم ومنازلهم بغرض التخريب والتدمير، وبهدف إزهاق الحق وتريج الباطل، وتقليب الأمور رأسا على عقب. وفرض على الثوريين المسلمين الأفغانيين أن يقودوا الثورة الإسلامية تحت راية الإسلام الحق لتصحيح المسار والأوضاع المقلوبة تحت راية اليسار الشيوعى المدعوم بالجيش الروسى المدجج بالسلاح الفتاك المدمر. ورغم كل ذلك يواصلون ثورتهم بقوة الإيمان، وبالدافع الدينى حيث إن للإسلام تأثيرا كبيرا.. يكفى أنه مصدر الإشعاع الفكرى فى كل عمل يقومون به فى حياتهم الجهادية، أو فى حياتهم العادية سواء بسواء، إن الجهاد الدينى بتياراته الجارفة الهادفة هو السلاح الصارم، والصمصام القاطع يرفعونه على رؤوس البغاة الطغاة والمارقين الماردين من الشيوعين أو من غير الشيوعين، وهذا الجهاد هو الذى يتولى القيادة والريادة، والإرشاد والتوجيه، والذى يبدأ بهتاف " الله أكبر " وينتهى بالنصر أو بالاستشهاد وفى كل خير وسعادة أبدية. إنه جهاد للأفغان حقا بدافع من الدين المبين حقا.

لكل فرعون موسى، ولكل شيوعى عصا:

الحركة الإسلامية فى **أفغانستان** قديمة قدم الشعب الأفغانى نفسه، إلا أن تسلم السيد محمد داود خان زمام الحكم وقمة السلطة فى **أفغانستان** فى مرحلتين من حياته السياسية.. رئيسا لمجلس الوزراء، ثم رئيسا للجمهورية قد أثار نشاط الإسلاميين فى سياسته العليا الداخلية والخارجية، وبخاصة فى المرحلة الثانية من

حياته عندما أصبح رئيسا للجمهورية الأفغانية. كما أثار جدلا حاميا بين عناصر الحركة الإسلامية الذى أدى فى نهاية المطاف إلى شق الحركة وتفتيتها، ثم إلى تشتيتها وتفريقها إلى فئات متناثرة متنافرة لدرجة التعارك والخصام. ثم استخدم الشيوعيون السيد داود أداة لتنفيذ خطط القضاء على الإسلاميين المتناثرين المتفرقين، فراح يكيل لهم الضربات القاضمة، وأصبحت عملياتهم المشتركة ضد الإسلاميين أكثر وحشية، وأشد تنكيلا بما قاموا به من أعمال انتقامية موجهة ضد المسلمين لإصرارهم على مواصلة السير قدما فى مقاومة اليسار الذى يهدد الكيان الإسلامى والقومى فى **أفغانستان**، فتمت تصفية عدد كبير من زعماء وأعضاء الحركة الإسلامية التى أسسها الأستاذ الشهيد **غلام محمد خان نيازى** الذى استطاع بقوة إرادته وبتفانيه فى العمل الإسلامى أن ينظم المقاومة الأفغانية الإسلامية على نحو تدريجى لممارسة الحرب والضرب ضد النفوذ الروسى فى العاصمة الأفغانية كابل، وأن يقوم بضم جماعات كبيرة إلى صفه فى إطار الجماعة الإسلامية القائمة على أيديولوجية دينية وقومية مألوفة لدى الطبقة المثقفة والعامة فى المنظور الإسلامى، وذلك لاكتساح التسلط السياسى، والنفوذ الفكرى الوافد من الخارج، وأن ينفخ فى المنضمين إليها روح الإسلام النابضة الحية. وبدأ الرجل يدق على طريقة مرحلية مدروسة ناقوس الخطر للعناصر الشيوعية التى كانت هى الأخرى تشعر بهذا الخطر الإسلامى، وتحاول جاهدة قمعه والقضاء عليه بمساعدة روسية تقدمها لها موسكو التى لم تكن أقل قلقا واضطرابا من عناصرها الشيوعية فى **أفغانستان**. وكان الرجل (رحمه الله) يتمتع بروحانية الإسلام القوية، وبكبريائه العظيمة، إن هذه

الكبرياء وتلك الروحانية الصافية تنحدران أصلا من التراث الأفغانى الإسلامى الذى يولد الثقة والثبات فى نفوس الأفغان لمقاومة الفكر الأجنبى الغريب. وقد تمكن الأستاذ **نيازى** بعلمه الغزير، وثقته القوية بالله، ثم بالإصرار الأفغانى على مقاومة الأجنبى، أن يعرف الأفغانيين بجماعة الإسلاميين وبخلفياتها السياسية والاجتماعية، وبأهدافها ومنهاجها العلمى والعملى، وقد استغل فى ذلك التمرد الإسلامى الواسع النطاق على المستويين الأفغانى والعالمى لتأكيد الذاتية الإسلامية التى تركت أثرا ثوريا عميقا فى الأفغانيين، وبخاصة فى الطبقة المثقفة، كما استفاد الأستاذ **نيازى** فى ذلك من الوضع الاستقلالى للأفغان، ومن المساندة الأدبية التشجيعية من الحركات الإسلامية فى العالم الإسلامى، ومن التأييد الأدبى من العالم الإسلامى نفسه.

الحركة الإسلامية الأفغانية قبيل الستينات:

وكانت الحركة الإسلامية فى **أفغانستان** قبيل الستينات، قبل عودة الأستاذ **غلام محمد خان نيازى** من مصر، تسير سيرا بطيئا بين علماء الدين الإسلامى، وشيوخ الطرق الصوفية، وأئمة المساجد، وطلاب كلية الشريعة، والمدارس الدينية الحكومية والأهلية والمدرسين فيها. وكان باعث الحركة الإسلامية يتغير بتغير الوقت والجماعة قوة وضعفا من النواحى السياسية والاجتماعية والثقافية داخل إطار قومى من المنطلق الإسلامى الذى يحرك الكيان الأفغانى ويثير فيه البركان الثورى الكائن فى ذاته الثائرة على الدوام. وكان الشيوعيون يحاولون أن يقفوا فى

طريق إثارة هذا البركان الثورى الكامن فى الذاتية الأفغانية، جاهدين دون جدوى استمالة هذا البركان الشعبى إلى الجانب الشيوعى، مستغلين فى ذلك صلة بعض الشيوخ بالبلاط الملكى حتى تمكنوا فى النهاية من أن أوغروا صدور بعض ضعاف النفوس والعقيدة. وأثاروا حسدهم الخسيس عليهم، واستطاعوا بذلك أن يجدوا ثغرة للتفريق بين بعض الشيوخ، وبين بعض ضعاف النفوس بغرض تقسيم المجتمع الأفغانى إلى طبقات ودرجات.. بين الملك، والعلماء، والشعب، تمهيدا للقضاء على نفوذ العلماء وعلى قيادتهم الشعبية التى كانت ولا تزال العقبة الكؤود فى طريق نشر المبادئ الشيوعية الهدامة بين الشعب الأفغانى الشديد التدين. وكانت هذه هى الخطوة الأولى التى تمكن فيها الشيوعيون من التمهيد لزعزعة مكانة العلماء، والتفريق بينهم وبين الشعب فى المجتمع الأفغانى وبخاصة فى مدينة كابل العاصمة.

وعلماء الإسلام فى **أفغانستان** عبارةعن ثلاث مجموعات.. مجموعة العلماء الذين يقومون بالتدريس فى المدارس بنوعيها الحكومية والأهلية، وفى حلقات التدريس العلمية فى المساجد والجوامع، والكتاتيب التى تنتشر فى المناطق الريفية، وفى حواضر الأقاليم. ومجموعة الأئمة فى المساجد والجوامع فى جميع أنحاء **أفغانستان**.. ببدوها ومدرها وحضرها، ونفوذ هذه المجموعة من العلماء نفوذ اجتماعى دينى، بينما نفوذ المجموعة الأولى نفوذ علمى وسياسى دينى. والمجموعة الثالثة من رجال الدين عبارة عن رجال التصوف، وأهم الطرق الصوفية فى **أفغانستان** طريقتان.. الطريقة القادرية، ويرأسها حاليا الشيخ أحمد الكيلانى رئيس حزب " المحاذ الإسلامى " الذى قام بإنشائه بعد الهجرة إلى باكستان عام ١٩٧٨م

(١٣٩٨هـ). والطريقة الصوفية الثانية هى النقشبندية وكان يرأسها أثناء الانقلاب الشيوعى فى **أفغانستان** الشيخ الشهيد محمد إبراهيم المجددى الذى أعدم هو وجميع أفراد أسرته فى عملية وحشية بربرية من العلميات الوحشية التى قام بها الشيوعيون انتقاما من العلماء ورجال الدين. والمجددون أسرة كبيرة عريقة قامت بمهام الدعوة الإسلامية فى البلاد الأفغانية وفيما جاورها من البلاد أحسن قيام، ولها أتباعها ومريدوها وشيوخها فى مختلف أنحاء **أفغانستان**، وفى العالم الإسلامى كله. وقد بدأ النظام الشيوعى فى نهاية صيف ١٩٧٨م (١٣٩٨هـ) بإلقاء القبض على الزعماء الدينين، فألقى القبض على الكثيرين منهم، وهاجر العديدون من زعماء الصوفية من **أفغانستان** خوفا على حياتهم الروحية والجسدية، وكانوا أرضية صلبة للمقاومة الجهادية ضد الشيوعية فى الداخل والخارج، ومن أبرز زعماء الزعامة الدينية التقليدية الشيخ محمد نبى محمدى، والشيخ صبغة الله مجددى، والمرشد أحمد الكيلانى، وكلهم جاءوا إلى ميدان السياسة والمقاومة المسلحة من المؤسسات الدينية التقليدية فى **أفغانستان**، ويتمتعون بمكانة مرموقة بين أتباعهم ومريدهم التقليديين فى بلاد الأفغان. وبالإضافة إلى هذه المجموعات الثلاث هناك مجموعة رابعة من العلماء ورجال الدين فى **أفغانستان** وهم رجال القضاء والإفتاء إلا أن صلتهم بالحكومة أقوى من ارتباطهم برجال الدين.

سير الحركة الإسلامية بعد عودة الشهيد نيازى إلى الوطن:

وكان سير الحركة الإسلامية الأفغانية أو الجماعة الإسلامية التى ظهرت فى ثوبها الجديد خلال سنوات قبل الغزو الروسى لأفغانستان فى أواخر ديسمبر ١٩٧٩م (أوائل صفر ١٣٩٩هـ) والتى أسسها الأستاذ الشهيد **غلام محمد خان نيازى** سيرا طبيعيا. وقد تدرجت الحركة خلال تلك السنوات حتى تحولت إلى المقاومة المسلحة، وتجاوزت حدود التنظيم والتنسيق، وكان من أبرز الشباب الذين التفوا حول حركة الشهيد **نيازى** - كما مر - كل من برهان الدين ربانى رئيس جمعية **أفغانستان** الإسلامية، وعبد رب الرسول سياف رئيس الاتحاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان**، وكُلْبَدِيْن حكمتيار رئيس الحزب الإسلامى، وكان هذا الأخير أصغرهم سنا وأكثرهم تحمسا لإعلان الحرب ضد السيد داود. و لم ينتظر طويلا، بل غادر البلاد عن طريق بكتيا، ووصل إلى بشاور واتصل برئيس وزراء باكستان السيد بوتو الذى كان من ألد أعداء السيد داود. وهذا الأخير ليس أقل شأنا فى باكستان عن منافسه محمد داود فى **أفغانستان** فى كونهما من الشخصيات الاستبدادية التى تكن عداوة سافرة للإسلاميين كل فى بلده وبأسلوبه الخاص، وفى مناصرة العناصر الشيوعية المقنعة بالوطنية، مع فارق السمة القومية التى تميز داود عن بوتو فى كثير من الأصول والمسالك والمجالات. ثم لحق به برهان الدين ربانى فى بشاور الذى يكبره سنا، وقد حاول الأستاذ ربانى احتواء تنظيم كُلبدين إلا أنه لم يتمكن من ذلك لقوة شخصية كلبدين القيادية، ولشدة تمسك أتباعه

بالولاء له، فلم يكن من الأستاذ ربانى إلا أن يشمر عن ساعده لإحياء الجمعية الإسلامية التى أسسها الأستاذ الشهيد **غلام محمد نيازى**. وكان الغطاء الإسلامى يؤدى الدور الرئيسى فى تشكيل الجمعية الإسلامية الجديدة، حتى صارت الجمعية ذات أتباع يدينون للأستاذ ربانى بالولاء والطاعة، وأصبحت ذات قوة من الرجال، شيوخا وشبانا حملوا السلاح فى وجه الغزاة فى الداخل والخارج، هذه القوة التى لا يستهان بها قد مكنت برهان الدين من الحوار أو التنافس مع كُلبدين لإيجاد أرضية مشتركة للتعاون لتحرير **أفغانستان** على أساس من القيادة الإسلامية الشاملة المرموقة. وكان الزعيمان الأفغانيان كلبدين وبرهان الدين على وفاق كامل من حيث المبدأ، إلا أن الحوار أو التنافس بين الزعيمين الأفغانيين قد انتهى إلى نقطة الخلاف المزمن على تولى الرئاسة والقيادة فى الوحدة المقترحة. فربانى أحق بالزعامة لأنه الأقدم الأكبر، وعلى درجة كبيرة من النضج، وحكمتيار أحق لأنه الأقوى والأنشط، وأكثر حيوية وفعالية وهو يتمتع بدرجة كبيرة من الذكاء السياسى الصارم. إن الزعامة التى هى نقطة الخلاف المزمن بين القادة الأفغان، والتى انعكست آثارها بوضوح فى حركات المقاومة الأفغانية تتشكل الآن من الزعامات المتعددة الجوانب..فيها زعماء من أصل قبلى تقليدى، وفيها أشخاص ذو مكانة دينية تقليدية، ونجد فيها زعماء يجمعون بين المكانة القومية والدينية والفكرية المتطورة، وبعد الأخذ والرد، وشدة التمسك بالمواقف تم الاتفاق على عدم الاتفاق..

تطور الحركة الإسلامية فى أفغانستان:

ظهرت الحركة الإسلامية الجديدة فى **أفغانستان** خلال سنوات قبل الغزو الروسى لبلاد الأفغان فى الشهر الأخير من عام ١٩٧٩م (الشهر الثانى من عام ١٤٠٠هـ)، وقد تدرجت الحركة الإسلامية الأفغانية فيها حتى تحولت إلى المقاومة المسلحة، وتجاوزت حدود التنظيم والتنسيق، ودوخت الروس وأعوانهم فى كابل. ومن الممكن إيجاز تلك المراحل فيما يأتى من النقاط الرئيسية الهامة:

١- مرحلة علماء الإسلام، ورجال الدين، وشيوخ الطرق الصوفية، والمعلمين فى المدارس الدينية الأهلية والأميرية، ومدرسى المواد الدينية والعربية فى المدارس الحكومية. وكانت الحركة الإسلامية تسير سيرا بطيئا فى الإطار التقليدى المعروف، وكانت تتحكم فى حركة السياسة الحكومية بحكمة دون إثارة المشاكل بينهم وبين الحكومة، والحكومات الأفغانية كانت تحترم آراء العلماء فى الشئون الدينية.

٢- مرحلة الإعداد والتنظيم، وهى الفترة التى عاد فيها الأستاذ الشهيد **غلام محمد نيازى** إلى **أفغانستان** سنة ١٩٥٨م (١٣٨٠هـ)، وقام بتنظيم وتأسيس جماعة الإسلاميين فى جامعة كابل، ودعا الشباب المسلم فى كليات الجامعة المختلفة إلى الانضمام إليها. والعناصر الإسلامية الرئيسية كانت عبارة عن طلاب كليات الشريعة، والهندسة والعلوم ثم الطب، ثم بقية الكليات والمعاهد العليا، وكانت عملية التنظيم والتنسيق تسير سيرا مرضيا بين طلاب الجامعة وبين طلاب المدارس المختلفة، كما كانت عمليات الاتصال بالعلماء ورجال الدين والتصوف تتم

بانتظام، وأنا بنفسى قد بلغت رسالة الأستاذ الشهيد **غلام محمد نيازى** إلى عدد من العلماء فى وادى "بيج" بولاية "كونر" وقد وجدت فيهم ترحيبا عظيما بمحتوى الرسالة، وأبدوا استعدادا كاملا للتعاون مع الحركة الإسلامية.

٣- فترة انقلاب السردار محمد داود خان سنة ١٩٧٣م (١٣٩٢هـ) وفى هذه الفترة قبض على الأستاذ الشهيد **غلام محمد نيازى**، وقد امتدت هذه الفترة الحرجة فى تاريخ الحركة حتى عام ١٩٧٨م (١٣٩٨هـ)، وهى بداية العصر الجمهورى ونهاية العصر الديمقراطى فى **أفغانستان** وهى من أسوأ المراحل التى صادفتها الحركة الإسلامية فى **أفغانستان**.

٤- فترة انقلاب الشيوعيين الدموى المشئوم سنة ١٩٧٨م (١٣٩٨هـ) الذى وحد الحزبين الشيوعيين العملين الخلق والبرجم، وتتميز هذه المرحلة الخطيرة فى تاريخ **أفغانستان** بالتمهيد للتدخل الروسى العملى لاحتلال **أفغانستان**. وفى هذه الفترة العصيبة قد تمكن الانقلاب الشيوعى من توحيد الجناحين الشيوعيين فى حزب واحد، وتمكن كذلك من تشتيت الإسلاميين وتفريقهم إلى شيع وأحزاب، وإرغامهم على ترك البلاد، ومن لم يترك البلاد كان مصيره الموت والهلاك.

٥- فترة الاحتلال الروسى الدموى الأحمر المدمر **لأفغانستان** فى أواخر ديسمبر عام ١٩٧٩م (أوائل صفر ١٤٠٠هـ)، وتتميز هذه المرحلة الشنيعة من مراحل تاريخ الحركة الإسلامية فى **أفغانستان** المعاصرة الجريحة الدامية باجتياح ١١٥ ألف جندى روسى للبلاد الأفغانية للوقوف وجها لوجه مع كل من الصين وباكستان وإيران.. لمناطحة إيران من فوق ربى جبال هندوكش، ولمراقبة باكستان من فوق

ذرى جبال تخت سليمان المشرفة على ممر خيبر، ولمضايقة الصين من سقف الدنيا جبال بامير المشرفة على كل من الصين وباكستان. وهى نقطة الاتصال البرى الإستراتيجية بين كل من الأفغان والروس والهنود والباكستانيين والصينيين. والروس هم الذين يتحكمون فى هذه النقاط الإستراتيجية الثلاث فى **أفغانستان**.. سفوح جبال هندوكش التى تشق **أفغانستان** وتقسمها إلى الشمال والجنوب، وجبال تخت سليمان المشرفة على باكستان، وجبال بامير المشرفة على الصين.

المقاومة الأفغانية من المنظور الإسلامى:

إن المقاومة الأفغانية الجهادية تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية رغم اشتراكها فى الهدف الذى ترمى إليه كل تنظيمات المقاومة، وتجاهد لتحقيقه والوصول إليه، وهو تحرير البلاد وتطهيرها، وإقامة حكم إسلامى فيها، ورغم ذلك فإن جبهة الجهاد الإسلامى فى **أفغانستان** تنقسم فى خطوطها العريضة إلى المجموعات الثلاثة الآتية:

١- المجموعة الأولى عبارة عن الأحزاب الإسلامية الثورية، وتشمل الجمعية الإسلامية بقيادة برهان الدين ربانى، والحزب الإسلامى الأفغانى بقيادة كُلبدين حكمتيار، والحزب الإسلامى الأفغانى (المنشق) بقيادة محمد يونس خالص، والاتحاد الاسلامى لتحرير **أفغانستان** بقيادة عبد رب الرسول سياف، وترتب هذه الأحزاب الثورية الصامدة فى التمسك بالثورة والتشدد المفرط فيها كالآتى..حزب حكمتيار الإسلامى، يليه اتحاد سياف، يأتى بعده حزب خالص الإسلامى، ثم جمعية ربانى الإسلامية، وفى كل من الثوريين الأربعة خير.

٢- والمجموعة الثانية من المقاومة الأفغانية عبارة عن الأحزاب التقليدية المعتدلة فى ثورتها،وتشمل تنظيم ثورة **أفغانستان** الإسلامية برئاسة محمد نبى محمدى، وتنظيم المحاذ الإسلامى برئاسة سيد أحمد الكيلانى، وتنظيم الجبهة الوطنية لإنقاذ **أفغانستان** برئاسة صبغة الله المجددى. ويمكن ترتيبها فى الاعتدال كالآتى..جبهة المجددى الوطنية أكثر هذه الأحزاب اعتدالا، يليه محاذ الكيلانى ثم ثورة محمدى الإسلامية الأفغانية. وفى كل من المعتدلين الثلاثة خير.

٣- بجانب المجموعتين الإسلاميتين الثورية والمعتدلة هناك مجموعة ثالثة من المعارضة الأفغانية تتكون من أنصار الملكية، والإقطاعيين والتجار، والليبراليين المثقفين، والعناصر الشيوعية من غير البرجم، والعسكريين المعارضين للنظام الشيوعى، والقوميين الأفغان، هذه المجموعة الثالثة تتعاون مع الجهاد الإسلامى تلقائيا دون أن تقصد الجهاد فى سبيل الله دفاعا عن الدين والعقيدة، وإنما يأتى تعاونها التلقائى اللاشعورى مع المقاومة الإسلامية لمعارضتها الأوضاع القائمة فى البلاد لأسباب لسنا فى حاجة إلى ذكرها فى هذا البحث.

هذه التطورات والأحداث الخطيرة من التحولات السياسية، والقتالية، والاجتماعية تبين بوضوح مراحل تطور المقاومة الأفغانية المسلحة، ونموها نموا مطردا خلال عدة سنوات، كان من أبرز نتائجها الايجابية أن بدأت أعداد كبيرة من المجتمع الأفغانى الاشتغال بالسياسة، والاشتراك فى القتال ضد المحتل الروسى، لم يكن لهذه القطاعات الكبيرة من الشعب الأفغانى أية اهتمامات قتالية من قبل. وقد ازداد دور الإسلام واشتد كباعث أساسى قوى، وعامل مثير للمشاعر الإسلامية نحو المقاومة الإسلامية المسلحة، وذلك لتحقيق الأهداف الإسلامية،

وحاجاتها المنهجية العلمية والعملية. وقد تبلورت لذلك المقاومة الأفغانية فى صورة نضال ثورى إسلامى يقوم المجاهدون بشنه ضد الغزاة الروس لتحرير الأراضى الإسلامية الأفغانية من عدو غاشم لئيم ملحد ليس فى **أفغانستان** فحسب بل فى بلاد ماوراء النهر أيضا.

مطاردة الجماعة الإسلامية:

فقد كرست الجماعة الإسلامية الأفغانية جهودها وإمكانياتها المحدودة لتحقيق المثل العليا الإسلامية لإعادة المجتمع الإسلامى الذى أفسدته الأفكار الشيوعية والاشتراكية الخرافية إلى المنهج الإسلامى الصحيح، وقد طاردتها حكومة السردار محمد داود خان الوطنية، والعناصر الشيوعية الموالية للروس على أنها معادية لوجودها فى **أفغانستان**، وبناء على هذا المنظور الشيوعى الخسيس فإن زعماء الجماعة الإسلامية قد تمت تصفيتهم جسديا، أو زجوا بهم فى السجون، أو تم نفيهم أو طردهم بوحشية وقسوة، أو أرغموا على الهجرة ومغادرة البلاد، وترك الديار. ومع هذا فقد مارست نشاطها الإسلامى فى المقاومة الأفغانية من خلال كل الوسائل المتاحة حربية قتالية كانت، أم دعائية إعلامية، إلا أن المد الشيوعى والاشتراكى المدعوم بتأييد الحكومة الأفغانية والشيوعية العالمية كان أقوى من تلك الوسائل المتواضعة.

الإسلاميون يتنبؤون:

وقد حقق الشيوعيون بانقلابهم الشيوعى المشبوه بالتأييد الروسى فى إبريل سنة ١٩٧٨م (جماد أول ١٣٩٨هـ) التوقعات التى كان الإسلاميون بقيادة زعيمهم الشهيد **غلام محمد خان نيازى** ينادون بها حول التهديد الخطير باستيلاء الشيوعيين على زمام الأمور فى **أفغانستان**، وحول عمليات الانتقام الدموية التى سيقوم بها الشيوعيون ضد الإسلاميين والإسلام، وضد الشعب الأفغانى المسلم، وضد **أفغانستان** الإسلامية، من القتل والطرد والتدمير. فإذا كانت هذه العمليات الوحشية الانتقامية التى قام بها الشيوعيون بعد استيلائهم على الحكم فى كابل، قد حققت تنبؤات الجماعات الإسلامية الأفغانية، فإنها فى الوقت نفسه قد اقنعت قطاعات واسعة على مستوى واسع من المجتمع الأفغانى بأن مقاومة هذه الجرائيم السرطانية من التيارات الشيوعية الهدامة هى السبيل الوحيد للحفاظ على أنفسهم، وعلى استقلالهم، وحريتهم فى العقيدة والوطن والمجتمع كله. إن الغزو الروسى المباشر لأفغانستان يعتبر نقطة تحول كبير وخطير فى حياة الحركة الإسلامية فى **أفغانستان** حيث كانت، قبل هذا الغزو، تجتذب العناصر الإسلامية الثورية والتقليدية، كما كانت تجتذب العناصر الإسلامية المستقلة المتحمسة إسلاميا، أما بعد الغزو فإن كل طبقات الشعب الأفغانى المسلم بدأت العمل الثورى الإسلامى ضد الغزو الروسى، وضد من يتعاون معه، واندفع الكل للعمل ضد الروس والعملاء بشكل أو بآخر..بالهجرة، ومغادرة البلاد احتجاجا وحفاظا على الدين والعقيدة، أو للانضمام إلى تنظيمات المقاومة الجهادية فى بشاور أو فى إيران، أو

للانضمام إلى صفوف الحركة الجهادية فى المناطق الريفية داخل البلاد، أو بالتعاون مع المجاهدين المسلحين داخل المدن والقرى الأفغانية، أو بالتعاطف والعمل بالتعاون السرى مع المجاهدين الذين يقومون بحرب العصابات فى المدن الكبيرة مع البقاء فى **أفغانستان** والاحتفاظ بأعمالهم الحكومية والتجارية. إن المهاجرين الأفغان من الرجال والنساء، ومن الشيوخ والأطفال خاصة قد أضافوا بعدا جديدا ومؤثرا إلى مقام المقاومة الأفغامية الجهادية المسلحة، وإلى مراكز التنظيمات الأفغانية سياسيا واجتماعيا وقتاليا. قد ساهم كل ذلك فى تطوير التنظيمات التى تكون المقاومة الأفغانية فى الوقت الحاضر من الجوانب السياسية والثقافية والقومية والفكرية، وأخيرا من الناحية العسكرية والحربية، وفى مجال حرب العصابات على مستوى **أفغانستان** كلها.

الشهيد نيازى باعث النهضة الإسلامية فى أفغانستان:

إن النهضة الإسلامية العظيمة التى نراها اليوم فى **أفغانستان** مرفوعة الرأس رافعة الرايات، مرفوعة الأعلام، وإن الثورة الإسلامية الصادقة التى تقوم الآن صارمة الصمود فى مواجهة الطغيان، شاهرة السيوف لمقاتلة طغاة الاحتلال، وأعداء الإسلام، إن هذه الثورة الصامدة، وتلك النهضة العظيمة، واليقظة الإسلامية ثمرة من ثمار ذلك الجهد الخالص والعمل الصادق الذى بذله، وقام به أبناء هذا الوطن الصادقين الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل هذا البعث الإسلامى فى هذا الوطن الثائر موطن الثائر العظيم جمال الدين الأفغانى. وعلى رأس هؤلاء

الصادقين من المناضلين المسلمين شهداء الإسلام الأستاذ **غلام محمد خان نيازى** باعث النهضة الإسلامية وبانيها فى البلاد الإفغانية. ذلك الشهيد المؤمن الصادق الذى عمل بإخلاص، وجاهد بإصرار، وتحمل المشاق، وصبر على الصعاب بقوة إيمانه لإيقاظ شعبه بعيدا عن طبول الشهرة، وأبواق الدعاية. وبعيدا كل البعد عن كل أمل فى الوصول إلى جاه أو منصب. أو فى الحصول على الثروة والمال. عاش مجاهدا مناضلا، ومات شهيدا، و لم يترك من ورائه غير ثروة النضال الثورى فى الإطار الإسلامى، وثروة الجهاد الفكرى النفيسة فى المجالات الإسلامية، والنهضة الإسلامية فى البلاد الأفغانية التى دفعت الحركة الإسلامية فى شرايين حياة الشعب الأفغانى دفعا ثوريا إلى المدى البعيد، والغور العميق. وذلك بحكم الطبيعة والفطرة الإسلامية فى هذا البلد الإسلامى وفى أهله من المسلمين الذين يعظمون قادتهم الإسلاميين ويحترمونهم، فهم لهم رجال الحرب والجندية، ورجال التضحية والفداء إن هم تركوا دون حائل يحول بينهم. وقد جرت الحركة الإسلامية التى أسسها **نيازى** من هؤلاء المسلمين الأفغان مجرى الروح والدم، هذبتهم بذوق إسلامى ثورى، وأثارت فيهم الحمية الإسلامية الكامنة. وهيأتهم للثورة الإسلامية التى نرى آثارها الآن فى الحرب الإسلامية الدائرة فى **أفغانستان** فى هذه الأيام.

ابتعاثه إلى مصر:

الشهيد **غلام محمد خان نيازى** باعث النهضة الإسلامية، ومؤسس الحركة الإسلامية الحديثة فى **أفغانستان** الثائرة قد ولد سنة ١٩٣٢م (١٣٥٠هـ) فى قرية " رحيم خيل " بمديرية " أندر " بولاية غزنه مهد الحضارة الغزنوية، وموطن المجاهد

الكبير " دين محمد خان الأندرى " الشهير بلقب " مسك العالم " لغزارة علمه وورعه وتقواه. وقد أتم دراسته الابتدائية فى مدرسة " على هجويرى " فى مسقط رأسه، والتحق بعد ذلك بمدرسة " أبى حنيفة " الثانوية الداخلية فى كابل العاصمة. وحصل على الشهادة الثانوية فى العلوم الإسلامية والعربية أهلته للالتحاق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر فى مصر. وقد أوفدته وزارة المعارف الأفغانية سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ) فى أول بعثة رسمية إلى مصر لمواصلة الدراسة الجامعية بجامعة الأزهر. وكانت البعثة عبارة عن كل من الشهيد **غلام محمد نيازى** رحمه الله، والسيد غلاب خان بشار الذى كان يعمل موظفا بوزارة الإعلام الأفغانية ويعيش الآن فى المهجر، والسيد خان محمد الأندرى الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة كابل، والسيد غلام محى الدين خان نورى الأستاذ بكلية الحقوق بجامعة كابل، والسيد محمد كبير خان الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة كابل، والسيد غلام صفدر خان بنجشيرى رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة كابل سابقا، وهو يعمل الآن موظفا برابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة. أما أنا مؤلف هذا الكتاب فلم أكن عضوا فى البعثة الأفغانية الرسمية ولكننى كنت أواصل دراستى الجامعية فى هذه الفترة بمنحة دراسية من جامعة الأزهر بمصر. والذى يعنينى فى هذا السرد المختصر هو أن معرفتى بالأستاذ **نيازى** قديمة، وكانت هناك اتصالات واجتماعات أخوية بين عدد من الإخوة للنظر فى الشئون الخاصة بمستقبل الحركة الإسلامية فى البلاد الإسلامية بصفة عامة، وفى بلادنا الأفغانية بصفة خاصة. وكانت الحركة الإسلامية فى مصر تلقى بظلالها على تلك اللقاءات، وذلك بحكم الأرضية المشتركة بين الحركات والأفكار الإسلامية. كان أفق التصور الإسلامى للأستاذ

نيازى واسعا عاما ينبئ عن الشمولية الفطرية فى الإسلام. فلا عجب إذن إذا كان الشهيد **نيازى** قد أخذ على عاتقه مسئولية تأسيس الحركة الإسلامية فى **أفغانستان** بعد عودته من مصر. سافر الأستاذ **نيازى** فى عام ١٩٥١م (١٣٧٠هـ) إلى مصر والتحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وكان من الطلبة الأوائل المتفوقين فى الدراسة الجامعية وحصل على الشهادة العالية (ليسانس..**B.A**) فى علوم الحديث، ثم حصل على شهادة العالمية (**M.A.**) مع تخصص التدريس (**B.T.**) من جامعة الأزهر، وعاد إلى الوطن فى ١٩٥٨م (١٣٧٧هـ)، وعين مدرسا لعلوم الحديث بكلية الشريعة بجامعة كابل عام ١٩٥٩م (١٣٧٨هـ) تلبية لرغبته. وقد عمل لمدة قصيرة مديرا عاما لإدارة التأليف والترجمة بوزارة العدل الأفغانية نتيجة لمضايقات، ودسائس، ومؤامرات حيكت من حوله بغرض إبعاده عن الكلية، أرغمته فى النهاية على ترك الجامعة مؤقتا للعمل بوزارة العدل، ورغم ذلك لم يترك التدريس بالكلية، والاتصال بالجامعة قلبا وروحا وعملا، حيث كان يؤمن أن الجامعة أنسب مجال لتربية الجيل المثقف تربية دينية واعية، وقد نجح فى ذلك، فقد عاد إلى الجامعة مرة ثانية بعد أن انتهت المؤامرات، وهيئت الظروف، وشكلت حكومة جديدة برئاسة نور أحمد اعتمادى، وتم تعيين بعض رجال الجامعة فى الوزارة الجديدة وصفا الجو فى كلية الشريعة لعودة الأستاذ **نيازى** إليها، فعاد إليها سنة ١٩٦٧م (١٣٨٦هـ).

الأستاذ نيازى يعود إلى الجامعة:

عاد **نيازى** إلى الجامعة وعادت معه آماله العريضة فى تربية الجيل المسلم من جديد على أسس بعث إسلامى، وانبعاث فكرى ليحول الخامات الصالحة من الشباب الأفغانى إلى طاقات إسلامية، وذلك بترسيخ الإيمان العميق، وبتقوية المبادئ الإسلامية وتثبيتها فى أذهانهم وأفكارهم النابضة بالحيوية. وعمد إلى الذخائر البشرية من شباب الجامعة، وهى مليئة بالمواد الخام، وقد استغلتها الشيوعية شر الاستغلال وأضاعتها بجاهليتها وإلحادها، فأوجد فيها الإيمان والعقيدة، وبعث فيها الروح الجديدة، وأثار دفائنها، وأشعل مواهبها، فتحولت جسما ناميا، وإنسانا مسلما متصرفا كأنه كان ميتا فعاد حيا. عمد إلى شباب الجامعة وإلى أناس من غيرها، فما لبث أن رأى الأفغان نوابغ وقادة وزعماء من أمثال ربانى وسياف وحكمتيار وغيرهم من زعماء الجهاد فى **أفغانستان** يجمعون بين اللياقة والكفاية والديانة، والقوة والأمانة وبين الزعامات الدينية والقومية والحربية، مزاجها جهاد ودفاع ومقاومة وكفاح. إن الفضل فى كل ذلك يرجع إلى التربية الدينية الصالحة التى غرسها الأستاذ الشهيد **غلام محمد خان نيازى** فى الشباب الجامعى وفى غيره من الخامات، وإلى الدعوة الإسلامية التى وجهها إليه. لقد وضع الأستاذ **نيازى** مفتاح الحركة الإسلامية على أقفال المثقفين فى الجامعات الأفغانية فانفتحت على ما فيها من قوى ومواهب وكنوز وعجائب، فأصاب الشيوعية فى صميمها، وأثار ذعر الشيوعيين فى كل من كابل وموسكو.

الشهيد نيازى عميدا لكلية الشريعة:

عاد **نيازى** إلى الكليـة سنة ١٩٦٧م (١٣٨٦هـ)، وانتخب عميدا لها سنة ١٩٦٨م (١٣٨٧هـ). وكان تدريس المواد الدينية والعلمية بالكلية نوعا من النصوصية الجافة لا حيوية فيها ولا نشاط، وكأنها طلاسم لفظية لا حقيقة لها ولا معنى، أو فلسفية لاهوتية علاقتها بعلوم ما بعد الطبيعة أوثق من علاقتها بالحياة العملية، كان التدريس منحصرا فى مباحث لفظية نصوصية، وفلسفية كلامية لا تجدى نفعا، ولا تأتى بنتيجة مثمرة، وتشاغل المدرسون بها عن المبادئ الإسلامية التى تشتمل عليها تلك النصوص والمتون من التراث الإسلامى العظيم، بذلوا فيها قسطا كبيرا من وقتهم وجهدهم وذكائهم. ضاعوا فى خضم ذلك وضيعوا. فكانت عودة الأستاذ **نيازى** إلى عمادة الكلية والتدريس بها رحمة من الله ومنة منه نزلت على طلاب الكلية التى بدت عليها علامات الضعف، وأمارات الشيخوخة، فأعاد الله به الحياة إلى المواد الدراسية عامة، وإلى المواد الدينية والعربية والتاريخية بصفة خاصة، وذلك بعد أن قيض الله لها الشهيد **نيازى** الذى صمم على إحياء هذه المواد وطريقة تدريسها، وخاصة بعد أن انتخب عميدا لكلية الشريعة. وقد أصبحت الكلية بعد ذلك مركزا لنشاط العلوم الدينية، والعربية، والآداب، وقد كانت قبل ذلك مصابة بالجدب العلمى، والشلل الفكرى، قد أخذها الإعياء والفتور، واستولى عليها النعاس، لا هم لها إلا القيام بخدمة الحكومة شأنها فى ذلك شأن بقية المؤسسات العلمية فى البلاد. بدأ فيها النشاط والابتكار فى الحركة العلمية والإسلامية، وفى مناهج التعليم، وامتد نشاطها إلى كليات أخرى

بالجامعات الأفغانية، وسارت الكلية أيام عمادته لها سيرا حثيثا فى كل ميـدان مـن ميادين النشاط العلمى، وقطعت فى أيام مسافة أعوام

وتكمن أصالة فكر الأستاذ **غلام محمد خان نيازى** فى أنه سعى سعيا حثيثا إلى توجيه الثقافة الإسلامية فى الكليـة نحـو ضـرورة إعـادة النظـر فـى الوضـع العلمـى ككل. ودعا بإصرار إلى إعادة النظر فـى إقامـة حركـة عقليـة عمليـة بـين أسـاتذة الكلية تجعلهم أكثر التصاقا وتأثيرا فى البيئة الجامعية، وتتفق مع المعرفـة الحديثـة ولا تخرج عن الإطـار الإسـلامى. وقـد مكنتـه معرفتـه الوثيقـة بـالعلوم الإسـلامية مـن توضيح أن الشـريعة الإسـلامية قـادرة علـى اسـتيعاب أكـثر التطـورات تحـررا مـن الخرافات القديمـة والحديثـة، وأن هـذه الشـريعة لا يعارضهـا أى نـوع مـن التغيـير الصـالح المثمـر لمصلحـة المجتمـع الإسـلامى. إن الزعامـات الفكريـة، والأحـزاب السياسية، والقيادات التنظيمية التـى نشـأت وظهـرت حـول شـخصيات كـل مـن ربانى وسياف وحكمتيار وغيرهم من الزعماء الأفغان فى الجهاد، تعتـبر اقتباسـات من أصالة فكره الإسلامى الأصيل، وفروعا صالحة للجماعة الإسلامية التى أنشـأها **نيازى** فى رحاب جامعة كابل. وكان يهدف بذلـك إلى توجيـه الشـباب الجـامعى توجيها إسلاميا، وتنبيهه إلى الخطر الشيوعى المحدق، والاهتمام بالتحديث الفكـرى والتكنولوجى، ومحاولة إضفاء الصبغة الإسلامية على الحياة الجامعية، تمهيدا لتطبيـق ذلك فى الحياة الأفغانية على المستويين الرسمى والشعبى فى المستقبل.

كانت حركة الأستاذ **غلام محمد خـان نيـازى** بـاعث النهضـة الإسـلامية فـى **أفغانستان** إسلامية الفكر والجوهر، إسـلامية التسـمية والمواجهـة، إسـلامية البنيـان والأساس بكافة أجنحتها الدينية والفكرية، والمدنيـة والقبليـة، والقوميـة والطائفيـة،

والثقافية واللغوية. إن حركته الإسلامية الأفغانية ليست كظاهرة عارضة طارئة فى بلاد الأفغان، وإنما حركة توجه إسلامى متين، وحركة ترشد إسلامى رشيد لحاجات سياسية وثقافية وعلمية شاملة بمعناها الواسع الشامل الكامل فى إطار الممارسات الإسلامية الصحيحة فى المجتمع الأفغانى الذى يتكون أساسا من المكونات والمقومات الإسلامية. وتقول جماعة الشهيد **نيازى** وترى أن الإسلام ليس دين تعبد وطقوس دينية فقط، وإنما هو دين تعبد ومنهج حياة، ومسلك ثقافة ومعرفة، إنه دين ودولة، هذا الدين هو الذى يدير سياسة الأمة الإسلامية، ويدير أمورها السياسية والاجتماعية لأنه يحتوى فى ثناياه على رصيد ضخم من الحيوية الكامنة الخالدة المتجددة على الدوام، وهى تبدو واضحة جلية فى الأفكار والتصورات المطروحة فى أدمغة أعضاء هذه الجماعة التى تفرعت إلى شيع وجماعات بعد رحيله والتحاق روحه الطاهرة بأرواح الشهداء فى عليين. إن الزعيم الحقيقى، والمصلح الصحيح هو الذى يتولى الاجتهاد الفكرى والعلمى، ويتخذ من التدابير والإجراءات ما هو أكثر ملاءمة للوقت والظروف والمناسبات، وللزمان والمكان، وهذا ما فعله الأستاذ الشهيد **غلام محمد خان نيازى**، وتلاميذه فى الجماعة الإسلامية. فقد سار هو ورفاق دربه فى الاجتهاد الفكرى والجهاد السياسى والقيادى على طريقة جديدة تناسب العمل والظرف والمناسبة بمنهج مستنير بالنور الإسلامى فى كل بيئة عملوا فيها سواء كان ذلك فى الجامعة، أو فى الريف، أو فى جبهة القتال.

وفى أيامه تم إصلاح وتطوير البرامج الدراسية حيث وافق مجلس الكلية على دراسة التاريخ الإسلامى، وعلم النفس، وعلم الاجتماع الإسلامى، ودراسة أحوال

الأمم الإسلامية، كما تم إنشاء أقسام جديدة بالكلية. وعلى مستوى الجامعة تمكن من إنشاء مركز الدراسات والبحوث الإسلامية بموافقة مجلس الجامعة ومجلس الشعب الأفغانى، وقد تمكن بذلك من فتح أفكار طلاب الجامعة على السيرة الإسلامية، والروح الإسلامية، والعقلية الإسلامية، والسلوك الإسلامى والتفكير الإسلامى، وفى أيامه أصبحت المواد الدينية جزءا من مواد اختبار المسابقة للالتحاق بالجامعة.

إنه كان من خيرة الرجال الإسلاميين بالجامعة، وأكثرهم حكمة وإخلاصا، وأوسعهم خبرة وثقافة. وقد سخر كل ذلك لخدمة الكلية ثم لخدمة الجامعة والثقافة الإسلامية. كاد الإسلام النقى أن تحجبه سحب سوداء من الشيوعية الحمراء، ولكن جهوده المخلصة تمكنت من تبديد تلك السحب. ويجب ألا يظن أحد أن استخدامى هذه العبارات فى وصفه يعنى المجاملة أو المبالغة. فأنا أبنى حكمى على معرفه شخصيته التى اكتسبها فى ظروف شتى، وفى مناسبات شديدة الصعوبة والقسوة كعالم من أساتذة الجامعة أولا، ثم كزعيم لحركة إسلامية، ثم كمثقف ثورى يقود ثورة سياسية، ثم كسجين فى أيدى أعداء لا يعرفون الرحمة، وقبل كل ذلك كشخصية عظيمة لها خطرها وضعت تحت مراقبة حكومية فى كابل.

شخصيته وآراؤه السياسية:

لقد كان الأستاذ **غلام محمد خان نيازى** رجلا نشيطا فى هدوء، تعكس عيناه الضيقتان حدة الذكاء، كان صريحا مع أصدقائه وخصومه بطبعه، يوحى بالثقة

الفورية، يبدو فى ملامحه العامة أفغانيا من أصل بشتونى (أفغانى)، يلبس بدلة وقلنسوة جلدية من الفرو الأفغانى كالتى يلبسها الأفغان عادة، يجيد أربع لغات إجادة تامة، وهى البشتونية (الأفغانية) والدرية (الفارسية) والعربية والإنجليزية. وله معرفة واسعة وآراء صائبة بمدرسة الفكر الإسلامى، وهو يرى أن الكيان الإسلامى ليس مجرد الإصلاحات السياسية فحسب، وإنما الإصلاح الدينى الصحيح بالممارسة الشرعية لسلطة الدين الإسلامى، هو الذى يتيح حافزا قويا للتقدم العلمى والثقافى. ولا شك أن هذا الأمر يتطلب أساسا سياسيا جديدا فى البلاد لتلبية الرغبات الروحية والاجتماعية والسياسية للمسلمين. وكانت نغمته معتدلة فى التعبير عن آرائه الإصلاحية المقنعة بما كان يحمله من حكمة وخبرة طويلة. وكان يلح إلحاحا شديدا على حكم الشورى، وحرية التعبير، والمساواة الكاملة بين الحقوق والواجبات، وكان يميل فى تنفيذ آرائه الإصلاحية إلى الاعتدال والتراضى والتروى والتحمل والصبر مع الانتظار الحذر.

كان الأستاذ **نيازى** يجمع من صفات الزعامة والقيادة ما يؤهله لتكوين جبهة إسلامية ذات قوة تقوم على مبدأ الجهاد بعد التراضى المعتدل، والتروى المتصابر، فهو زعيم شعبى مهاب، ومسلم يؤمن بالإسلام دينا وشريعة ومنهج حياة، ويؤمن بالجهاد كغرض ثورى لتطهير البلاد من العبودية الشيوعية، ومن ماديتها الكافرة. وقد اعترف بذلك أعداؤه من الشيوعيين قبل أصدقائه، وكان يتمتع بقدرات علمية وسياسية فذة، وقد عرفه الشيوعيون كرجل مسلم من طراز فريد. وقد اتخذ من الجامعة مركزا لدعوته، ونقطة ارتكاز للتوسع فيما حوله من المؤسسات والمعاهد العلمية.. ونظرا لأن حركته ستقوم بعد هذا الإعداد فى ساحة الجامعة على مبدأ

الجهاد والنضال فكان لزاما عليه أن يهتم بإيجاد قاعدة شعبية واسعة فى المناطق الريفية الأفغانية. وللعداء الشديد السافر الذى استعر أواره بينه وبين الشيوعيين قام الشيوعيون بإلقاء القبض عليه بمجرد وصول الدكتاتور الأفغانى محمد داود إلى السلطة سنة ١٩٧٣م (١٣٩٢هـ)، ولم يخرج من السجن إلى آخر حياته. كان الشيوعيون يعتقدون أن الشهيد **نيازى** وجماعته الإسلامية هى العقبة الكؤود التى تقف دون تحقيق أهوائهم الشيوعية، ومن ثم كانوا يريدون القضاء على هذه الجماعة المسلمة بمختلف الوسائل والسبل، وقد تخلصوا منه، ومن عدد كبير من زملائه فى عمليات الإعدام الجماعية، وذلك بعد وصول الشيوعيين إلى الحكم. ورغم ذلك فإن حركته الإسلامية استمرت فى الصعود والصمود والتصدى، ولم يتمكن الشيوعيون من القضاء عليها كما قضوا على بانيها ومؤسسها وباعث نهضتها.

ومهما يكن من شئ فإن حركة الأستاذ **غلام محمد خان نيازى** تعد من الحركات الإسلامية الفتية القوية، فقد أحيت حركة الجهاد الإسلامى فى بلاد الأفغان، وأقامتها على أساس متين من المعرفة والعقيدة الإسلاميتين، ولكنها واجهتها الشيوعية بقوة شرسة تساندها روسيا الشيوعية الكبرى التى احتلت **أفغانستان** لترسيخ الشيوعية فيها. وإذا كانت قوى الشر والبغى والعدوان قد تكاتفت لمؤازرة بعضها البعض، وتمكنت من إعدام الأستاذ **نيازى** وعدد كبير من خيرة شباب الحركة الإسلامية فى **أفغانستان**، فإنها لم تتمكن من القضاء على الحركة الإسلامية، وهى تقف صامدة أمام عدو شرس، وفى حرب غير متكافئة رافعة راية الجهاد ٩٩ شهرا حين أعلن الدكتور نجيب الله يوم الإثنين ٨ فبراير

١٩٨٨م (٢١ جمادى الثانى ١٤٠٨هـ) جلاء القوات الروسية من **أفغانستان**، وقد دوخت فيها الروس وقواتهم المسلحة، ووقفت أمام أكبر قادة روسيا فى الجيش الروسى على قدم المساواة فى الخبرة العسكرية، وفنون القتال والحرب.

وقد يكون مفيدا أن أذكر أن حركة الجماعة الإسلامية فى **أفغانستان** قد أسسها الأستاذ **نيازى** فى أعقاب ميل الحكومات الأفغانية فى العهد الملكى والجمهورى إلى الشيوعيين، وتسلط الشيوعية على عدد كبير من الشباب الأفغانى، واشتداد أزمة الدين، وقضية الحكم الديمقراطى، وتعثر الحرية السياسية، وانتهاء عصر حكومات الأمراء، وبداية الدخول فى عهد حكومات غير الأمراء، الأمر الذى يدل دلالة قاطعة أن الظروف العامة كانت تقتضى طرح البديل الإسلامى عوضا عن البدائل الأخرى العاجزة، أو المجهضة سياسيا وقوميا. والجماعة الإسلامية تأتى فى مقدمة البدائل السياسية بوصفها قوة ذات فعالية مؤثرة واضحة فى صياغة حياة المجتمع الإسلامى فى **أفغانستان** من جهة، ثم لكونها الممثل الإسلامى الشرعى لهذا المجتمع الذى يتكون أساسه من المبادئ والأسس الإسلامية من جهة أخرى. وهذه الجماعة هى الوحيدة التى تتمتع بفضيلة التوجه إلى الجماهير الأفغانية المسلمة لتكون حكما بين التيارات المتنافسة والبدائل المتصارعة وهى التى تدفع بهذه البدائل إلى مواقع الولاية والسلطة، وتمنحها فرصة تحويل التصورات والأفكار السياسية إلى إجراءات تنفيذية وعملية تتحقق عن طريقها البرامج الاجتماعية والسياسية، والمستهدفات الأخرى فى المجتمع الأفغانى. فى مثل هذه الظروف العامة المتداعية قام **نيازى** بتأسيس الجماعة الإسلامية الأفغانية. ومن هنا فإنها صاحبة اليد العليا فى تحريك الحركات الإسلامية وغير

الإسلامية ليس فى **أفغانستان** وحدها، بل فى العالم كله، والأمثلة الحية لذلك هى التنظيمات الإسلامية الأفغانية، والانتفاضة الإسلامية فى فلسطين، والمظاهرات الأرمنية فى روسيا نفسها، وغيرها من الحركات التى نشطت وثارت متأثرة بالحركة الإسلامية فى **أفغانستان** بطريق مباشر أو غير مباشر، فهى الحركة الأم، وهى النموذج الأول الأكبر، وهى القوة الأساسية الفاعلة المؤثرة، وهى التى خرجت من جوفها التنظيمات الإسلامية فى **أفغانستان**، وهى التى دخلت فى دورات صراع ثلاثة مع الشيوعية.. فى الستينات، والسبعينات والثمانينات التى بلغت ذروتها بالاحتلال الروسى **لأفغانستان**. وهى الحركة التى تضرب بجذورها الفكرية فى أعماق الحركات الإسلامية تأثرا وتأثيرا ابتداء من حركة السيد جمال الدين الأفغانى، وحتى حركات السادة ربانى وسياف وحكمتيار الأفغانية.

تمضى السنوات وتمر، تتغير نظم الحكم وتتبدل من ملكى إلى جمهورى إلى ماركسى ويبقى اسم الأستاذ الشهيد **غلام محمد خان نيازى** مضيئا كالشهاب الثاقب فى سماء دنيا الأفغان، مشرقا فى سماء دنيا الإسلام، ساطعا لامعا فى سماء دنيا الحرية. لقد بدأ **نيازى** نشاطه الإسلامى وبلاد الأفغان فى حالة من التمزق المرعب الخطير، انطلق الشيوعيون بكل قوة وشدة لإقامة كيانهم المشبوه فوق الأرض الأفغانية وارتكبوا فى سبيل ذلك جرائم وحشية وأعمال بربرية لم يعرفها العالم الإسلامى من قبل. وظنوا أنهم قد نجحوا فى إقامة بنيان شيوعى ثابت الأساس فى بلاد الأفغان سيبقى فيها إلى الأبد، إلا أن ظنهم هذا كان باطلا واهيا حيث جاءت مسيرة الأحداث الإسلامية فى البلاد الأفغانية طويلة شديدة قاسية لتبرهن على كذب تلك المزاعم والادعاءات، وبطلان تلك الظنون والأوهام، فقد

ظهر بوضوح - من ثنايا تلك الأحداث - أن دنيا الأفغان الإسلامية للإسلام والمسلمين الأفغان، وأنه من المحال احتمال كل ما هو غريب غير إسلامى من قوات أجنبية، أو كيانات غريبة، أو معتقدات طفولية على الأرض الأفغانية الطيبة. وتبين بوضوح أن كل بنيان غريب غير إسلامى إنما هو بنيان فوق الرمال، أو هو كالثلج الذى لابد له من الانصهار والذوبان السريع عندما تدركه حرارة الشمس، وتدكه بأشعتها المحرقة.

هكذا جاءت حركة الأستاذ الشهيد **غلام محمد خان نيازى** الإسلامية ومن بعده حركات تلاميذه.. الزعماء ربانى وحكمت وسياف كالشمس الساطعة التى صهرت ثلوج الشيوعية وذوبتها من فوق قمم الجبال الراسخة فى **أفغانستان**، وحولتها إلى سراب قذفت به روحهم الإسلامية الجهادية إلى حيث قدمت. والمهم فى الأمر، هو أن الجهاد الذى يقوده الزعماء الأفغان ليس إلا نتاجا لجهود ضخمة وتضحيات ومعاناة تقصر الكلمات عن وصفها على امتداد سنوات طويلة قاسية تعرض خلالها الأستاذ **نيازى** ورفاقه لهجمات وصعوبات ومشاق تحملوها بتصميم وعزيمة لا مثيل لها فى التاريخ. ولكن النصر فى النهاية كان حليف الحركة الإسلامية التى أسسها **نيازى**، وتولى تربيتها بعد ذلك كل من الأساتذة حكمتيار وربانى وسياف.

إن الحلال والحرام قاعدة أساسية ورئيسية فى نظر الأستاذ الشهيد **غلام محمد خان نيازى** ليس فى الحياة الاجتماعية فحسب بل فى الحياة السياسية والاقتصادية أيضا، ينظر إلى هذه القاعدة من منظور الإسلام، ومن هذا المنطلق ينظر فى الحكم

على المسائل السياسية ومشاكلها وقضاياها المعقدة وهو لا يقف عقبة صامدة فى سبيل الاجتهاد للبحث عن الحلول لتلك المسائل والمشاكل التى يتحول فهمها ويتطور مع تحولات الزمان والمكان، والمصلحة العامة للمسلمين، ويرى أنه من الممكن تطبيق قاعدة الصواب والخطأ عليها عن طريق الاجتهاد.

الشهيد نيازى يثير انتباه الشعب الأفغانى:

والشهيد **نيازى** أول زعيم أفغانى مسلم أثار انتباه الأفغان إلى أن يعتمدوا على زعمائهم الأفغان بدلا من الجرى وراء الزعماء المسلمين فى كل من إيران وباكستان ومصر من أمثال على شريعتى، ومودودى وحسن البنا وغيرهم، وقد ساعد فى تنفيذ هذه الفكرة كل من حكمتيار وربانى وسياف وغيرهم من الزعماء الأفغان فى العصر الحديث، ولو لم يكن الشهيد **نيازى** وجهده المخلص فى إحياء المشاعر الإسلامية فى قلوب الشباب الأفغانى لما كان هناك التفاف وتجمع إسلامى حول هؤلاء الزعماء الذين يقودون الجهاد لدفع الشر والخطر عن البلاد الأفغانية، ولولا لطف الله، ثم حركة الأستاذ **نيازى** الإسلامية لما كانت هناك حركات إسلامية فى البلاد الأفغانية. وليس معنى هذا أنه كان يمانع فى الاستفادة من أفكار الزعماء المسلمين فى البلاد الإسلامية، إن قضية التأثير والتأثر لا يمكن إنكارها وهو بنفسه متأثر بحركة الإخوان المسلمين فى مصر، وبحركة الجماعة الإسلامية فى باكستان، وبالحركات الإسلامية الأخرى فى جميع أنحاء العالم الإسلامى. فقد تأثر بالحركات الإسلامية، وأثر فيها، كما ترك أثره الطيب فى كل من سياف وربانى وحكمتيار، فهو مفكر المفكرين وموقظ العلماء، وموجه الطلاب ومرشد الشعب،

وباعث النهضة الإسلامية فى بلاد الأفغان. وكان اتصاله بـالإخوان المسلمين عـن طريق الأستاذ هارون المجددى رحمه الله الذى كان مسئولا عـن قسـم الاتصـالات بالعالم الإسلامى فى التنظيم الإخوانى فى مصر. وكـان **نيـازى** بالنسـبة للمسـلمين فى منازل الأفغان المحرض الأساسى لمجابهة كل التحديات والانتصار عليها. وليـس من الغريب أن يتعرض للحرب بهدف القضاء على عوامل التحريض والقـوة لـدى المسلمين فى البلاد الأفغانية.

وبعد، فأحداث الحركة الإسلامية الأفغانية نسيج متصل، وهو نسـيج مكتـوب بالكثير من الجهد والعرق والدماء، وهو إلى ذلك يضم من الدروس والعـبر التـى لا زالت تحتفظ بكل فائدتها الجهادية، وبكل أهميتها النضالية ولعل من أهم ما يمكـن تعلمه من تاريخ هذه الأحداث هو أن التصميم لبلوغ النصر وتحقيق الهدف يشـكل العامل الأساسى لتحقيق هـذا النصـر والبلـوغ إلى هـذا الهـدف.. ﴿**وقـل اعملـوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾.

كان الشهيد **غلام محمد خان نيازى** أول شهيد للحركة الإسلامية التى أسسها فى رحاب جامعة كابل، كان رحمه الله يدعو إلىالإسلام ويدافع عنه فـى الجامعـة وفى غير الجامعة، وفى المدة الطويلة التى قضاها فى سجن كابل، وفى حياتـه التـى كان يقضيها خارجه، كان هادئا فى دعوته الإسلامية و لم يكن متهورا، كان يدرك الوقت والمكان المناسبين لتوجيه الدعوة والكـف عنهـا، قـوى الشـخصية، مسـيطر على رجاله، شجاع، عالم، فقيه، لذلك نجح فى دعوته إلى حد كبير، ونجح رجالـه إلى حد أكبر. جمع عنده نخبة طيبة من شـباب الجامعـة وكـان يعتز بهـم وبـآرائهم ومشاوراتهم وبتأييدهم له، ومعاونتهم له فى أمـور الدعـوة، وفـى شـئون الجماعـة

الإسلامية. كان الشهيد **غلام محمد خان نيازى** يستشير جميع هؤلاء الإخوة ويشير عليهم، ويستمع لهم، ويسمعهم، ويتوخى فى جميع ذلك تمحيص الرأى، وإبراء الذمة والمسئولية. لقد كانت الشورى عنده مبدأ لا يحيد عنه، كان يؤمن إيمانا عميقا بالشورى، وكان يحسن فن الاستشارة، وكان يحرص عليه حرصا شديدا، كان تكوينه الطبيعى وخلقه ونفسيته نموذجا رفيعا للحرص على الاستشارة، والاستفادة منها. وكان يتمتع بالفطنة وبعد النظر فى تحمل المسئولية. هذا هو **نيازى**.. كون جماعة إسلامية وأقام وحدة، وأنشأ تنظيما، وحمل رسالة واجبة الأداء. رحمه الله رحمة واسعة.

غيـــاب الوحـــدة وتعـــدد الجماعـــات الإســـلامية

أعود مرة أخرى إلى الوراء قليلا لنتبين ما بُذل من الجهود لوحـدة الصـف بـين الجماعات والتنظيمات الإسلامية العاملة فى حقـل الجهـاد الأفغـانى ضـد العـدوان الشيوعى على الشعب الأفغانى، وقد قلت غير مرة إن سير الجماعة الإسلامية التـى أسسها الأستاذ الشهيد **غلام محمد خان نيازى** الذى كـان أستاذا بكليـة الشـريعة بجامعة كابل كان سيرا طبيعيا مرضيا، وكان من أبرز الشـباب الـذى التـف حولـه ربانى وسياف وحكمتيار، و لم ينتظر هذا الأخير طويلا، تـرك البـلاد، واسـتقر فـى بشاور، وأسس الحزب الإسلامى، ثم لحق به ربانى وقام بإحياء الجمعية الإسلامية، ثم بدأ الحوار بينهما لإيجاد أرضية مشتركة للتعاون فى الجهـاد، وانتهـى الحـوار إلى الخلاف على الرئاسة، وأخيرا تم الاتفاق على أن يرأس الجماعة محمد نبى محمـدى، و لم تكن مدة رئاسته طويلة حيـث أعلـن فـى سنة ١٩٧٨م (١٣٩٨هـ) تأسيس حزب " ثورة **أفغانستان** الإسلامية " فأصبح منافسـا ثالثـا فـى الحركـة الإسـلامية، واستمرت عملية التوليد حيث أسس كيلانى شـيخ القادريـة وأحـد رجـال البـلاط الملكى حزب " المحاذ الإسلامى " وعاد مجددى من مدينة كوبنهـاجن، وأسـس فـى بشاور الجبهة الوطنية. وانفصل خالص من حزب حكمتيار، وادعـى أنـه أولى بـأن يسمى حزبه المنشق بالحزب الإسلامى، ونتيجة لجهود حميدة بذلت لتوحيد كتائب

الجهاد باسم الاتحاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان** الذى ورثه سياف، وازداد بذلك عدد الأحزاب حتى وصل إلى سبعة أحزاب أو تنظيمات تتبارى أو تتنافس فى الجهاد لتحرير البلاد، وتطهيرها من دنس الشيوعية الملعونة. وهكذا تمخضت المحاولات الفاشلة لدمج الجمعية الإسلامية والحزب الإسلامى فى جبهة إسلامية أفغانية واحدة قوية صامدة عن إنشاء أحزاب أو تنظيمات أخرى انشقت عن الحركة الأم.. حركة الإسلاميين الأفغان، ولا تزال عملية التوليد والتفكيك، والتفتيت والانشقاق تواصل سيرها فى تشتيت الحركة الجهادية الأفغانية فالشيخ جميل الرحمن خان صافى وهو من الشخصيات الإسلامية فى وادى "بيج" بولاية كونر قد انفصل عن الحزب الإسلامى بعدد كبير من أنصاره وهو يرأس حركته الخاصة المستقلة، كما خرج القاضى محمد أمين على الحزب الإسلامى بعدد من أنصاره، وهو يدعو إلى الوحدة بشدة دون أن تسمعه آذان واعية صاغية. وكذلك انفصل كل من نصر الله منصور ورفيع الله مؤذن عن ثورة **أفغانستان** الإسلامية بحركتين منفصلتين تشاركان الحركات الإسلامية فى العمل الجهادى لتحرير **أفغانستان**. وقد خرج عن الجمعية الإسلامية عدد كبير من الشخصيات الأفغانية البارزة وانضمت إلى الاتحاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان** بقيادة سياف، والشئ نفسه حدث للأحزاب والتنظيمات الإسلامية الأفغانية الأخرى، انفصل عدد من اتحاد سياف وعاد مرة أخرى إلى جمعية ربانى، ترك عدد كبير من الشخصيات السياسية من الطراز القديم كانوا يتعاونون إما مع جيلانى فى محاذه الإسلامى، أو مع مجددى فى جبهته الوطنية، واستوطنوا فى أوربا وخاصة فى ألمانيا الاتحادية،

وفى الولايات المتحدة، ويقومون بنشاط سياسى كبير يشاركون به فى الجهاد السياسى، حيث وجدوا فى تلك البلاد حرية أكثر وتأييدا أزيد لمثل هذه النشاطات الجهادية، وأصبحوا غير مقيدين فى إطار أضيق لتنظيم جهادى وسياسى واحد، بل يعملون للقضية الأفغانية كقضية واحداة لا تتجزأ.. قضية الأفغانيين فى كل مكان، وفى كل زمان، ومما لا شك فيه أن كثيرا منهم قد انحرف عن الطريق، وأغرته الحياة ومظاهرها المغرية، ولكن الأغلبية بخير تدعو إلى الخير، وتعمل لخير الإسلام والمسلمين فى **أفغانستان**، وتؤمن بأن المعركة الإسلامية لا تتجزأ، لا يمكن أن تتجزأ، لأن الأخطار الشيوعية تهدد الجميع فى **أفغانستان**. وعلى الرغم من كل ذلك فإن الأوضاع تتطلب من الجميع توحيد تلك الجهود الحزبية والتنظيمية والفردية، وتوجيهها توجيها صحيحا لخدمة القضية الأفغانية، إن الظروف والأحوال فى بلاد الأفغان، وفى العالم كله تحتم على هؤلاء جميعا الصمود صفا واحدا فى طريق تلك الأخطار المحدقة على خط الدفاع الأول عن البلاد الإسلامية التى تهددها الشيوعية بألاعيبها الشيطانية الحمراء الملطخة بالدماء.

نحن لا نود أبدا انتحال الأعذار للانفصالين الذين خرجوا عن تنظيماتهم، كما أننا لا نود أن ننتحل الأعذار لاستمرار الانفصال بين التنظيمات الأفغانية، وإنما قصدنا من ذلك أن نبرز حقيقة الأمور الجهادية، وما يدور حولها من الانقسمات المؤسفة التى تهددها تهديدا خطيرا فى غياب الوحدة. وإليك قصة غياب الوحدة الإسلامية بين الجماعات الإسلامية فى **أفغانستان** الإسلامية..

١- جمعية أفغانستان الإسلامية

(د أفغانستان إسلامی جمعیت):

إن الجمعية الأفغانية الإسلامية من أقدم الحركات الإسلامية فى **أفغانستان** يرأسها الآن الأستاذ برهان الدين ربانى الذى كان له فضل السبق فى الانضمام إلى الحركة الإسلامية بقيادة الشهيد **غلام محمد خان نيازى**. وقد ساهم فى تأسيس الحركة وتنشيطها مساهمة فعالة مؤثرة. وذلك عندما كانت الحركة الإسلامية الأفغانية تزاول نشاطها الإسلامى باسم " حركة الشباب الأفغانى المسلم " ضد الفساد والإلحاد والشيوعية الكافرة السافرة، وكان أكثر أعضاء هذه الحركة من الشباب فى الجامعات والمعاهد والمدارس الأفغانية، وقد وقف الأخ ربانى كتفا إلى كتف مع المرحوم **نيازى** يؤازره، ويشاركه، ويؤيده فى جهاده لتنظيم الشباب الأفغانى فى حركة الشباب المسلم. غادر البلاد الأفغانية وهاجر إلى بشاور سنة ١٩٧٤م (١٣٩٣هـ)، ومن هناك إنطلق بجهاده بعد أن قام بإحياء الجمعية الأفغانية، وصارت قوة ضاربة بأعضائها الأقدمين والجدد، تنافس منافسة شريفة فى القتال الدائر علىالأرض الأفغانية ضد الفساد الإدارى، والإلحاد الشيوعى والإباحية الغربية. والمبادئ الإسلامية هى التى تسعى الجمعية الإسلامية إلى تطبيقها على المؤسسات الأفغانية العامة والخاصة، وتدعو إلى قيام حكومة إسلامية لتنفيذ تلك المبادئ التى تسعى إليها وتحارب لأجلها، وتجاهد لتحقيقها. وشعار الجمعية لتحقيق تلك الأهداف هو.. الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا. ويستشف من كلام الأستاذ

ربانى الأهداف الرئيسية للجمعية الإسلامية فى حديث له أمام الطلبة سنة ١٩٨٢م (١٤٠٢هـ) وهى باختصار:

ضرورة التعايش العملى فى العصر الأليكترونى والعلمى مع المحافظة الشديدة على المبادئ الإسلامية السامية، والتمسك بقيمها الإنسانية العليا كما وضعت ونفذت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضى الله تعالى عنهم والعدالة فى أمور الراعى والرعية وفقا للدستور الإسلامى وهو القرآن. والمساواة فى الحقوق والواجبات طبقا لأحكام الإسلام. والانتخابات لاختيار الرؤساء بعيدا عن نظرية الوراثة. وتشكيل الحكومة من خلال مجلس الشورى الإسلامى، وذلك للقيام بتنفيذ أحكام الدستور الإسلامى فى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وإبداء الآراء فيما للناس من الحقوق، وما عليهم من الواجبات. وتحصيل العلم والمعرفة وفقا للأصول والقواعد والمبادئ الإسلامية التى تحث على طلب العلم من المهد إلى اللحد، وعلى تحصيله ولو بالصين.

ويبدو واضحا أن ما أوجزته من حديث الأخ ربانى تقابله المؤسسات البرلمانية فى العصر الحديث. إن الشورى فى الإسلام مبدأ لا يجوز الحيدة عنه للأغراض السلمية والحربية والاقتصادية على حد سواء، ونظام الشورى أكثر استيعابا من نظام المؤسسات البرلمانية، وأشد نفعا من هذه المؤسسات.

شعار جمعية **أفغانستان** الإسلامية المفضل هو: " الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا " هذه الشعارات الخمسة ترددها ألسن شباب الجمعية الإسلامية الأفغانية، وتهتف بها

حناجرهم صباح مساء وهم فى الطريق إلى جبهة الجهاد، وفى مرحلة الإعداد للجهاد، وهم يتأسون فى ذلك بأصاحب المدرسة الأولى التى أسسها نبى الإسلام صلوات الله وسلامه عليه، وخلفاؤه وأصحابه من بعده، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. والشعار كما نرى تعبير عن الإيمان بالدين ليرفعوا به الدنيا، ودعوة إلى العمل ليخدموا به الدين، وجمع بين الدين والدنيا ليكونوا فى الحياة أعزاء، وفى الآخرة من الفائزين برضا الله. فيه تعبير عن البطولة، والإخلاص، فيه تعبير عن الجهاد والتضحية، وعن الصبر والعزيمة، فيه صمود وثبات، فيه تبليغ ودعوة، فيه أخلاق وعمل. يتجسد فيه كل هذه المعانى التى يدعو إليها الإسلام، وتحاول الجمعية الإسلامية الأفغانية تنفيذها والعمل بها، وليس ذلك على الله بعزيز. وعندما يتحقق ذلك، ويظهر أثرها فى الأقوال والأعمال، وفى الحياة والواقع عندئذ يرجى للمسلمين وحدة ودولة، وللإسلام عزة وكيان، وللأفغان أمن وسلام. أرجو أن يقوم الأخ ربانى بتنفيذ هذه المبادئ إن قدر له الوصول إلى القمة.

برهان الدين ربانى:

إن الشيخ برهان الدين ربانى بن الشيخ محمد يوسف الذى يرأس "جمعية **أفغانستان** الإسلامية" قد ولد فى عام ١٩٣٥م (١٣٥٣هـ) فى مدينة فيض آباد بولاية بدخشان فى أقصى الشمال الشرقى من **أفغانستان**. تلقى تعليمه الابتدائى فى مدينة فيض آباد حاضرة الولاية، وتلقى دراسته الثانوية فى مدرسة أبى حنيفة بالقسم الداخلى فى كابل، حصل على الشهادة العالية (بكالوريوس الشريعة) من

كلية الشريعة بجامعة كابل، وعين بها معيدا حتى بعث إلى جامعة الأزهر، وحصل على الماجستير فى العقيدة الإسلامية من كلية أصول الدين، وعمل مدرسا بكلية الشريعة بجامعة كابل، اختير رئيسا للجمعية الإسلامية فى حياة الشهيد **غلام محمد خان نيازى** حيث كان الشهيد رحمه الله تحت مراقبة الحكومة الأفغانية التى كانت تفرض قيودا صارمة على حركات الإسلاميين، وذلك فى عام ١٩٧٢م (١٣٩١هـ). واختير الأستاذ عبد رب الرسول سياف نائبا له. وهو أحد الشخصيات الطلابية التى التفت حول الحركة الإسلامية بقيادة بانيها الشهيد **غلام محمد نيازى**، وشاركه فى تأسيسها وتنشيطها، وورث أعباء الجمعية الإسلامية فى الموطن والمهجر بعد استشهاد بانيها، وكان ميالا إلى مهادنة محمد داود فى أيامه الأخيرة عندما أبدى تمايلا نحو الحركة الإسلامية، وبالتالى نحو الدول الإسلامية، وبدأ يحاول التخلص من النفوذ الشيوعى. يمتاز بالهدوء والغموض والتفكير العميق على عكس حكمتيار الذى يمتاز بالصراحة والصلابة والشدة فى شئ من التسرع. جماعته الإسلامية تشكل خطرا حقيقيا على روسيا الشيوعية لانتمائه إلى قبائل التاجك فى ولاية بدخشان بتركستان الأفغانية الممتدة جذورها الجغرافية والعرقية والعقائدية داخل بلاد ما وراء النهر الإسلامية المحتلة. وهو أدرى بأحوال أمته الأفغانية وبخاصة بأحوال قومه التاجك. وأقرب إلى العمل الهادئ معهم. ويجمع حوله كثيرا من الطوائف كالأتاجكة والأزابكة والبشتون. وقد زاد نفوذه وصيته بتعاون الأحزاب الأفغانية الأخرى مع قائده أحمد شاه مسعود فى معارك بنجشير الجهادية، وحقق له ذلك قدرا من الشهرة على المستويين الشعبى والدولى. يجذب إليه برجاحة عقله، وسعة صدره، وشدة حلمه ونقاء ذكائه الأقليات العرقية

المختلفة بالإضافة إلى البشتون وبخاصة فى إقليم كونر الذى يشترك فى حدوده مع بدخشان فى أعالى القمم فى سلسلة جبال بامير والهندوكش.

رأس الجمعية الأفغانية الإسلامية على فترتين.. فترة وجوده فى **أفغانستان** فى حياة الأستاذ الشهيد **غلام محمد نيازى**، ثم بعد فترة التغرب عن الوطن، ولا يزال يرأس الجمعية حتى الآن، يجيد اللغات الأفغانية والدرية (الفارسية الأفغانية) واللغة العربية، ومبادئ اللغة الإنجليزية. له كتيبات أو مقالات من تأليفه، وهى بصفة عامة إسلامية الهدف، قومية الشكل. كاتب ممتاز ذو أسلوب رقيق، ولا حظ له فى الخطابة، وهو أقل فى ذلك من سياف وحكمتيار، ويخطب - على كل حال - باللغتين البشتونية (الأفغانية) والدرية (الفارسية الأفغانية) كما يخطب باللغة العربية عند الضرورة. ينتشر نشاطه بين الطبقة المثقفة بقدر ملحوظ.

عمل معيدا بكلية الشريعة بجامعة كابل، ثم مدرسا بها بعد حصوله على الماجستير من جامعة الأزهر بمصر، وعودته إلى كابل. يرأس جمعية **أفغانستان** الإسلامية، كما رأس مجلس القيادة الثورية فى الحزب فى السبعينات، هاجر إلى بشاور فى عام ١٩٧٤م (١٣٩٣هـ)، وواصل نشاطه هناك ضد النظام الشيوعى فى كابل. ورأس اللجنة العسكرية فى الاتحاد الإسلامى الأفغانى الذى تم بين التنظيمات الأفغانية السبعة فى بشاور عام ١٩٨٢م (١٤٠٢هـ) برئاسة الأستاذ عبد رب الرسول سياف.

الشيخ ربانى من الشخصيات المعتدلة الهادئة، ميال إلى الاستفادة من كل الطاقات الأفغانية فى جميع مجالات الجهاد الأفغانى، حاول استغلال تمايل داود فى

أيامه الأخيرة إلى الإسلاميين لخدمة الحركة الإسلامية، وهو أدرى الزعماء بأحوال الأمة الأفغانية في بعض شئونها، ويرى في ذلك أن التعامل مع هيئة علماء **أفغانستان**، ورجال التصوف الإسلامي من القادرية والنقشبندية والجستية، وغيرهم من رجال الدين الذين كانوا متصلين بالحكومة بحكم عملهم يخدم الحركة الإسلامية.. لأن هذه الهيئات والمؤسسات العلمية طاقات أفغانية لا مانع من الاستفادة منها، والتعاون معها لخدمة القضية الأفغانية الهدف الأسمى لكل الأفغانيين، فالتعاون مع المعسكر الأفغاني التقليدي المكون من مجددي وجيلاني ومحمدي خير من العداوة معها، وهو أقل مشقة، وأكثر فائدة، وأنفع هدفا. وهذا ما كان يراه الأستاذ الشهيد **غلام محمد خان نيازي**. وذلك في الوقت الذي يرى فيه كل من الأستاذ عبد رب الرسول سياف، والمهندس كُلْبَدِيْن حكمتيار في أمثال هؤلاء الصور المصغرة لرجال متفسخين اعتنقوا الخرافات المزيفة الباطلة باسم الدين ونشروها بين الأفغان باسم الإسلام وهو برئ من ذلك.

إن الزعيم رباني يمثل موقفا وسطا بين عقائدية حكمتيار المتشددة، وبساطة خالص الريفية، وتشدد سياف البالغ في الشدة. ومن هنا يمكن تحديد مركزه وميوله السياسية بسهولة، ومن هنا أيضا يجذب إليه مختلف العرقيات والطوائف الأفغانية الشديدة الاختلاف السريعة التنافر وهو يصر كغيره من الزعماء الأفغانيين الإسلاميين الثوريين على الجهاد الطويل النفس لتحرير **أفغانستان** وتطهيرها لإقامة حكومة إسلامية فيها. وقد ظهر في السنوات الثلاث الأولى من الاحتلال الروسي العسكري المباشر **لأفغانستان** كزعيم أفغاني صاحب إمكانية عظيمة، متمتعا بقدر كبير من الزعامة الشعبية والدينية. ورغم ذلك فقد ضعف مركزه بعد ذلك بسبب

المواقف التى تتبادر من أنصاره المحيطين به من العداوة الصريحة للبشتون رغم أن أكثر مؤيديه من البشتون، وهو نفسه يتهمه خصومه بهذا اللون من العداوة الطائفية واللغوية والإقليمية والمحسوبية. ورغم ذلك فإنه أقرب شخصية أفرزها الأفغان ليكون فيلسوف المقاومة الجهادية فى **أفغانستان**، ومفكرها الهادئ العميق.

له اتصالات إسلامية ودولية لخدمة القضية الأفغانية إسلاميا ودوليا، اتصل بجماعة الإخوان المسلمين أثناء إقامته فى مصر للدراسة، وكان المرحوم محمد هارون المجددى همزة الوصل بين الأفغانيين وجماعة الإخوان المسلمين وغيرهم من الحركات الإسلامية فى مصر، وبالجماعة الإسلامية فى باكستان، وبالثورة الإيرانية فى إيران، وبغيرها من الحركات لشرح القضايا الإسلامية ومن ضمنها القضية الأفغانية وقد سافر إلى المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٤م (١٣٩٣هـ) للحج، وعرض على الملك فيصل رحمه الله تصوره عن الأوضاع فى **أفغانستان** بعد انقلاب السردار محمد داود خان بالتفصيل. وقد حققت له هذه الاتصالات قدرا كبيرا من الزعامة فى العالم الإسلامى كزعيم مسلم ذو اتجاه إسلامى عالمى يتمتع بتأييد إسلامى عالمى واسع بسبب ولائه الإسلامى.

ولعل مساندة الشباب المسلم عالميا، ومساندة العالم الغربى لسياسته الاعتدالية واستقباله فى وزارة الخارجية الفرنسية، وزيارته لواشنطن، وتأييد بعض الدول العربية، كل ذلك يقدمه واحدا من مهندسى المستقبل الرئيسيين لمفاوضات سلمية لحل القضية الأفغانية عندما تلوح الفرصة فى الأفق لمثل هذه المفاوضات السلمية لمثل هذه القضية المعقدة.

منهجه السياسى:

إن نظرة الأستاذ ربانى السياسية والاجتماعية تتلخص فى هذه العبارة الموجزة.. التحديث التكنولوجى، وإضفاء الصبغة الإسلامية على المؤسسات الأفغانية، والمعايشة العملية فى العصر الأليكترونى مع الاحتفاظ الواعى فى الوقت نفسه بمبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة كما وضعت فى عهد **الرسول صلى الله عليه وسلم** وفى عهد الخلفاء الراشدين، وهذه المبادئ الإسلامية هى.. العدالة الاجتماعية، والمساواة بين الناس، وتحصيل المعرفة والعلم، وانتخاب الرؤساء لا ترفيعهم بالوراثة، وحكومة إسلامية من خلال مجلس الشورى، وحرية إبداء الرأى البناء بعيدا عن الفوضى والغوغاء. ويمكن تحقيق كل ذلك فى تعميق التربية الإسلامية الروحية السامية فى نفوس الناس.

الانتقادات الموجهة إليه:

الزعيم الأفغانى برهان الدين ربانى يوجه إليه خصومه وبعض أنصاره تهمة معاداة البشتون الذين يؤيدونه رغم كونه عرقيا من قبائل الأتاجكة التى تعتبر أقلية بالنسبة للبشتون. نعم، إنه متهم بمعادة البشتون الذين يصفهم الكُتَّابْ بهذه القولة الشهيرة " **لهم وجوه الصخور، وقلوب الأسود، وعيون الصقور، وسيقان الفهود** " هؤلاء البشتون يقفون وراءه، ويساندونه بوجوههم الصارمة الثابتة كالصخر، وبعيونهم الحادة الصائبة كعينى الصقر وبقلوبهم المليئة بالشجاعة الصافية، يؤيدونه بكل قواهم. رغم ذلك فهو متهم بمعاداة هؤلاء القوم، والمتهم

برئ ما لم تثبت عليه التهمة. ونحن نرجو أن لا تثبت عليه مثل هذه التهمة. وإن كانت أصابع الاتهام تشير بذلك إلى المحيطين به من الأتاجكة والأزابكة والناطقين بغير البشتونية.

وبالإضافة إلى تهمة معاداة البشتون فإن هناك تهمة أخرى يوجهها إليه خصومه، كما يوجهونها إلى حاشيته، وهى عبارة عن المحسوبية والعصبية والقومية والإقليمية واللغوية، فحاشيته كما يقولون عبارة عن أقاربه وأهل بلده وإقليمه، ولغته المحلية. ففى حاشيته إما قريب من أقاربه، أو بدخشى من أهل بدخشان، أو تاجكى من الأقاليم الشمالية، أو ناطق بغير البشتونية الأفغانية.

٢- الحزب الإسلامى الأفغانى
(د أفغانستان إسلامى كوند):

إن " حزب **أفغانستان** الإسلامى " يلى الجمعية الإسلامية الأفغانية فى الأقدمية التاريخية، إلا أنه أقصر عمرا من الجمعية، ومؤسسه أصغر سنا من رئيس الجمعية، وأكثر نشاطا وحيوية منه، وإن كان رئيس الجمعية أكثر منه علما وتجربة فى الشئون الدينية. والحزب الإسلامى يزاول الآن نشاطه المؤثر الفعال بقيادة بانيه ومؤسسه الشاب المهندس الأفغانى " **گُلْبَدِيْن حكمتيار** ". إن تاريخ تأسيس الحزب الإسلامى فى ثوبه الجديد لا يتجاوز عام ١٩٧٣م (١٣٩٢هـ). وليس معنى ذلك **أن** نشاط مؤسسه **قصير** العمر كقصر عمر الحزب الإسلامى نفسه حيث كان يزاول نشاطه الإسلامى فى إطار الحركة الإسلامية بقيادة الأستاذ **غلام محمد خان**

نيازى. والحزب الإسلامى الأفغانى جاء إلى الوجود فى المنفى بعد انقلاب السردار محمد داود خان ضد الملك السابق مباشرة. وهو أول حزب من الأحزاب الإسلامية الأفغانية يتفرع عن حزب "جمعية أو حركة **أفغانستان** الإسلامية" التى أسسها الشهيد **غلام محمد خان نيازى**، ويرأسها الآن الأستاذ برهان الدين ربانى. فالنسبة بين الحزب والجمعية نسبة الفرع إلى الأصل، ثم تحولت هذه النسبة إلى نسبة الند إلى الند. أو هما صنوان شقيقان متفرعان عن الحركة الإسلامية الأم التى نادى بها السيد جمال الدين الأفغانى، واستمر صداها فى وديان جبال تخت سليمان، وسفوح الهندوكش، وقام **نيازى** رحمه الله بإحيائها فى أوائل الستينات.

إن الحزب الإسلامى يسيطر على معظم شباب المجاهدين الأفغان فى داخل منازل الأفغان، وخارجها. كما أن الجمعية تسيطر على معظم المثقفين، وقد جاء الحزب دون شك أو تردد جادا صادقا فى استخدام الإسلام فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. كما أنه جاد وصادق فى استخدامه واستغلاله واستثماره فى معاركه الدائرة ضد النظام الشيوعى الذى نصبته روسيا السوفيتية فى كابل، وكذلك ضد الشيوعية العالمية فى العالم كله. وهو حزب إسلامى أفغانى ولاؤه إسلامى عالمى مع شئ من الميل الأيديولوجى الذى تقتضيه الأحداث الجارية على أرضه الأفغانية الأمر الذى يتطلب منه هذا الميل الأيديولوجى. ويعتبر الحزب الإسلامى الأفغانى شحنة من الأيديولوجية الإسلامية الهائلة فى العصر الحديث بعد أن تمكنت الدول الاستعمارية من القضاء على طاقة الإخوان المسلمين فى مصر، وعلى حيوية الجماعة الإسلامية فى باكستان. ذلك لأنه كان يتمتع بتأييد هائل من القاعدة الشعبية الواسعة داخل البلاد الأفغانية، كما يتمتع بتأييد إسلامى واسع فى

الأوساط الإسلامية خارج البلاد الأفغانية. والحزب الإسلامى الأفغانى حزب إسلامى حديث الاتجاه والمنهج، يجمع بين العمل والتمسك بالمبادئ الإسلامية مع الاستفادة من تكنولوجيا العصر الحديث. وهو من أكثر الأحزاب الأفغانية الإسلامية تمويلا وتسليحا وديناميكية وحيوية، له أبواب عمل مفتوحة مع البلاد الإسلامية وبخاصة مع كل من جمهورية باكستان الإسلامية، وجمهورية إيران الإسلامية. وهو من الأحزاب الأفغانية التى بدأت العمل العسكرى مبكرا. وكان انفصاله عن الجمعية أو الجماعة الإسلامية مبنيا على الخلاف حول هذه النقطة.

الثقل العسكرى للحزب الإسلامى له وزنه المؤثر فى الجهاد الأفغانى فى مختلف الجبهات فى جميع أنحاء **أفغانستان**، يقولون إن القوة العسكرية والجهادية التى يتمتع بها الحزب الإسلامى تساوى نصف قوة التنظيمات العسكرية الأخرى مجتمعة من حيث العدد والعدة ومن حيث التدريب والإعداد، ومن حيث تقديم التضحيات والتفانى فى الحرب والقتال، وكذلك من حيث التفاف أعضاء الحزب حول قائده. والحزب على جانب كبير من الالتزام باللوائح التى تنظم الحزب، وأهدافه السياسية ومقاصده الاجتماعية وما يرمى إليه الحزب من الإصلاحات الدستورية والإدارية مستقبلا، وخلاصة أهداف الحزب الإسلامى هى.. القتال المقدس لتحرير التراب الأفغانى المقدس لتكون كلمة الله، وشريعته هى العليا. والحزب الإسلامى الأفغانى لا ينطلق إلا من المنظور الإسلامى، ولا يخطو خطوة إلا من هذا المنطلق، ولا يسير إلا على هذا الطريق الإسلامى القويم. وأعضاء الحزب لا يلتفون، ولا يقدمون الولاء، ولا يطيعون قائده إلا عملا على المبدأ الذى يقول لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق. ومما لا شك فيه أن عمليات الانشقاق على الحزب قد وجهت

ضربة مؤثرة إلى قوته السياسية والعسكرية، ورغم ذلك فإن الحزب من أكثر التنظيمات الأفغانية نشاطا وقوة وجهادا وحربا.

كُلْبَدِيْن حكمتيار:

إن المهندس " كُلْبَدِيْن حكمتيار " شاب من الشباب الأفغانى المسلم المتحمس، ومن الزعماء المسلمين الأوائل الذين رفعوا راية الجهاد الإسلامى ضد الفساد الإدارى والاقتصادى أيام الأمير محمد داود خان عندما كان رئيسا للوزراء، ثم رئيسا للجمهورية، وقد زاد نشاطه السياسى العسكرى بعد الانقلاب الشيوعى، واشتد أكثر بعد الاحتلال الروسى المباشر **لأفغانستان**.

وبالرغم من أصله البشتونى (الأفغانى) فقد ولد عام ١٩٤٧م (١٣٦٦هـ) فى قرية " إمام صاحب " بولاية كندز فى سهول البلاد الشمالية موطن كثير من القبائل البشتونية، وقد ترعرع هناك بين القبائل الأفغانية المختلفة من البشتون والأتاجكة والأزابكة، ولا شك أن هذه الحياة التى عاشها المهندس **حكمتيار** فى شبابه الأول كان لها أثرها فى حياته السياسية والحزبية، وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية والثانوية التحق بكلية الهندسة بجامعة كابل، ولنشاطه السياسى غادر كابل وجامعتها إلى بكتيا، ومنها هاجر إلى بشاور، ومن هناك انطلق بثورته الإسلامية العنيفة ضد الشيوعية ابتداء من أيام السردار محمد داود خان، ومرورا بالرؤساء الشيوعيين.. تَرَهْكِىْ، وأمين، وكارمل، ولا يزال يمارس الجهاد ضد الروس وأعوانهم فى الميدانين العسكرى والسياسى بقوة وعنف شديدين.

اتهم بقتل طالب شيوعى فى مظاهرات جامعة كابل عام ١٩٧٢م (١٣٩١هـ)، وألقى القبض عليه، وأودع سجن كابل الشهير، و لم تثبت عليه التهمة، فخرج من السجن عام ١٩٧٣م (١٣٩٢هـ)، و لم ينتظر طويلا حيث غادرها إلى بشاور. وهو من أشد الزعماء الإسلاميين عداوة للذين كانوا يتعاونون مع الرئيس الأسبق محمد داود خان، ومن على شاكلتهم من الشيوعيين. وكان يقود المظاهرات الطلابية بجامعة كابل، وكان مسئولا عن الاتصال بالضباط فى الجيش الأفغانى، ويقال: إنه هو الذى دبر الانقلاب الفاشل الذى أدى إلى إعدام الأستاذ **غلام محمد خان نيازى**، والضباط الموالين له، حيث كان مسئولا عن الجناح العسكرى فى الحركة الإسلامية فى حياة الشهيد **نيازى**، وقد بدأ العمل العسكرى مبكرا، وهو أول من نادى بالجهاد المسلح ضد داود خان، وأول من هاجر إلى بشاور من الزعماء الأفغان الإسلاميين.

والمهندس كُلْبَدِيْن حكمتيار مؤسس الحزب الإسلامى الأفغانى كان نائبا لرئيس الاتحاد الإسلامى لمجاهدى **أفغانستان** الذى كان يرأسه الأستاذ عبد رب الرسول سياف، والذى لم يعش طويلا. وحزبه الإسلامى أول الأحزاب الأفغانية مناداة بالحرب ضد الأسرة المالكة الأفغانية التى تحولت واستولت على الحكم باسم النظام الجمهورى الذى أسسه محمد داود الذى كان يشتهر بالميول القومية والاشتراكية. وقد انفصل المهندس كُلْبَدِيْن حكمتيار عن الجمعية الإسلامية بناء على خلاف نشأ بين الإسلاميين حول اتباع سياسة التطرف والاعتدال ضد حكومة محمد داود خان. وكان طالبا بكلية الهندسة عندما قام داود بانقلابه العسكرى المشئوم ضد النظام الملكى فى **أفغانستان**. وهو لا يؤمن بأى حل وسط

للقضية الأفغانية مهما بلغت التضحيات مهما طالت الحرب الدائرة فى منازل الأفغان، ورغم كونه من أصل بشتونى (أفغانى) لم يتهم بالتحيز الطائفى أو بالمحسوبية البشتونية أو بالعصبية القومية والإقليمية واللغوية، ونظرته إلى الطوائف الأفغانية نظرة إسلامية بحتة، وهى نظرة المساواة فى توزيع الحقوق والواجبات. ومع كل ذلك لم يتمكن كغيره من الزعماء الأفغان من السيطرة الكاملة أو القريبة من الكاملة على جميع طوائف المهاجرين الأفغان.

تمتاز شخصية كُلْبَدِين حكمتيار بالصلابة والشدة والصراحة بعكس شخصية الأستاذ ربانى الذى يمتاز بالهدوء والغموض والتعقيد. لا يخاف فى ذلك لومة لائم يشبه فى ذلك السيد **جمال الدين الأفغانى**. وهو يتعامل مع معارضيه بهذه الشدة وبتلك الصلابة وفى شئ من التسرع فى اتخاذ القرارات، وبقوة شديدة فى التعامل ولشدة اعتزازه برأيه ومسلكه فى التعامل يتهمه كثير من الأصدقاء والأعداء، ومن رفاق الدرب فى الجهاد بالدكتاتورية والاستبداد والتسلط بالقوة، وله خلاف شديد - كما يقال - مع القائد الأفغانى أحمد شاه مسعود فى وادى بنجشير الذى يعمل تحت راية الجمعية الإسلامية بقيادة ربانى. وبالإضافة إلى ذلك فإنه ذو موهبة كتابية إسلامية، وله فى ذلك عدد من المؤلفات. وهو أقرب إلى العمل، وأدرى بظروف **أفغانستان**، وبأحوال الشعب الأفغانى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وله فى كل ذلك نظرات وآراء خاصة تعبر عن شخصيته فى السياسة الأفغانية.. وبخاصة فى الاتجاه الإسلامى العالمى. إنه أشد شخصية أنتجتها **أفغانستان** تمسكا بالثورية الإسلامية، تتميز شخصيته فى ذلك بالذكاء والصلابة والتشدد المفرط، إنه يمثل فى ذلك الزعماء والقادة الأفغان وبخاصة الإسلاميين منهم تمثيلا حقيقيا دقيقا.

ولكنه مع كل ذلك ينظر إلى رجال الطرق الصوفية، وإلى رجال هيئة العلماء، وإلى العلماء الذين كان لهم اتصال مباشر بالحكومات الأفغانية السابقة كأعضاء جمعية علماء **أفغانستان** الرسمية، ورجال الأسرتين المجددية والجيلانية الدينيتين الشهيرتين نظرة شك وريب خطيرتين.. حيث يعتقد أن خطر هؤلاء العلماء وأهل التصوف أشد خطرا من الشيوعية والإباحية والإلحاد، لأنهم فى نظره تهديد داخلى خطير للإسلام والإسلاميين فى بلاد الأفغان، وهو فى ذلك بعكس ربانى الذى ينظر إليهم نظرة اعتدال فيها شئ من الميل الحذر. وهى السياسة التى كان الشهيد **غلام محمد خان نيازى** يتبعها فى هذا الشأن. أما الزعيم الأفغانى الشاب المهندس حكمتيار فإنه يعتبرهم من الرجال الأنانيين الانتهازين الذين استغلوا الدين لمصالحهم الشخصية، ونشروا الخرافات الدينية والفساد الدينى بين الشعب الأفغانى المتدين، إنهم فى نظره رجال متفسخون متعفنون يعتنقون الخرافات لإضلال الناس عن الدين الصحيح. ويتبعه فى ذلك الأستاذ سياف رئيس الاتحاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان** حيث يعتبر الشيخ سياف أشد تطرفا فى هذا الاتجاه، والميل إلى السلفية من حكمتيار وربانى ومن غيرهما من الزعماء الإسلاميين الأفغان. فالمهندس حكمتيار من المتشددين، والشيخ سياف من المتطرفين، وربانى من المعتدلين فى نظرتهم إلى رجال هيئة العلماء ورجال الدين الصوفيين، أو هكذا يبدون.

وكان حكمتيار يعتبر الثورة الإسلامية فى إيران نموذجا للثورة الإسلامية الحقيقية، وكان له اتصالات برجالها العلماء الثوريين، إلا أن علاقاته بهم قد توترت توترا شديدا لأسباب لا داعى لذكرها هنا حيث إنها خارجة عن إطار هذا البحث. وقد زار فى أواخر عام ١٩٨٧م (أوائل عام ١٤٠٨هـ) المملكة العربية

السعودية بدعوة من حكومتها واستقبل استقبالا حافلا فى كل من الرياض وجدة، وذلك بعد أن أغلقت مكاتبه فى إيران.

منهجه السياسى:

إنه يرى وجوب معاشرة العصر الأليكترونى المتطور، وضرورة التكيف معه تكيفا إسلاميا حيث إن الإسلام يدعو إلى ذلك، والمحافظة الشديدة والتمسك الصارم بالمبادئ الإسلامية الصحيحة كما وضعت فى عهد **الرسول صلى الله عليه وسلم**، وقام بتنفيذها الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم فى حياتهم السياسية والاجتماعية. وهو يعلن فى ذلك قائلا: إن القيم الإسلامية السامية هى الطريق الوحيد المؤثر لخلاص البشرية ونجاتها من التخبط الشديد الذى تعيش فيه فى العصر الحاضر، إن الإسلام هو الذى فى إمكانه توجيه الإنسان إلى الاستفادة من النظريات العلمية المتطورة وتوجيهها توجيها صحيحا. والمبادئ الإسلامية وقيمها السامية التى تشتمل عليها هى.. سيادة النظام الإسلامى فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية سيادة كاملة، والعدالة الاجتماعية والمساواة بين الناس جميعا فى الحقوق والواجبات وفقا للنظم الإسلامية، وانتخاب المسئولين انتخابا إسلاميا حرا وفقا لنظام الشورى فى الإسلام، لا ترفيعهم أو توريثهم، وتحقيق كل ذلك متوقف على العلم والمعرفة الحقة، ثم قيام مجتمع إسلامى ذى طابع إسلامى أصيل مبنى على الأيديولوجية الإسلامية الحقة، وبالتالى قيام حكومة إسلامية واقعية من عناصر إسلامية مطعمة أساسا بالأيديولوجية الإسلامية الفعالة للقيام بخدمة مجتمع إسلامى يؤمن بالعقيدة الإسلامية إيمانا راسخا لا يتزعزع يضحى فى سبيل

الدفاع عنها بكل ما يملكه من الإمكانيات والطاقات المادية والروحية. وهو يدعو في الوقت نفسه إلى التحديث التكنولوجي في الإطار الإسلامي، وإضفاء الصبغة الإسلامية الحقيقية على جميع الدوائر والمؤسسات الأفغانية وإن دعى إلى ذلك استعمال القوة، وإراقة الدماء، وتقديم التضحيات والقضاء على العقبات. إن الإسلام في نظره هو الحل الوحيد للقضاء على المشاكل في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية لذلك فإنه يدعو بإلحاح إلى تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقا كاملا غير ناقص، ابتداء من الكليات والأصول العلمية الأساسية، وانتهاء إلى القواعد واللوائح المنظمة للجزئيات الفقهية التفصيلية في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. إن الإسلام هو مفتاح المواقف والمشاكل وهو المحرك الوحيد الفعال لرفض كل أشكال التبعية والقهر والاضطهاد، وهو المشجع الداعي لتحرير الأوطان والأبدان من العبودية والاستعمار، والإسلام وحده يدعو بإصرار إلى الدفاع عن حقوق الإنسان في كل مكان وزمان.

وقف المهندس الشاب المتصف بالنقاء الإسلامي حكمتيار وقفة موضوعية مع نفسه، ومع منهجه السياسي، وقام بوضع أيديولوجية إسلامية شاملة مناهضة للشيوعية بجميع ألوانها وصورها ليس بأعضاء حزبه الإسلامي العاملين فحسب، بل بإثارة عامة محليا وإقليميا وعالميا ضد الاحتلال الروسي **لأفغانستان**، وضد الحكومة الأفغانية التي نصبتها روسيا في كابل، وذلك وفقا لما يتطلبه منهجه السياسي لحزبه الإسلامي، وقد نجح حكمتيار في ذلك ووفق توفيقا يناسب إمكانياته المتاحة.. شدد على المحتل بهجماته القتالية وفقا للمنهج المدروس بدقة متناهية، وقام بإثارة شعور الكراهية للروس بين الشعوب الإسلامية على المستوى

الإقليمى، وقد أحرز فى ذلك نجاحا فوق التصور، وذلك وفقا للأيديولوجية الإسلامية التى كونها لحزبه الإسلامى. كما نفذ بدقة منهجه السياسى الموضوعى على المستوى العالمى، فكان، ولا يزال سباقا إلى انتهاز كل فرصة بدت له وأشرقت فى الأفق لخدمة القضية الأفغانية فى المحافل الدولية والإسلامية تنفيذا لمنهجه السياسى الذى اتخذه منطلقا لنشاطه المحلى والإقليمى والعالمى سياسيا وعسكريا وإعلاميا. وهذا المنطلق والمنهج هو الذى كان يفرض عليه أن يدخل الاتحاد بين التنظيمات الأفغانية لعله يتمكن من تنفيذ سياسته المنهجية من خلاله. وإن كان فى أول الأمر متحفظا فى الالتحاق بالاتحاد. إنه فى تطبيق منهجه الحزبى واع تمام الوعى وهو يدرك المخاطر التى تحيط بالعمل الأفغانى نتيجة التفرق والخلاف، ولا يرى لذلك علاجا إلا النقاء الإسلامى فى الاتحاد الأفغانى، والوحدة الإسلامية النقية هى الطريق الوحيد للقضاء على تلك المخاطر بشرط أن يتم ذلك تحت إشرافه، ورغم أنه اشترك فى الاتحاد إلا أنه لم يتمكن هو ولا زملاؤه من تحقيق الوحدة الاندماجية بين الفصائل الجهادية الأفغانية. وشأن منهجه السياسى فى تطبيق مبدأ الشورى الذى يدعو إليه الإسلام شأن المناهج السياسية التى ينادى بها رؤساء التنظيمات الأفغانية الأخرى.

الانتقادات الموجهة إلى الزعيم حكمتيار:

يتهمه خصومه بالدكتاتورية والاستبداد، وبالانتهازية والاستغلال لصالح حزبه الإسلامى الذى لا يسمح بالعضوية فيه إلا للعناصر الإسلامية النظيفة غير المشبوهة وغير المتهمة بالفساد. ومن العيوب أو التهم التى يوجهها إليه خصومه أن قراراته

فورية فردية شخصية وليست جماعية. ومن الانتقادات الموجهة إليه أنه يميل إلى الصين الشيوعية أكثر من ميله إلى الغرب الإباحى إن خُير بين الإثنين، ولعل منشأ هذه التهمة هو اتصاله بالسيد ذو الفقار على بوتو رئيس وزراء باكستان الذى كان مشهورا بميوله الشيوعية، وبميله الشديد نحو الصين الشيوعية نظرا للعدواة التقليدية بين كل من الصين والهند من ناحية، وبين باكستان والهند من ناحية أخرى. ومن عيوبه المشهورة التى يتهمه بها خصومه أنه يعتبر نفسه مؤسس الحركة الإسلامية الحديثة فى بلاد الأفغان إلى حد إنكار زعامة الأستاذ الشهيد **غلام محمد خان نيازى** الذى كان حكميتار نفسه أحد أنصار حركته الإسلامية النشطين. لا أحد ينكر جهاده ونضاله لأجل الإسلام والإسلاميين وهو طالب بكلية الهندسة، ولكن لا أحد ينكر أيضا زعامة الأستاذ **نيازى** وريادته لحركة الإسلاميين الأفغان فى **أفغانستان** فى العصر الحاضر. إن الكل يجزم على أن الحركة الإسلامية الأفغانية وتنظيماتها السياسية والجهادية ثمار ناضجة لذلك الجهد المخلص الذى بذله الأستاذ **نيازى** رحمه الله فى حياته. ويوجه له خصومه تهمة أخطر من كل التهم وهم يدعون أن رصاص بندقيته فى القتال يعود إلى قلب المجاهد فى كثير من المواقف الحربية والجهادية بينما العدو المشترك على بعد أمتار يقبع متربصا لاجتثاث الجميع للقضاء على الحركة الجهادية الإسلامية. ويذهب خصومه إلى أبعد من ذلك فيتهمونه بالتسلط التفردى، والاستبداد الظالم، والقضاء على معارضيه فى حزبه بالتصفية الجسدية، وإضاعة كل فرصة أمل تشرق فى الأفق لإيقاف حمامات الدماء فى **أفغانستان**، وإعادة المهاجرين الأفغان فى كل من باكستان وإيران إلى بلادهم. كما يتهمونه بالاتصال المريب بالاشتراكية الدولية ونحن نشك فى أكثر تلك التهم.

ورغم كل ذلك وغيره من التهم فإنه يتمتع بدرجة كبيرة بالذكاء السياسى مع الصراحة والصرامة والصلابة فى اتخاذ القرار، وهو قادر على جلب الأتباع وكسب الآراء، والتمتع باحترام الناس له ولآرائه ونظرياته. ليس من صفاته التراجع فيما قرره من الأفكار والآراء مهما كلفه من التضحيات، يصل فى ذلك إلى درجة التهور والتهلكة مهما بذل فى ذلك من جهود، وتحمل من معاناة.

٣- ثورة أفغانستان الإسلامية

(دأفغانستان إسلامى باخون):

كان الحوار الأخوى بين الزعيمين الأفغانيين.. الأستاذ ربانى والمهندس حكمتيار حول توحيد فصائل الجهاد قد أدى إلى الخلاف المزمن على الرئاسة، كان ربانى يعتقد أنه أحق بالرئاسة لأنه الأقدم الأكبر، ولأنه من أوفى تلاميذ الشهيد **غلام محمد خان نيازى**، وهو الذى قد شاركه فى تأسيس الحركة الإسلامية الأفغانية، وهو بالإضافة إلى ذلك على درجة كبيرة من النضج السياسى والعلمى بجانب الخبرة الحزبية. ويعتقد حكمتيار بدوره أنه أحق بالرئاسة لأن حزبه الإسلامى أقوى الأحزاب وأنشطها، وأكثرها حيوية وعملا، وأقدمها هجرة وجهادا، وبعد المداولات والمناقشات بالأخذ والرد تم الاتفاق على أن يرأس الحركة الإسلامية فى بشاور الشيخ الوقور محمد نبى محمدى، و لم تكن مدة رئاسته طويلة للسبب نفسه، حيث إن رئاسته القصيرة الواهية لم تتمكن من القضاء على الصراع الدائر بين الزعيمين حول الرئاسة الحزبية. فقد انتهز هذه الفرصة وأعلن تأسيس حزب جديد فى ١٩٧٨م (١٣٩٨هـ) أطلق عليه اسم " ثورة **أفغانستان**

الإسلامية " وهكذا تمخضت المحاولات الفاشلة للقيام بدمج الجمعية الإسلامية والحزب الإسلامى فى جبهة إسلامية واحدة عن مولد حزب أفغانى جديد فى منفاه بمدينة بشاور بالقرب من الحدود. وقد أصبح حزب " ثورة **أفغانستان** الإسلامية " منافسا ثالثا، أو عضوا ثالثا جديدا فى الحركة الإسلامية فى بلاد **الأفغان**.

وحزب الثورة الإسلامية الأفغانية الذى أسسه الشيخ محمدى عضو فى الاتحاد الثلاثى (جيلانى، مجددى، محمدى) الذى يدعو إلى عودة الملك السابق إلى عرش **أفغانستان**، وفى هذا يقول: " لقد رأينا أن الدول الغربية وعلى رأسها أمريكا مجمعة على الملك، فقلنا نبادر نحن بأنفسنا إلى هذا فقمنا بمبايعته... " كما يقول الدكتور عبد الله عزام فى كتابه " آيات الرحمن فى جهاد الأفغان " ص٤١، والاتحاد الثلاثى قد انهار وانتهى أمره إلى الفشل بعد الانهيار الذى أصاب الاتحاد الرباعى (حكمت، سياف، خالص، ربانى). وهو من معارضى عودة الملك السابق إلى السلطة فى كابل.

محمد نبى محمدى:

إن الشيخ محمد نبى محمدى من الشخصيات الدينية الإسلامية التقليدية المعروفة فى **أفغانستان**، وقد شارك فى السياسة الدينية نتيجة للانقلابات التى حدثت فى **أفغانستان**. وهو عالم من العلماء الأفغان ينتمى إلى البشتون. ومن الشخصيات الاجتماعية التقليدية الراسخة فى بلاد الأفغان، وهو من مجموعة الزعامة الجهادية الإسلامية التى يطلق عليها فى الغرب اسم المجموعة التقليدية المعتدلة، ومن

المتمسكين بالنمط الإسلامى التقليدى، وقد جاء إلى الزعامة من المؤسسة الدينية كعالم دينى وكصوفى قدير.

والزعيم محمدى أحد شيوخ الطرق الصوفية المنتشرة فى **أفغانستان**، عالم من علماء الدين، وصوفى عريق من أهل التصوف، عمل مدرسا للعلوم الإسلامية، يؤيده كثير من العلماء ورجال التصوف وطلاب العلم والمعرفة الدينية. وكان عضوا فى مجلس النواب. ترك **أفغانستان** بعد الانقلاب الشيوعى، وقام بالتدريس، وإلقاء الدروس الدينية فى مدينة " كويته " حتى ذهب إليه المهندس حكمتيار وأقنعه بأن يشترك فى الحركة الجهادية وأن يتولى رئاستها فى بشاور، وهو مؤسس حزب " ثورة **أفغانستان** الإسلامية " التى يشترك فى عضويته كثير من رجال العلم والتصوف، ورؤساء القبائل والعشائر الأفغانية، وقاعدة نشاطه السياسى والجهادى المناطق الريفية فى جميع أنحاء **أفغانستان**. وتأييده العددى واسع منتشر فى جميع الأقاليم والولايات الأفغانية، ويتمركز بصفة خاصة بين القبائل البشتونية، ويستمد تأييده الواسع العريض من مركز الزعامة الوراثية البشتونية، كما يستمده من التقدير العميق الذى يكنه له الناس كصوفى عريق، أتباعه يواصلون القتال والجهاد ببسالة نادرة. ومن أشهر أنصاره نصر الله خان منصور، ورفيع الله خان مؤذن، وهما من علماء الدين مثله، وقد انشقا عليه فى الأيام الأخيرة، ومع هذا لم تنقطع صلتهما القوية به. يزداد عدد أتباعه بازدياد المهاجرين يوما بعد يوم.

اختلف مع المهندس حكمتيار فى كثير من الأمور، وهـو ليـس علـى وئـام مـع كل من الأستاذ ربانى والأستاذ سياف، يميل كلية إلى المعسكر التقليدى فى الحركة الجهادية، وهو على وفاق كامل مع أعضاء هذا المعسكر التقليدى.

حركته حركة محافظـة كحركـة كـل مـن مجـددى وجيلانـى، والثلاثـة يمثلـون حركة المعسكر التقليدى فـى الجهـاد الأفغـانى، فالشـيخ محمـدى والشـيخ مجـددى قطبان من أقطاب الطريقة النقشبندية فى الجهاد الإسلامى فى **أفغانسـتان**، والشـيخ جيلانى شيخ من شيوخ الطريقة القادرية الذى ينتسب إلى الشيخ الإمام عبد القادر الجيلانى الهاشمى المدفون فـى بغـداد، وكلهـم - كمـا نـرى ونعلـم - قـد قفـزوا إلى الجهاد من المؤسسـات الدينيـة التقليديـة، ويقـاتلون داخـل إطـار تلـك المؤسسـات التقليدية المعروفة فى **أفغانستان**. وحركة الشيخ محمدى لا تختلف كثيرا فى أهدافها الرئيسية وفى مناهجها السياسية والاجتماعية عن بقية التنظيمات الجهادية الأفغانيـة التى تقاتل لتحرير **أفغانستان**، وإقامة حكومة إسلامية فيهـا وفقـا لمـا أمـر الله بـه، وهو ما يطالب به الشعب الأفغانى المسلم.

إن قائد ثورة **أفغانستان** الإسلامية يتمتع بصدر رحب، وصبر وتحمـل طويلـين فى الجهاد الأفغانى، يليق ذلك بمقامه كعالم جليل وصوفى عريق وكمجاهد عظيـم يقود ثورة تقليدية ضد الاحتلال الروسى لأفغانستان. وهو يدعو إلى إعـادة الملـك السابق محمد ظاهر شاه الذى يعيـش الآن فـى منفـاه بإيطاليـا، وقـد قـوى مركـزه السياسى عندما سافر سنة ١٩٨٠م (١٤٠٠هـ) إلى مصر واستقبله الرئيس المصرى السابق محمد أنور السادات - رحمه الله - وكان معه فى هذه الزيارة كل من الزعيم محمد يونس خالص رئيس الحزب الإسـلامى رقـم ٢ والشـيخ صبغـة الله مجـددى

رئيس الجبهة الوطنية لإنقاذ **أفغانستان**، والشيخ أحمد الجيلانى رئيس " المحاذ الإسلامى " ووفد من جمعية **أفغانستان** الإسلامية. وقد رفض المهندس حكمتيار الاشتراك فى هذه الزيارة لأنه يرى أن السادات يمثل الجانب الأمريكى فى القضايا السياسية، ومن هنا فهو أول من اتهم المشتركين فى هذه الزيارة بالعمالة الأمريكية. كذلك لم يشترك الأستاذ سياف فى هذه الزيارة لتوجيهه انتقاداته المريرة إلى الأزهر والأزهريين.

إن قائد ثورة **أفغانستان** الإسلامية كان عضوا فى البرلمان الأفغانى أيام النظام الملكى فى **أفغانستان**، ويبدو أنه انطلق فى تأييد الملك السابق من هذا المنطلق حيث يدعو إلى إعادة الوضع القائم فى **أفغانستان** فى فترة ما قبل عام ١٩٧٣م (١٣٩٢هـ)، وهذا يعنى عودة الملكية إلى البلاد الأفغانية، ومن هنا يتهمه خصومه بأنه ينفذ السياسة الأمريكية فى **أفغانستان**، حيث إن أمريكا هى التى قد اقترحت إعادة الملك إلى العرش بعد أن رفضت روسيا رفضا تاما ألا يكون الحاكم البديل من الإسلاميين بعد الإنسحاب الروسى من **أفغانستان**. وقد زاد نشاطه بعد سفره إلى أوربا، ثم إلى مقر الأمم المتحدة فى نيويورك بأمريكا للمطالبة بتخصيص مقعد **أفغانستان** فى الأمم المتحدة للمجاهدين. ويتهمه كل من الدكتور عبد الله عزام فى كتابه آيات الرحمن فى جهاد الأفغان، والدكتور محمد على البار فى كتابه **أفغانستان** من الفتح الإسلامى إلى الغزوالروسى بالتبعية لجيلانى ومجددى وسبب ذلك يرجع إلى أنه مثلهما من الشخصيات الدينية التقليدية وقد شارك فى السياسية نتيجة للانقلابات فى **أفغانستان** وقد سار فى ذلك على خطاهما، فحزبه الثورة الإسلامية الأفغانية ونشاطه السياسى والقتالى وليد عصره. ومركزه القيادى مزيج

من القومية البشتونية، والزعامة العلمية، والإمامة الصوفية، وهذه المصادر هى بعينها مصدر زعامة كل من جيلانى ومجددى مع ملاحظة بعض الفروق التى تميز بين الفرقاء الثلاثة من الناحية الشكلية.

أنصاره منتشرون فى الولايات الأفغانية كلها تقريبا، ويقدمون تضحيات كبيرة فى جهادهم وحربهم ضد قوات الاحتلال الروسى **لأفغانستان**، والقوات الأفغانية العميلة فى كابل. وهم يعتقدون أن شيخهم وقائد حزبهم الثورة الإسلامية يتمتع بالسمو الروحى، وبالكرامات التى لها أثر كبير فى حياتهم، وتدفعهم دفعا قويا على مواصلة الجهاد، وتعطيهم دفعا قويا على الطريق، إذ أنهم يشعرون شعورا حقيقيا، ويحسون أن الله معهم فى حربهم ضد عدو الإسلام، وأن القدرة الإلهية هى التى تساندهم، وتدير معركتهم التى يخوضونها ضد أعداء الدين.

٤- المحاذ الإسلامى الأفغانى
(دأفغانستان إسلامى محاذ):

تواصل الحركات الإسلامية الأفغانية سيرها فى عمليات التوليد والتفكيك والتفتيت حيث هاجر الشيخ أحمد جيلانى شيخ الطريقة القادرية ورئيسها فى **أفغانستان** وأحد رجال البلاط الملكى فى عهد الملك السابق محمد ظاهر شاه فى كابل إلى بشاور، وقام بدوره بتأسيس حزب رابع فى سلسلة الأحزاب الأفغانية الإسلامية فى المنفى، أطلق عليه اسم " المحاذ الإسلامى الأفغانى " ومولد حزب المحاذ الإسلامى سنة ١٩٧٨م (سنة ١٣٩٨هـ) فى مدينة بشاور، انشقت الحركة

الإسلامية الجهادية وتفرقت وانقسمت إلى أربعة فروع، وإلى أربع مجموعات كل مجموعة تتفاخر بما لديها من الامكانيات والطاقات البشرية القتالية.

والحزب الرابع المحاذ الإسلامى الأفغانى جاء إلى الوجود السياسى والنضالى نتيجة للأحداث الدرامية التى وقعت متوالية فى **أفغانستان**. و لم يكن لهذا الحزب أى وجود فى **أفغانستان** قبل هجرة مؤسسه إلى بشاور. وقدرة الحزب فى جلب الأتباع وجذبهم يرجع إلى كون رئيسهم مرشدا للطريقة الصوفية القادرية التى ينتشر أتباعها فى جميع أنحاء البلاد الأفغانية، وبخاصة قبائل البشتون، ومن هنا نرى أكثر أعضاء الحزب من البشتون أيضا. وبالإضافة إلى ذلك فإن قائد الحزب السيد أحمد الجيلانى قد تربى صغيرا فى أحضان هذه القبائل. وقد وصل إلى كونه زعيما ومرشدا للطريقة الصوفية القادرية عن طريق الوراثة. وآلت إليه المشيخة بعد وفاة والده رحمه الله، وهى التى عبأت لحزب المحاذ الإسلامى قطاعات واسعة من الشعب الأفغانى الذى تنتشر بينه الطريقة القادرية بجانب انتشار الطريقتين الصوفيتين النقشبندية والجستية. والطرق الصوفية تحكم الحياة العامة والخاصة فى **أفغانستان**، وتلعب دورا بارزا فى الجهاد والتنظيمات الجهادية الأفغانية. إن الخلفية الدينية والصوفية بخاصة تأتى فى مقدمة المؤثرات التى شكلت حركة المحاذ الإسلامى الأفغانى بقيادة السيد احمد حسن الجيلانى، وقد ساعده فى ذلك انتشار الطريقة القادرية بين القبائل الأفغانية.

السيد أحمد حسن الجيلانى:

إن قائد المحاذ الإسلامى الأفغانى صوفى إسلامى بالوراثة، ورث زعامة القادرية عن آبائه وأجداده، وقد وصل إلى أن يكون من رجال البلاط الملكى فى كابل من هذا الطريق، وكان يجمع بين النفوذين الشعبى الصوفى والسياسى داخل البلاط الملكى، وكان يعيش فى كابل قبل الانقلابات الشيوعية عيشة الملوك.

إن السيد أحمد حسن جيلانى من مواليد العاصمة الأفغانية كابل، تلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى **أفغانستان**، وحصل على بكالوريوس الشريعة (الشهادة العالية) عام ١٩٦٦م (عام ١٣٨٥هـ) من كلية الشريعة بجامعة كابل، فهو مثقف ثقافة جامعية عالية، ويتقيد بجانب كونه صوفيا **قادريا** بمذهب الإمام أبى حنيفة رحمه الله تقيدا صارما، وعلى مذهبه الذى يجرى سريانه فى **أفغانستان** درس الشريعة الإسلامية على أيدى أساتذة أجلاء منهم الشهيد **غلام محمد خان نيازى**. والطريقة الصوفية القادرية التى يرأسها السيد جيلانى رئيس المحاذ الإسلامى الأفغانى فى الوقت الحاضر كان يرأسها والده الشيخ حسن جيلانى الذى توثقت علاقته بالملك الأسبق محمد نادر شاه بعد عودته من فرنسا لاستعادة عرش أسرته من يد اللص " بجه سقا - ابن السقاء " الذى تمكن من طرد الملك أمان الله خان بمساعدة الروس عام ١٩٢٩م (١٣٤٧هـ)، وقد أعانه فى ذلك أتباع الشيخ حسن جيلانى، ويبدو أن الملك محمد نادر شاه قد اعترف له بهذا الجميل فقربه إليه، فضمن بالإضافة إلى الاعتراف بالجميل ولاء مريديه فى القبائل الأفغانية، وآلت مشيخة القادرية إلى السيد أحمد جيلانى بعد وفاة أبيه، وقد نشأ جيلانى الابن فى

حجر الملك المخلوع محمد ظاهر شاه، وهو لا يزال على ولائه وتأييده وحبه للملك حتى بعد الإطاحة به وطرده من البلاد. والشيخ أحمد جيلانى كان هدفا لانتقادات الشيوعيين الأفغان الذين حاولوا القضاء عليه لعلاقته بالأسرة الملكية، غير أنه سارع إلى الهجرة بعد الانقلاب الشيوعى، فسلم من القتل المحقق، كما أنه هدف لانتقادات بعض التنظيمات الثورية الإسلامية الأفغانية للسبب نفسه.

ورئيس تنظيم المحاذ الإسلامى ينتسب إلى الإمام عبد القادر الجيلانى الهاشمى كما أن الطريقة القادرية منسوبة إليه، وكان دور السيد جيلانى فى مقاومة نظام السردار محمد داود خان الاشتراكى الوطنى فاترا غير حاد نظرا للعلاقة القوية التى ربطت بين الأسرتين الملكية والقادرية منذ القديم، والسيد جيلانى ليس من المتحمسين لفكرة الاتحاد أو الوحدة بين فصائل الجهاد، ومع هذا فإنه أحد الشخصيات البارزة فى المعسكر التقليدى من الجهاد الإسلامى الأفغانى الدائر فوق الأرض الأفغانية الساخنة. رئيس المحاذ صوفى إسلامى بالوراثة، يميل إلى شئ من التحرر، فهو إذن غربى المشرب والجوهر، إسلامى الشكل والمنظر، يتعاون معه فى الحزب عدد كبير من الموظفين القدامى الذين درسوا فى أوربا والولايات الأمريكية المتحدة، ويتمتعون بالميول والتمايلات إلى الحياة على الطريقة الغربية. وبناء على ذلك فإن أساس المحاذ الإسلامى يتعارض مع الأحزاب الثورية الأخرى حيث إنه لا هدف له - على ما يبدو - غير إعادة الملك السابق إلى العرش مع سيادة الحياة الغربية وانتشارها فى **أفغانستان** باسم الديمقراطية الأوربية التى تتعارض أساسا مع الحياة الإسلامية. ويتعاون معه بالعضوية فى الحزب البيروقراطيون ورجال السلك السياسى والمثقفون من أهل كابل والمدن الأفغانية الأخرى من رجال العهد السابق

من الوزراء وغيرهم ممن تثقفوا وتمدنوا على النمط الغربى أيام النظام السابق. وهذا النوع من أتباعه فى انصهار تدريجى فى المنفى بالدول الغربية، أما أنصاره من أتباع الطريقة القادرية من القبائل الأفغانية فيواصلون القتال تحت راية المحاذ الإسلامى بقيادة السيد جيلانى.

إن السيد أحمد جيلانى ملكى متعصب من كبار الداعين إلى عودة الملك المخلوع محمد ظاهر شاه إلى مزاولة الحكم فى **أفغانستان**، ويعلن بصراحة وبكل حماس تعاونه الكامل مع الغرب لطرد الروس من البلاد الأفغانية. وقد قام بزيارات إلى كل من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لشرح القضية الأفغانية وألقى محاضرة حول الموقف فى **أفغانستان** فى البرلمان الأوربى بدعوة منه، وهو لا يتحرج من طلب مساعدات عسكرية ومادية من الدول المختلفة وعلى رأسها الدول الإسلامية، ومن الدول الحرة وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، على أن تكون بلا قيد أو شرط. ورئيس المحاذ الإسلامى الأفغانى صهر الملك السابق محمد ظاهر شاه، وبين أسرتيهما أواصر المصاهرة والقربى والصداقة القديمة. وقد اتخذ من لندن محطة لأفراد أسرته الموزعين بين كل من باكستان وبريطانيا وأمريكا.

ومن قواده المشهورين فى المعارك الدائرة ضد الروس وأعوانهم فى **أفغانستان** القائد محمد حكيم، والكولونيل صافى فى بكتيا، والقائد محمد أمين وردك فى المنطقة الواقعة بين كابل وغزنه على الطريق الرئيسى الذى يربط كابل بإقليم كندهار.

والشعار المحبب لديه هو الديمقراطية وحق الشعب الأفغانى فى تقرير مصيره، وقيام حكومة إسلامية بعد طرد الروس من **أفغانستان**. وهو متهم كالشيخ محمدى بتنفيذ السياسة الأمريكية فى **أفغانستان**.

ولاؤه إسلامى صوفى محدود، وعلاقاته بالتنظيمات والأحزاب الإسلامية والثورية فى العالم الإسلامى محدودة ومهزوزة. لا يتمتع بالعلاقات الطيبة مع جماعة الأخوان المسلمين، والجماعة الإسلامية فى باكستان، ولعل سبب ذلك كونه صوفيا بالوراثة، وليس له أى نوع من الميل إلى الثورة الإيرانية، وهو بعيد كل البعد عن الاتصال بها أو التعاون معها لخدمة القضية الأفغانية، وعلاقاته بالدول الإسلامية ليست كعلاقاته بالدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية.

برزت شخصيته كسياسى وقائد مرموق مع الأحداث الدامية الجارية فى **أفغانستان** وبخاصة بعد الاحتلال الروسى المباشر **لأفغانستان**، ورغم ذلك فإن الخصومة بينه وبين المعسكر الثورى فى الجهاد الأفغانى مازالت قوية تزداد بعدا وشقة يوما بعد يوم. يتهمه خصومه بالتسيب والمحسوبيه والتحرر، و لم يتهم أبدا بالطائفية والعصبية.

اتصاله بالشهيد **غلام محمد خان نيازى** مؤسس الجماعة الإسلامية وعلاقته به علاقة التلمذة أيام أن كان طالبا بكلية الشريعة بجامعة كابل، وهو مرشد صوفى روحى للقبائل الأفغانية التى ينتمى إليها الشهيد **نيازى**.وهو جاد فى استخدام الدين للوصول إلى الهدف، ورغم ذلك تبدو عليه النزعة الانفصالية المحدودة.

٥- الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان

(دافغانستان دبجاو ملى جبهه):

وفى غياب جبهة سياسية قوية موحدة، وبعبارة أصح وأدق فى غياب قائد وزعيم قوى قادر على السيطرة السياسية والحزبية والقيادية ظهر فى الميدان حزب خامس بقيادة شخصية دينية تقلدية فى شكل ثورة وطنية أفغانية وهو شخصية الشيخ صبغة الله مجددى الذى ينتمى إلى الأسرة الدينية العريقة التى تشتهر باسم أسرة " المجديدة " والتى تنحدر إليها زعامة الطريقة النقشبندية الصوفية، ففى سنة ١٩٧٩م (١٣٩٩هـ) كان الشيخ صبغة الله مجددى فى مدينة كوبنهاجن، واجتمع بعدد من الشبان المسلمين الأفغان، وبرزت له فكرة حشد كل الطاقات الأفغانية ضد الشيوعيين، ولتنفيذ هذه الفكرة توجه من هناك إلى يشاور، وفى مدينة بشاور قام بتأسيس جبهة وطنية أفغانية أطلق عليه اسم " الجبهة الوطنية لإنقاذ **أفغانستان** " وترك الباب لعضوية الحزب الجديد لجميع الطاقات والعناصر الإسلامية والوطنية دون التقيد بنوع معين من تلك الطاقات الأفغانية، بينما نرى الأحزاب الإسلامية الثورية الأخرى لا تسمح - شكليا - بالعضوية فيها إلا للشخصيات الإسلامية المعروفة بالنظافة غير المتهمة بالتعاون مع الشيوعيين، وبالخيانة والتعاون مع الحكومات الأفغانية فى العهد الملكى السابق. وقد بلغ بذلك عدد الأحزاب والتنظيمات الأفغانية إلى خمسة أحزاب تجاهد وتقاتل لتحرير **أفغانستان** من الشيوعيين، وطرد القوات الروسية الغازية، وذلك نتيجة عدم وجود شخصية قيادية قوية يمكنها السيطرة على الموقف، وتوحيد التنظيمات تحت راية إسلامية

واحدة. وحزب الجبهة الوطنية لإنقاذ **أفغانستان** امتداد لفكر مؤسسه الشيخ مجددى المعروف بالميول العدائية ضد الشيوعيين وأسيادهم الروس، وله فى ذلك مواقف مشرفة توضح أهدافه، وتعبر عن فكره العميق الثائر ضد كل أنواع الانحرافات الدينية والوطنية.. فقد سجن لذلك كثيرا، وعذب كثيرا، وكان قد أسس جماعة أطلق عليها " جمعية العلماء المحمدية " والشيخ صبغة الله مجددى أحد الأعضاء الثائرين فى الأسرة المعروفة فى **أفغانستان** باسم " المجددية " نسبة إلى مجدد الألف الثانى وهو الشيخ أحمد فاروق السرهندى رحمه الله.

إن الجبهة الوطنية لإنقاذ **أفغانستان** توضح فى بيانها الصادر بمناسبة تأسيسها فتقول " ولقد قرر هذا الشعب وصمم على الوقوف أمام هؤلاء العملاء عبيد الشيوعية الدولية بكل ما أوتى من قوة جهادا فى سبيل الله، وحفاظا على كرامة الوطن، فقد سارع أبناؤه فى كل إقليم بمختلف طوائفه فأقاموا (الجبهة الوطنية لإنقاذ **أفغانستان**) ". وتضيف قائلة: " إن الجبهة إذ تعلن قيامها وتتقدم لأداء الواجب تشهد العالم الإسلامى على تمسكها بمقدسات الشعب الأفغانى الأصيل عقيدة وشريعة ودينا ودولة وعزة وكرامة واستقلالا وحرية، وتعلن حرصها على وحدة شعبها العظيم دون تفرقة ما بين فئاته فى ظل العدالة الاجتماعية وتحت راية التوحيد ". إن هذه المقتطفات تدل على أن الجبهة الوطنية لم تأت إلى الوجود، ولم تقفز إلى ميدان الجهاد النضالى من وراء الخلفية الدينية وحدها رغم كون مؤسسها أحد أعضاء المؤسسة الدينية التقليدية المشهورة التى تمثل زعامة جماعة الطريقة الصوفية النقشبندية. والجبهة الوطنية تجتذب بذلك العناصر الوطنية والدينية، لقد أخذت هذه العناصر من التلاميذ، والمهنيين، والموظفين، والمدرسين، وحتى الوزراء

السابقين ينضمون إلى جماعة الجبهة الوطنية بقيادة الشيخ صبغة الله مجددى، ويتعاونون مع المقاومة الأفغانية، ومع كل هذا فإن تنظيم السيد مجددى التقليدى الثائر يعتمد فى جهاده على العقيدة الإسلامية عدة كفاحه، ودرع صموده، ويعتبرها من أمضى الأسلحة وأكثرها فعالية وتأثيرا، ولا ينسى فى ذلك شروط النصر المادية المطلوبة من الاستعداد البشرى وما يحتوى عليه من الطاقات، بالإضافة إلى الإعداد المادى، وهو مصمم على استغلال كل الطاقات البشرية والمادية المتاحة فى مقاومته للتدخل الروسى المباشر فى **أفغانستان** واسم حزبه الجديد العضو الخامس فى المقاومة بالجبهة الوطنية لإنقاذ **أفغانستان** دليل واضح وقاطع على ذلك. وهو التنظيم الأفغانى الوحيد الذى نرى اسمه خاليا من كلمة الإسلام.

لم يكن لهذا الحزب الأفغانى الخامس أىُّ وجود فى منازل الأفغان قبل الانقلاب الشيوعى فى **أفغانستان**، وإن كان يعتبر امتدادا لأفكار مؤسسه الشيخ مجددى المعروف بالعداوة والكراهية الشديدتين لكل ما هو شيوعى، وله مواقف معروفة فى هذا الشأن.

صبغة الله مجددى بن محمد معصوم مجددى:

إن مؤسس " جمعية العلماء المحمدية " قديما، ومؤسس الجبهة الوطنية لإنقاذ **أفغانستان** حديثا الشيخ صبغة الله مجددى من مواليد العاصمة الأفغانية كابل، فقد ولد فى ١٩٢٥م (١٣٤٣هـ)، فى حى " شور بازار " فى أسرة دينية عريقة مشهورة بالعلم والمعرفة بجانب الجهاد والنضال، وقد تلقى دراسته الابتدائية والثانوية فى كابل، وأتم دراسته الجامعية بجامعة الأزهر بمصر، وحصل على

بكالوريوس الشريعة من كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية، وبعد عودته إلى البلاد عمل مدرسا للمواد الدينية فى **أفغانستان** وفى بلاد أخرى غير البلاد الأفغانية، وقد قبض عليه أيام حكومة السردار محمد داود خان، فأودع الزنزانة الانفرادية وذلك لمعارضته الشديدة للتقارب الأفغانى الروسى على حساب مصلحة الشعب الأفغانى الوطنية وعقيدته الإسلامية، وقضى مدة فى السجن الانفرادى ثم أطلق سراحه.

وزعيم الجبهة الوطنية ينتمى إلى أسرة السادة المجددية التى تشتهر بالجهاد والنضال، وبالعلم والعرفان فى **أفغانستان**، وقد ظهر فيها كثير من العلماء والشيوخ الزعماء، كانوا يتمتعون بنفوذ عظيم وخطير فى المجالات الدينية والسياسية، وتولى كثير من رجالها الصالحين المجاهدين مشيخة الطريقة النقشبندية الشديدة المراس، والشديدة التمسك بأهداب الإسلام، وفى سنة ١٩٧٨م (١٣٩٨هـ) قبضت حكومة ترهكى الشيوعية على جميع أفراد هذه الأسرة الذين كانوا موجودين فى كابل، وقامت بإعدام رئيس الطريقة النقشبندية الشيخ محمد إبراهيم مجددى مع أسرته، و لم ينج منهم إلا من كان خارج البلاد من أمثال المرحوم محمد هارون مجددى،ومحمد هاشم مجددى، وصبغة الله مجددى والدكتور عبيد الله مجددى، وغيرهم. والشيخ مجددى سياسى إسلامى يجمع فى شخصه شيئا كثيرا من القيم الوطنية والإسلامية بشئ كثير من العلم والفلسفة والمعرفة والعرفان رغم أنه ليس شيخا للطريقة النقشبندية وهو عضو فعال فى أسرة حضرات المجددية التى تشتهر بالنشاط السياسى والاجتماعى والتى إليها تنحدر زعامة الطريقة النقشبندية، وكان لها شأنها الخطير المؤثر فى الأوساط الشعبية فى البلاد الأفغانية والهندية، وفى العالم الإسلامى كله تقريبا. إن مؤسس الجبهة الوطنية فيلسوف

إسلامى، ومفكر على مستوى عال من الثقافة، ومتمرس على درجة عالية من المهارة الفلسفية والفكرية والسياسية، هادئ فى شئ من الثورة، يعتبره الكثيرون سياسيا محترفا. كان دوره ودور أسرته المجددية فى مقاومة الانحراف والإلحاد أيام السردار داود قويا وبارزا ومن هنا زج به فى سجون داود ونال كثيرا من التعذيب والنكال، وقد آلت إليه زعامة الجبهة الوطنية الأفغانية إثر وقوع الأحداث الدامية الأخيرة فى **أفغانستان** فى شكل درامى دموى. وبرغم أنه ينتمى إلى أسرة السادة المجددية التى تنحدر إليها مشيخة النقشبندية، وبرغم أنه فيلسوف ومفكر، ومثقف متمرس، رغم كل ذلك ليس شيخا لأية طريقة من الطرق الصوفية المنتشرة بين الشعب الأفغانى. وهو من العلماء المناضلين والمجاهدين القدامى، لا يقدم على عمل إلا بعد إجراء دراسة متأنية عميقة حوله، وهذا ما فعله عندما أراد تأسيس الجبهة الوطنية لإنقاذ **أفغانستان** بقيادته حيث لم يوافق على ذلك، و لم يقدم على انشائها إلا بعد دراسة ميدانية للوضع فى منازل الأفغان، إذ قام بزيارة بشاور لمدة شهرين درس خلالهما الأوضاع السياسية بين التنظيمات الجهادية الأفغانية وتنازع الزعماء الأفغان على تولى الزعامة والجرى وراء الشهرة، وافق بعد ذلك على تأسيس الجبهة الوطنية، وإلقاء مسئولية قيادتها على عاتقه. وقرر أن يكون باب العضوية فى جبهته الوطنية مفتوحا لجميع الطوائف الأفغانية على مختلف لغاتها وأجناسها وألوانها.

رئيس الجبهة الوطنية الأفغانية يستمد نفوذه السياسى والاجتماعى والحزبى من نفوذ أسرته الدينية العريقة. ومنطقة نفوذه المكثف مناطق الجنوب الأفغانى والمناطق الريفية الأفغانية الأخرى وبخاصة الناطقة باللغة البشتونية (الأفغانية)، ونفوذه الحزبى

يجمع فى ثناياه مزيجا من الأفكار الإسلامية والوطنية، كما يدل على ذلك اسم حزبه الجبهة الوطنية لإنقاذ **أفغانستان**، ويمكن معرفة أفكاره الاجتماعية والسياسية من البيانات التى أصدرها، أو يصدرها بمناسبات الأحداث والانقلابات التى تجرى على الساحة الأفغانية فى الوقت الحاضر.

الجبهة الوطنية الأفغانية تعلن حرصها على وحدة الشعب الأفغانى العظيم دون تفرقة ما بين فئاته فى ظل العدالة الاجتماعية، وتحت راية التوحيد، وترفض طغيان الأفراد والجماعات، وجميع أنواع الديكتاتوريات التى يرفضها النظام الإسلامى. وهى تعلن التزامها بالشورى مع احترام الحرية والمساواة فى الحقوق والواجبات، وتقر حق التملك وحرية التعامل وفقا للمبادئ التى يقررها الإسلام، وهى ترفض رفضا تاما أى امتياز لأى فرد أو جماعة. وتبذل ما فى وسعها من الطاقات لرفع مستويات الشعب الأفغانى اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وبكل حرص وأمانة وإخلاص. وتدعو أبناء **أفغانستان** فى كل مكان للدفاع عن الدين، والاستقلال، وعدم الخضوع للأجنبى، وطرد الأعداء من البلاد.

إن الجبهة الوطنية الأفغانية تعلن التزامها بميثاق الأمم المتحدة، وبمبادئ حقوق الإنسان، وتحرص على الحياد الإيجابى، وتدعو إلى المحافظة على أمن المنطقة واستقرارها، وعدم التدخل فى شئون الآخرين. وتعطى الأولوية لعلاقاتها بالدول الإسلامية، وبالدول المجاورة **لأفغانستان**، وبالدول المحبة للسلام.

إن إرادة الشعب الأفغانى وتصميمه وصموده بقوة وثبات أمام الأعداء نابع من إيمانه العميق بدينه المبين عقيدة وشريعة، وهو جزء لا ينفك من شخصيته

المجاهدة، ولن يتخلى عنه أمام شرزمة عميلة باعوا أنفسهم وبلادهم، وقاموا بحركتهم الدامية الحمراء ١٩٧٨م (١٣٩٨هـ). إن هذه الحركة الدامية الحمراء قد أذهلت العالم بجرائمها الوحشية وبما أزهقت من أرواح بريئة....

إن الشعب الأفغانى الغيور على دينه ووطنه لن يقف مكتوف اليدين أمام هؤلاء العملاء الذين لطخوا تاريخه بل لطخوا جبين البشرية بجرائمهم النكراء. ولقد قرر هذا الشعب وصمم على الوقوف أمام هؤلاء العملاء عبيد الشيوعية الدولية بكل ما أوتى من قوة جهادا فى سبيل الله، وحفاظا على كرامة الوطن....

هذه بعض النصوص التى قمت بنقلها بتصرف عن بعض النشرات التى تقوم الجبهة الوطنية الأفغانية بتوزيعها فى المناسبات التى تتطلب ذلك. من الممكن أن نستنبط منها المبادئ والأفكار السياسية والاجتماعية والإصلاحية التى تؤمن بها الجبهة الوطنية لإنقاذ **أفغانستان**.

الانتقادات الموجهة إلى مؤسس الجبهة الوطنية الأفغانية:

يوجه إليه خصومه ما يأتى من الانتقادات الشديدة، فهو فى نظر الدكتور عبد الله عزام أحد الزعماء الأفغان الذين يعملون لإعادة الملك المخلوع محمد ظاهر شاه إلى العرش فى **أفغانستان**. وفى ذلك يقول الدكتور عبد الله عزام: " أرسلت أمريكا بعض ربائب الحكم الملكى ليفاوض الملك محمد ظاهر شاه الذى يقبع فى إيطاليا. وكان بين هؤلاء صبغة الله مجددى. فعقد الملك مؤتمرا صحفيا، وقال: إن المجاهدين يدعوننى لاستلام **أفغانستان** ". ويظن الدكتور عزام أن كلا من مجددى

وجيلانى لا يتمتعان بأى نوع من الثقل القتالى والسياسى.. " ومن المعلوم أن جيلانى ومجددى ليس لهما أى قوة تذكر " ويتهمه الدكتور عزام بتدمير الاتحاد بين المجاهدين الأفغان.. " وبمجرد دخول حكمتيار الاتحاد ذهب مجددى إلى أمريكا. ومن أمريكا اتصل مجددى هاتفيا وأعلن انسحابه من الاتحاد ". وكعادة جميع العناصر التى تعارض سياسة الرئيس المصرى أنور السادات الشجاعة المتصفة بالاعتدال والتعقل وبالحساسية العدائية نحو روسيا الشيوعية يتهم الدكتور عزام لا شعوريا كلا من السادات، ومجددى وجيلانى ومحمدى وربانى والشيخ خالص بالعمالة والعمل لحساب أمريكا.. " أوكلت أمريكا إلى السادات بشراء الجهاد الأفغانى لحسابها، فأرسل وراء قادة الجهاد، فذهب بعض القادة منهم مجددى وجيلانى ومحمدى ويونس خالص، وأرسل ربانى مندوبا عنه، فوعدهم السادات بعمل حكومة لهم فى المنفى، وبمدهم بالسلاح والمال، بشرط أن يبعدوا سياف وحكمتيار عن طريق الجهاد " وبغرض تدمير الاتحاد بين الفصائل الجهادية يتهمه الدكتور عزام قائلا: " تجمع الثلاثة (محمدى وجيلانى ومجددى) وكونوا اتحادا آخر بنفس الاسم الاتحاد الإسلامى لمجاهدى **أفغانستان** " وذلك ليعارضوا به الاتحاد بين التنظيمات الأفغانية الأخرى الذى كان قد تم تشكليه بقيادة سياف.

إن جبهة الشيخ مجددى متهمة بالانفصالية، فالشيخ صبغة الله مجددى وزميلاه جيلانى ومحمدى من السباقين الأوائل الذين وقعوا ميثاق الاتحاد، ثم سارعوا بعد مدة قصيرة إلى الانسحاب منه، وأعلنوا اتحادا ثلاثيا آخر، يحمل الاسم نفسه.. " الاتحاد الإسلامى لمجاهدى **أفغانستان** " وذلك بغرض مضايقة الاتحاد الذى كانوا

أعضاء فيه، ثم تحول بعد انسحابهم منه رباعياً بعضوية ربانى وسياف وحكمتيار وخالص.

٦- الحزب الإسلامى الأفغانى ٢
(دأفغانستان إسلامى كوند ٢):

وفى غياب الوحدة وعدم الانسجام بين الجماعات السياسية الجهادية، وفى غياب زعامة قوية قادرة على السيطرة المطلقة، وتوجيه الطاقات السياسية الأفغانية وجهة واحدة تحت راية واحدة لتحقيق الهدف الإسلامى بشكل جماعى متماسك دفاعا عن العقيدة الإسلامية التى يؤمن بها الشعب الأفغانى، وبسبب التنازع على الزعامة والتسابق إليها، والتفاخر بها فقد جاء إلى الوجود حزب إسلامى أفغانى سادس بقيادة المجاهد الكبير، الشيخ الوقور الأستاذ يونس خالص الذى كان يتعاون مع المهندس الشاب حكمتيار فى إطار الحزب الإسلامى الأفغانى الموحد، ولأسباب كثيرة لعل أهمها التنازع على الزعامة انفصل الشيخ محمد يونس بنفس الاسم، وبنفس الأهداف المنهجية عن الحزب الإسلامى بقيادة المهندس حكمتيار، وطلب منه أن يختار لحزبه وجماعته اسما آخر يراه مناسبا. والحزب الإسلامى ٢ لا يختلف فى كثير أو قليل عن الحزب الإسلامى ١، فهما فى الحقيقة فرعان انفصلا، أو نبعا من منبع واحد من منابع الإسلام فى بلاد الأفغان، أحدهما يزاول نشاطه بقيادة حكمتيار، والآخر يزاول نشاطه الجهادى بقيادة الشيخ المحنك محمد يونس خالص، وكلاهما يعملان لتحقيق هدف واحد، وهو تطهير **أفغانستان** وتحريرها، وإقامة حكومة إسلامية فيها وفقا لإرادة الشعب الأفغانى المسلم.

انشق الحزب الإسلامى رقم ٢ على الحزب الإسلامى رقم ١ وأصبح الحزب حزبان، وخرج الشيخ محمد يونس خالص بمجموعة كبيرة من الأعضاء المجاهدين الأفغان يقدرها البعض بثلاثين ألف مجاهد، والحزب الإسلامى ٢ جاد فى تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية، شأنه فى ذلك شأن الحزب الإسلامى ١ بقيادة رفيق دربه حكمتيار، مع فارق السن والانتماء الزمنى، فإن محمد يونس خالص من القادة الدينيين الذين يقدر عددهم بمائتين وخمسين ألف زعيم دينى، كلهم ينتمون إلى المؤسسات الدينية التقليدية القديمة، بينما ينتمى منافسه القوى حكمتيار إلى الجيل الجديد، وهو لا ينتمى أبدا إلى المؤسسات الدينية التقليدية.

محمد يونس خالص:

شيخ وقور بسيط إلى أبعد الحدود، متدين جاد فى تدينه، صادق فى إيمانه، لا يثور إلا للحق، ولا يعمل إلا للحق، حياته سجل حافل بالأعمال الجليلة والبطولات العظيمة، من مواليد ولاية ننجرهار إحدى الولايات الشرقية فى **أفغانستان**. تلقى تعليمه فى المدارس الدينية الأهلية وفى حلقات الدروس الدينية والعربية فى الجوامع، والمعاهد الدينية فى **أفغانستان**، وعمل مدرسا للمواد الدينية واللغة العربية، وهو من أشد الزعماء كراهية وعداوة للشيوعية والإلحاد، يتمتع بسمعة طيبة بين الزعماء، وبين الناس جميعا، يستمد قوته من البشتون، والبشتون هم الأكثرية والغالبية العظمى المنتسبة إلى حزبه الإسلامى، وهو لا يعترف أبدا بالفروق القبلية والطائفية فى **أفغانستان**. ومنطقة نفوذه هى الأقاليم الممتدة بين جبال تخت سليمان و " سبين غر " من كونر إلى كندهار شمالا وجنوبا ذلك الحزام

الذى يحيط بجبال هندوكش من الناحية الجنوبية بشمول كـابل العاصمـة الأفغانيـة، وأنصاره يذيقون القوات الحكومية والروسية فى هذه المناطق الإستراتيجية كثيرا من الخسائر الفادحة البشرية والمادية، ويشتهرون بالشجاعة والتضحية والفداء، وبشـدة صبرهم على المكاره وتحمل المشاق.

هذا الزعيم العالم، والصوفى النقشبندى، كان يعمل محـررا فـى جريـدة أفغانيـة أيام السردار محمد داود خان، و لم يغادر **أفغانسـتان** إلى بشـاور إلا بعـد الانقـلاب الشيوعى الذى قام به الرئيس نور محمد ترهكى، وأطاح فيـه بالسـردار محمـد داود خان، تلتف حوله الآن أعـداد كبـيرة مـن القبـائل البشـتونية فـى كـل مـن كونـر، وننجرهـار، وبكتيـا وبكتيكـا وغزنـه وزابـل وكندهـار وفـى غيرهـا مـن الأقـاليم الأفغانية. وكان عضوا بارزا فى حركة حكمتيار الإسلامية، وقـد انشـق عليـه فـى عام ١٩٧٩م (١٣٩٩هـ)، واتهمه بالاستبداد والدكتاتورية وأسس حزبه الإسلامى ٢، وواصل نضاله الإسلامى لتحرير **أفغانستان** وتطهيرهـا مـن الشـيوعيين المحتلـين والعملاء. إن مؤسس الحزب الإسلامى المنشق عالم عامل، وفقيه متمكـن يكـن لـه أنصاره كل تقدير واحترام، ويتفانون فى خدمة أهـداف حزبـه الإسـلامية، ورغـم تقدم السن فإنه يقود كثيرا من المعارك الحربية بنفسه وبخاصة فى ننجرهـار مسـقط رأسه، وفى بكتيا قاعدة نفوذ قائده العظيم جلال الدين حقانى الذى تتحـدث عنـه الصحف الروسية وتقول عنه أنه يأكل لحوم البشر لكثرة ما يقتله من الجنود الروس فى المعارك التى تدور بين الجانبين فى الأقاليم الجنوبيـة التابعـة لنفـوذه. إنـه صوفـى إسلامى صادق أمين لم يتهـم بالخيانـة الماليـة، أو بالتهـاون فـى الأمـور الدينيـة، أو

الوطنية أو السياسية جاد فى تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية، وفى دعوته إلى قيام حكومة إسلامية فى البلاد الأفغانية.

اشترك فى الاتحاد الإسلامى لمجاهدى **أفغانستان**، ثم اشتد خلافه مع سياف رئيس الاتحاد واتهمه بالخيانة والانحراف عن المبادئ التى تم الاتفاق عليها فانسحب من الاتحاد، وهو على خلاف شديد مع المهندس حكمتيار رفيق دربه فى الجهاد، ويتهمه بالاستبداد كما مر. وهو لا يزال على خلاف شديد مع كل من حكمتيار وسياف. ورغم ذلك كان رئيسا للجنة المالية فى الاتحاد نظرا لاعتراف الجميع بنظافة ذمته المالية وعدم اتهامه بالمخالفات المالية والاقتصادية، أو ببيع العتاد الحربى، أو بغيره من الأموال العامة فى الحزب أو الاتحادين الأول والثانى.

هذا الزعيم البشتونى أهدأ شخصية أفرزها الأفغان تمسكا بالهدوء الثورى الإسلامى، وبالعمق الأفغانى الأصيل، وبالبساطة الريفية الأفغانية، وهى أقرب شخصية إلى الحياة الإسلامية الأولى فى المنظور الإسلامى، وهو يستحق بجدارة أن يكون أمين الجهاد الأفغانى فى الشئون الاقتصادية والعسكرية. وقد حقق له قائده جلال الدين حقانى قدرا كبيرا من الشهرة التى لم يحظ بها غيره من زعماء الجهاد سوى القليلين منهم. ويجب أن نأخذ فى الاعتبار عند الحديث عن الصوفى العالم محمد يونس خالص أنه ذهب إلى مصر واستقبله السادات مع الزعماء الآخرين من المقاومة الأفغانية كزعيم دولة وليس كزعيم حزب واحد من الأحزاب الأفغانية، استقبله السادات فى منزله فى ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية، وتحدث فى البرلمان المصرى، وفى مجلس الشورى المصرى، واستقبل فيهما استقبال الرؤساء والزعماء المرموقين، أو كأحد أبطال الحرب العائدين من المعركة بالنصر المبين. وقد قام مع

بقية أعضاء الوفد الجهادى بجولة فى بعض المدن المصرية، وخطب فى مساجدها وفى الاجتماعات التى كانت تقام احتفالا بالوفد الأفغانى الزائر، وكانت خطبه وأحاديثه فى تلك الاجتتماعات باللغة العربية الفصحى، وبلهجة كان لها تأثيرها المتميز. وقد زار أخيرا مقر الأمم المتحدة على رأس وفد من المجاهدين للمطالبة بتخصيص مقعد **أفغانستان** فى الأمم المتحدة فى نيويورك للمجاهدين بدلا من الحكومة العميلة فى كابل. وبهذه المناسبة استقبله الرئيس الأمريكى ريجان.

هذا الزعيم الأفغانى الوقور الشيخ محمد يونس خالص من أصل بشتونى من ولاية ننجرهار، تمثل صوفيته الريفية المقام المعتدل، والجانب الوسط فى المقارنة بين عقائدية حكمتيار الثورية، ووسطية ربانى المتعمقة، وسلفية سياف الإفراطية، وصوفية كل من جيلانى، ومجددى، ومحمدى التقليدية التى تسير فى طريقها إلىالاختفاء. والزعيم خالص وقع وثيقة خيانة سياف وظلمه واستبداده مع كل من جيلانى ومحمدى ومجددى، وانشق على الحزب الإسلامى ١ واتهم حكمتيار بالاستبداد والطغيان، وسحب معه ثلاثين ألفا من خيرة رجال الحزب الإسلامى المقاتلين الأقوياء. وقد تردد كثيرا بين المجموعتين من التنظيمات الجهادية الثورية والتقيلدية، أى بين مجموعة الأحزاب الثورية.. جمعية ربانى الإسلامية وحزب حكمتيار الإسلامى واتحاد سياف الإسلامى لتحرير **أفغانستان**، وبين مجموعة الأحزاب التقليدية.. حركة محمدى الإسلامية الأفغانية وجبهة صبغة الله مجددى الوطنية لإنقاذ **أفغانستان** وجبهة جيلانى الإسلامية الأفغانية، وهو فى ذلك يقترب من الأولى أحيانا، وإلى الثانية أحيانا، علما بأنه على خلاف شديد مع سياف، ويكن تقديرا خاصا لربانى لكونهما من رجال الدين. وعندما كان فى زيارة مصر

أبى أن يظهر فى التلفزيون بجانب الشيخ صبغة الله مجددى فى مشهد واحد. فاضطر التلفزيون المصرى أن يقوم بإجراء الحديث المصور مع كل واحد من الزعماء.. خالص ومجددى ومحمدى وجيلانى فى مشاهد منفصلة.

أفكاره السياسية:

الدعوة إلى التحديث التكنولوجى والعلمى، وإضفاء الصبغة الإسلامية الحقيقية على المؤسسات الأفغانية من أهدافه ومراميه فى أفكاره السياسية، يشترك فى ذلك مع غيره من الزعماء الأفغان الذين يقودون الجهاد الإسلامى فى **أفغانستان**. وهو يختلف مع سياف وحكمتيار فى النظرة إلى المؤسسة الدينية الأفغانية المكونة من رجال الدين وأئمة المساجد، ورجال التصوف، والمدرسين الدينيين، ورجال القضاء، وهيئة علماء **أفغانستان**، وطلاب المدارس الدينية الأهلية والرسمية التى تنتشر فى جميع أنحاء **أفغانستان**، وهو يميل فى نظرته إلى رجال هذه المؤسسة إلى فكر الأستاذ الشهيد **غلام محمد خان نيازى** التى يتبناها الآن الأستاذ برهان الدين ربانى، وهو يرى أن التعامل الهادئ، واستغلال الطاقات العلمية والدينية والروحية والشعبية لرجال هذه المؤسسات الدينية الواسعة خير من إثارة العداوة، أو الكراهية نحوهم، لأنهم يتمتعون بطاقات هائلة، وبنفوذ شعبى واسع لا يتمتع به غيره من الزعماء السياسيين فى **أفغانستان**. وهو يدعو فى هذا المجال إلى تعميق التربية الإسلامية، وتطويرها داخل الإطار الإسلامى الأصيل لتتلاءم مع التحديث التكنولوجى، ويدعو إلى تحسين الوضع الاقتصادى لرجال هذه المؤسسات الدينية العظيمة.

يهدف بكل جدية ويدعو إلى إعلاء كلمة الله فى ربوع البلاد الأفغانية، وقيام الحكم الإسلامى فى **أفغانستان** على قواعد الشورى فى الإسلام، ويدعو بكل قوة إلى القضاء على مثيرى الفتن والفساد، ومنع جميع الفعاليات والنشاطات التى تعمل ضد القيم الإسلامية فى منازل الأفغان. والإسلام وحده هو المصدر الوحيد لجميع القوانين والتشريعات، وهو الحل الوحيد للقضاء على المشاكل التى يصادفها الإنسان فى العصر الحديث. ومجلس الشورى الإسلامى هو المرجع النهائى الأعلى لكافة القرارات، وهو المسئول عن السياسة العامة للدولة فى جميع المجالات السياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية والثقافية حسب أحكام الشريعة الإسلامية، يدعو إلى نشر الثقافة الإسلامية والوعى الإسلامى بين الشعب الأفغانى.

٧- الاتحاد الإسلامى لتحرير أفغانستان
(د أفغانستان د أزادولو إسلامى اتحاد):

هذا التنظيم " د **أفغانستان** د أزادولو إسلامى اتحاد " يرأسه الأستاذ عبد رب رسول سياف الذى ورث هذا الاسم من الاتحاد الأفغانى الذى تأسس بين المجاهدين الأفغان فى بشاور سنة ١٩٨٠م (١٤٠٠هـ)، وقد بدأ فى الصعود إثر إلغاء الاتحاد بين التنظيمات الجهادية، وورث كثيرا من مزاياه السياسية والحزبية والمادية. وقد حارب الاتحاد المعسكر التقليدى فى الجهاد الأفغانى، حتى تم إلغاؤه، وتمزق تمزقا شنيعا، ووصل التمزق والتفكك إلى الجبهات القتالية فى مواجهة العدو الشيوعى الأمر الذى أدى إلى إراقة الدماء، وسقوط المقاتلين شهداء برصاص إخوانهم المجاهدين من التنظيمات الأفغانية المختلفة. وقد شمر الأستاذ عبد رب

الرسول سياف عن ساعد الجد، وواصل نشاطه وفعاليته من خلال حزب " الاتحاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان** " يساعده عدد كبير من الزعماء المجاهدين الأفغان، حتى صار حزبه من أقوى الأحزاب الأمر الذى مكنه من الوقوف جنبا إلى جنب مع الأحزاب الأفغانية النشيطة وأثبت وجوده الفعال على ساحة المقاومة الجهادية داخل الأرض الأفغانية التى تشتعل بنار الحرب المدمرة منذ أن دخل الروس واحتلوا **أفغانستان** فى أواخر عام ١٩٧٩م (أوائل عام ١٤٠٠هـ) بل فى فترة ما كان من أحسن الأحزاب تنظيما وتسليحا، وأشهرها نفوذا فى البلاد الإسلامية وبخاصة فى البلاد العربية، إلى أن بدأ خصومه فى التنظيمات الأفغانية يهاجمونه، ويوجهون إليه انتقادات قاسية، ورغم ذلك فقد تمكن الاتحاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان** من مواصلة نشاطه السياسى والحزبى داخل التنظيمات الأفغانية وخارجها بقوة واندفاع عظيمين، وهو يقف اليوم فى الصف الأول من المواجهة الجهادية مع العدو، حيث ينتشر قواده المقاتلون فى جميع أنحاء **أفغانستان** يحرزون نصرا بعد نصر فى الجبهات التى يقاتلون فيها ويسيطرون عليها. ومن أبرز نشاط الاتحاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان** هو اهتمامه البالغ بالتدريب العسكرى، والجانب التثقيفى بإنشاء مدارس وكليات دينية، والجانب الصحى بإنشاء المستشفيات الثابتة والمتنقلة وبالجانب الإعلامى، ونذكر فى هذا المجال المجلة العربية التى يصدرها الاتحاد باسم " البنيان المرصوص " وهذه المجلة أقوى المجلات الجهادية إخراجا وأسلوبا وتبويبا وترتيبا. تنشر مقالات وأحاديث قيمة من الناحيتين الموضوعية والكتابية.

عبد رب الرسول سياف:

إنه رئيس حـزب الاتحـاد الإسـلامى لتحريـر **أفغانسـتان**، وهـو مـن الصـادقين المخلصـين فـى الجهـاد الإسـلامى لتحريـر بـلاد الله الإسـلامية، وتحريـر عبـاد الله المؤمنين الصادقين المضطهدين من أعداء الله ومن أعداء البشرية الظالمين المستبدين، وذلك ببذل كل الوسائل المالية والبشرية الممكنة، وببـذل كـل مـا فـى وسـعه مـن جهد أو فعل أو قول أو فكر أو تدبير، وهو من رجال الجهاد الصـادقين، والجهـاد فى فكره آية الإيمان، وعلاقة التفانى والإخلاص، وطريق النجـاة والخـلاص، وهـو فى ذلك مؤمن حق الإيمان، ولا يرتاب فى نصره على أعداء دينه ووطنه، وفى قهر هـؤلاء الأعـداء وإبـادتهم لإنقـاذ المسـلمين الأفغـان مـن رذائلهـم، ومـن ظلمهـم، واستبدادهم، وطغيانهم.

ولد سـياف فـى ١٩/٤/١٩٤٥م (٧/٥/١٣٦٤هـ) فـى بغمـان بـالقرب مـن العاصمة الأفغانية كابل، وتوفى أبوه وعمره ست سنوات، تلقـى تعليمـه الابتدائـى فى المدرسة الابتدائية فى بغمان، وقد التحق بعـد ذلـك بمدرسـة ابـن سـينا الثانويـة الداخلية فى كابل العاصمة، وواصل فيها الدراسة لمـدة سـنتين، التحـق بعـد ذلـك بمدرسة أبى حنيفة الداخلية فى كابل، وحصـل علـى الشـهادة الثانويـة فـى العلـوم الإسلامية والعربية أهلتـه للالتحـاق بكليـة الشـريعة بجامعـة كـابل، وحصـل علـى بكـالوريوس الشـريعة عـام ١٩٦٧م (١٣٨٦هـ)، وبعـد التخـرج اسـتدعى لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية، وبعـد إنهـاء الخدمـة العسـكرية فـى الـدورة التدريبيـة لضباط الاحتياط عين فى سنة ١٩٦٩م (١٣٨٨هـ) معيـدا بكليـة الشـريعة بجامعـة

كابل، وبعد مرور سنتين على تعيينه معيدا أوفدته الجامعة إلى مصر لمواصلة الدراسات العليا، فالتحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة، وحصل على درجة الماجستير، فعاد إلى الوطن سنة ١٩٧٣ (١٣٩٢هـ)، وعمل مدرسا لمواد الحديث والمواريث والنصوص الدينية بكلية الشريعة بجامعة كابل. ثم أوفدته كلية الشريعة لدراسة اللغة الإنجليزية فى أمريكا، وعند توجهه إلى مطار كابل الدولى للسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية قبضت عليه حكومة محمد داود قبل الصعود إلى الطائرة، وألقت به فى السجن سنة ١٩٧٤م (١٣٩٣هـ) حيث قضى فيه ست سنوات حتى أفرج عنه سنة ١٩٨٠م (١٤٠٠هـ) بطريق الخطأ، وبمجرد الخروج من السجن شق طريقه عبر الجبال للوصول إلى بشاور واللحاق بإخوانه المجاهدين الذين كانوا يقاتلون فى جبهات متفرقة تحت رايات إسلامية متعددة. وقد كان وصوله إلى بشاور فرصة طيبة لتنشيط الجهاد والنشاط الإسلامى ضد الشيوعية الأفغانية والاحتلال الروسى، وبالإضافة إلى ذلك فإن انضمامه للمقاومة أثر فى التآلف والتقارب بين جماعات الثوار المتنافسة، ولو لمدى ليس بطويل.

سياف فى طريق صعوده إلى القمة:

وقد بدأ عبد رب الرسول فى الصعود، وفى القفز إلى القمة بعد خروجه من السجن، ووصوله إلى بشاور عبر الجبال والوديان، وبخاصة بعد تدفق قوات الاحتلال الروسى على كابل فى أواخر عام ١٩٧٩م (أوائل عام ١٤٠٠هـ)، ونظرا لسابق نشاطه الإسلامى بين الجماعات الإسلامية الثورية فقد اعتبر نجاته من الموت، والتحاقه بالمقاومة الأفغانية قوة دافعة للتوحيد بين الفصائل الجهادية،

والأحزاب السياسية الأفغانية المتنافسة، وقد تمكن - كما مر - من تحقيق نوع كبير من هذا الهدف بين الجماعات الثورية الأفغانية، وكان من الممكن أن يستمر التوحيد بينها لمدى أطول لولا بعض التصرفات التى صدرت منه ومن غيره الأمر الذى وقف عقبة فى طريقه، و لم تستمر عملية التوحيد بين المقاتلين طويلا. وقد تمكن الأستاذ سياف من جمع أموال إسلامية من الدول العربية فى منطقة الخليج لتقوية مركز المقاومة الجهادية الأفغانية ماليا، مضيفا بذلك نفوذا واسعا، وشهرة سياسية، وتفوقا جديدا إلى رصيده ونشاطه على المستويين الجهادى والسياسى، وبخاصة فى العالم الإسلامى. ولو غضضنا النظر عن ذلك فإن سياف يتمتع بمزايا أخرى كثيرة كاشتراكه فى العمل الثورى منذ أن كان طالبا بجامعة كابل، واعتماد الأستاذ الشهيد **غلام محمد خان نيازى** رحمة الله عليه فى كثير من الأمور المتعلقة بالعمل الثورى فى حياته، وكميزة السن، والثقافة الواسعة، والاعتراف به دوليا، وبخاصة فى العالم الإسلامى، وتأييد جماعة الإخوان المسلمين المطلق، ودعم السلفيين المادى والمعنوى، وانتمائه عرقيا إلى البشتون، كل ذلك يميزه عن غيره من رفاق دربه فى الجهاد. وهذه هى الأسباب التى أثارت عليه سخط أعضاء المعسكر التقليدى فى الجهاد الأفغانى، كما أثارت سخط وغضب بعض خصومه من التنظيمات الإسلامية الأفغانية الأخرى، ورغم ذلك فإن مركزه السياسى والجهادى ومكانته الاجتماعية قد استمرت فى الصعود لمدة طويلة. وقد زاد مركزه قوة ومتانة بعد أن انضم إليه عدد كبير انشق على الجمعية الإسلامية، وعلى رأس هذا الفريق المنشق المهندس أحمد شاه الذى يتمتع بقبول حسن فى المملكة العربية السعودية وفى بعض الدول الأوربية، وبخاصة فى أمريكا، وله سمعة طيبة بين

المجاهدين والمهاجرين الأفغان، وهو بالإضافة إلى ذلك من الأوائل الذين شاركوا فى النضال منذ أن كان طالبا، وهو الذى رافق الأخ عبد الرحيم **نيازى** رحمه الله فى رحلته العلاجية إلى الهند.

قلت بأن الأستاذ عبد رب الرسول سياف أحد أساتذة كلية الشريعة المشهورين فى جامعة كابل، وأحد تلامذة الأستاذ الشهيد **غلام محمد خان نيازى** المخلصين، وأحد تلاميذ الأستاذ برهان الدين ربانى الذى ينافسه الآن فى الزعامة، وفى المقاومة الجهادية. وقلت أيضا بأن نجمه قد بدأ فى الصعود والتلألؤ بعد خروجه من السجن الذى قضى فيه ست سنوات، وذلك إثر تدفق القوات الروسية على كابل، وكان قد قبض عليه، وصدر الحكم الجائر بإعدامه ضمن عملية الإعدام الجماعية التى راح ضحيتها ١١٧ شابا من خيرة الشباب المسلم فى أحد سجون كابل فى ضاحية من ضواحيها، ولكن الله نجاه من الموت فى عملية الإعدام الجماعية بحكمته البالغة التى لا يعلمها إلا هو. وذلك ليسخره لخدمة الجهاد الأفغانى، وليفعل به ما يشاء من قيادته للجهاد الإسلامى فى منازل الأفغان، وليقوم بنقلة عظيمة للقضية الأفغانية إلى آفاق أوسع فى إطار الجهاد المسلح، وفى الإطار الإسلامى والعالمى أيضا، وللقيام بعمليات تنشيط العمل الجدى فى الساحات الساخنة والمجالات السياسية والإعلامية وفى ميدان الإعداد القتالى والثقافى، لأجل هذا شق طريق الوصول إلى بشاور عبر الجبال الأفغانية الوعرة، والأودية السحيقة حتى تمكن من اللحاق برفاق الدرب والانضمام إلى المقاومة المسلحة الأفغانية، ونظرا لاحترام الجميع وتقديرهم له لسابق زعامته للجماعات الإسلامية الثورية، ولتحمله العذاب الطويل داخل السجون الأفغانية لمدة ست

سنوات فى سبيل إعلاء كلمة الله، ولتعاونه مع الأستاذ **غلام محمد خان نيازى** فى الأيام الأولى من نشاط الحركة الإسلامية الأفغانية فقد اعتبر انضمامه إلى المقاومة الأفغانية قوة مؤثرة وفعالة لتحريك فكرة التوحيد بين الأحزاب السياسية الإسلامية، والجماعات الجهادية، ونظرا لهذا التقدير وذلك الاحترام الجماعى له، فقد انتخب رئيسا للاتحاد الأول بين المجاهدين عام ١٩٨٠م (١٤٠٠هـ)، وقد تمكن بدوره من تحقيق قدر كبير من هدف توحيد الجماعات الثورية الإسلامية من ناحية، ومن ناحية أخرى تمكن من جمع أموال ومساعدات ومعونات كثيرة من الدول العربية، استطاع بذلك أن يضيف بعدا جديدا، وقوة هائلة، ونفوذا كبيرا إلى المقاومة الأفغانية، وبالتالى إلى زعامته لها، وإلى الاحترام الذى يكنه له الجميع، وبرغم أن عمر هذا الاحترام والتقدير، وتلك الزعامة العامة للاتحاد الإسلامى الأفغانى لم يكن طويلا، إلا أنه واصل نشاطه بفعالية من خلال الاتحاد الذى تمسك به وتحول إلى تنظيم خاص، وحزب خاص، وأصبح هو رئيسه، واعتبر مؤسسه وبانيه، وهو كل شئ فيه.. ورث الاسم والمسمى، وما كان لهما من المزايا الكثيرة، وكان لحنكته السياسية، وتجربته الحزبية، ومهاراته الخطابية، وشخصيته الفذة، وتفانيه فى العمل لأجل الإسلام فى بلاد الأفغان، كل ذلك كان له تأثيره الديناميكى على مجريات الأمور أثناء الاتحاد وزعامته له، وما أتى بعد ذلك من عمليات الانتقاد الموجهة إليه، وما أحدثته من الانفصال، وما تعقبه من الأحداث الدرامية، فى الساحة الأفغانية التى دفعته ديناميكيا إلى الأمام، وجعلته زعيم المستقبل المحدود فى **أفغانستان**.. الأمر الذى أثار سخط كثير من العاملين

والمهتمين بالقضية الأفغانية، وقد سمعت أنا فى مكة المكرمة من أحد أعضاء تنظيم أفغانى يوجه إليه انتقاده متهما إياه بتهم لا تمت إلى الحقيقة بصلة، وذلك بعد أن قام سياف بتغييرات بنقل بعض المسئولين فى الاتحاد من مناصبهم إلى مناصب أخرى، وعزل البعض الآخر عن العمل، فكان نصيبه من ذلك تلك الانتقادات بل تلك التهم الباطلة التى وجهت إليه بغير وجه حق، وهو برئ منها براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

سياف ممثلا للجهاد الأفغانى:

إن الأستاذ سياف الذى يعرفه العالم الإسلامى كممثل للجماعات الثورية الإسلامية، كما تعتبره جماعة الإخوان المسلمين الممثل الوحيد لجهاد الشعب الأفغانى، كما اعتبرته رابطة العالم الإسلامى ممثلا للجهاد الأفغانى لمدة قصيرة، إنه من الثوريين الإسلاميين الأفغان الذين يصنفهم الغرب تحت مجموعة فئات السلفيين، وهذا التصنيف له رنينه الساحر المؤثر عند السلفيين فى المملكة العربية السعودية التى تحتضن الجهاد الأفغانى إلى حد بعيد، كما يصنفهم البعض تحت اسم " حركة الإحياء " وهذه التسمية لها تأثيرها المرغوب فى الدوائر العلمية والثقافية فى العالم الإسلامى، إلا أن تأثير هاتين التسميتين المرغوبتين فى العالم الإسلامى عكسى فى العالم الغربى، وكذلك فى بعض الدوائر الجهادية الأفغانية، أما الشعب الأفغانى فإنه ينظر إلى الحركتين نظرة شك وتردد لشدة تمسكه بالمذهب الحنفى.

سياف من الرعيل الأول فى الحركة الإسلامية:

إن رئيس " الاتحاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان** " من الأوائل الذين تعاونوا مع الأستاذ **نيازى** فى تأسيس الحركة الإسلامية الأفغانية، وكان مسؤلا عن الحلقة الأولى فى الجماعة الإسلامية الأولى، وعلى يده تتلمذ الأخ عبد الرحيم **نيازى**، وبدعوته الصادقة انضم إلى الحركة الإسلامية وهو طالب بكلية الشريعة بجامعة كابل. وقد اختير سياف نائبا لربانى عندما اختير هذا الأخير رئيسا للجماعة الإسلامية بدلا من الأستاذ **نيازى**، وذلك عندما اشتدت الرقابة الحكومية على **نيازى** وعلى الحركة الإسلامية، وبالإضافة إلى ذلك فإنه - رحمه الله - كان عميدا لكلية الشريعة، وكان محظورا عليه أن يقوم بقيادة الحركة الإسلامية وهو موظف عمومى بالدولة، لذلك تم تعيين ربانى رئيسا، وسياف نائبا له. وسياف يتميز بالذكاء السياسى، والعلمى، والصلابة الصارمة مع إدراك عميق للوضع السياسى، والإقليمى، والعالمى، والمحلى الأفغانى، وهو يعمل فى إطار الاتحاد بهذا المنظور الواسع الشامل، علما بأن أهل بغمان مشهورون بمثل هذا الذكاء. وهو جاد إلى أبعد الحدود فى تنفيذ وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فى **أفغانستان**، وهو يقاوم بكل شدة وعزم وإصرار كل الحركات التى تعادى الإسلام، وتخالف تعاليمه، وهو جاد دون شك فى استخدام الإسلام فى المعركة ضد الشيوعيين فى **أفغانستان**، لا يقل حماسا فى ذلك عن بقية الزعماء الأفغان الإسلاميين إن لم يكن أكثرهم وأقواهم وأشدهم حماسا واندفاعا. ولاؤه إسلامى عالمى على غرار ولاء الإخوان المسلمين الإسلامى العالمى، ذو موهبة إسلامية، وذو معرفة إسلامية، وذو تجربة عملية بحياة الطبقة الفقيرة وأكثرهم احتكاكا بهذه الطبقة التى ينتمى إليها بكل

كيانه الأفغانى، وأكثر جدية فى العمل بين الطبقات الفقيرة، وإن كان يقال الآن أنه طرأ عليه نوع من التغير الكريه. وبجانب ذلك فهو واسع الإدراك وواسع العلم بالأمور القتالية لكونه ضابط احتياط، وقد قاد بعض العمليات القتالية بنفسه، وبخاصة فى بكيتا بجنوب **أفغانستان**. وقد عاش سياف تحت ظلال السيوف ليعد بذلك العناصر الرئيسية لنجاح حزبه الاتحاد إعدادا محكما دقيقا لتسلم الأمور فى **أفغانستان** بعد القضاء على الشيوعية وجلاء قوات الاحتلال الروسى من **أفغانستان** بإذن الله. إن الطبقة المثقفة التى عاشت وتربت فى أحضان الاتحاد الإسلامى وبخاصة تلك التى انشقت على الجمعية الإسلامية، وانضمت إلى الاتحاد الإسلامى من أنشط الطبقات المتأثرة بالفكر الإسلامى الأصيل، كما أن هناك عددا من العسكريين يعملون تحت رايته، ويقاتلون فى صفوف الاتحاد، وهم قد تأثروا إلى حد بعيد بفكره الثورى الإسلامى. إن الأصول العرقية فى اتحاده متعددة اللغات واللهجات، كثيرة القبائل والطوائف تبدو أحيانا متباعدة متنافرة، ولكنها فى مواجهة العدو الأجنبى الملحد الذى يحتل البلاد الأفغانية متقاربة متراصة تلبى دعوته الجهادية العالية تلبية الجندى لقائده، إن تلك العناصر الأفغانية التى يخيل إلى الإنسان أنها تقفز إلى الوغى كأنها قطعة واحدة متماسكة صلدة كالصخرة الهائلة الملساء تقف أمام التحديات القتالية للعدو صامدة كالطود العظيم تدافع عن عرين الإسلام، وعن وطن الأفغان، وعن قومية الإيمان كأنها قنابل زمنية موقوتة تهدد دائما تفجير المواقف تلبية لدعوة راعى الاتحاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان**. ومع كل هذه القوة وتلك الصرامة فإنه يميل إلى إيقاف حمام الدم فى **أفغانستان** بشرط واحد وهو تحكيم شريعة الله فى البلاد الأفغانية، وهذا الشرط لا يتحقق إلا بجلاء

قوات الاحتلال الروسى من أراضى **أفغانستان** الطاهرة، وهو لا يحارب إلا بناء على الفكرة التى تقول.. الحرب المقدسة دفاعا عن الأرض المقدسة، وهو فى كل ذلك ذو اتجاه إسلامى سلفى إلى أبعد الحدود، لا يؤمن بالحل الوسط للقضية الأفغانية، ويتمتع بالإرادة القوية، وبطول النفس فى الجهاد.

شخصية سياف الثائرة الهادئة:

رئيس الاتحاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان** الأستاذ سياف تتميز شخصيته بالهدوء الثائر، وبالصلابة الغامضة، أشد شخصية إسلامية أفرزتها **أفغانستان** عداوة للروس وعملائهم، وكراهة لرجال التصوف، وهيئة العلماء، ورجال الدين الذين كانوا يعملون فى المؤسسات الدينية التابعة للدولة أيام الحكومات الأفغانية السابقة. وقد أثار بهذه العداوة والكراهية مشاكل وصعوبات فى التفاهم لا ضرورة لها. إن هؤلاء الرجال من الأفغان أخطر فى نظره من الشيوعية لاعتمادهم على معتقدات خرافية. إنه أشد شخصية أفغانية تمسكا بالسلفية الإسلامية، نفورا عن التصوف ورجال الدين الذين قضى عليهم الزمن، وهو فى ذلك يشبه المهندس حكمتيار رئيس الحزب الإسلامى الأفغانى. إن إخضاع الدولة للدين، أو إخضاع السياسة للإسلام فكرة أساسية من أفكاره التى لا تقبل المناقشة، ولا يمكن طرحها على بساط البحث والنقاش، إن الدولة والدين متحدان لا انفصام بينهما، بل مهمة الدولة الأساسية هى خدمة الدين، وهى سلطة تنفيذية للقيام بتنفيذ الشريعة الإسلامية، والدولة تفقد معناها بفقدان ذلك. والدين هو الغالب المسيطر المنتصر فى كل الأمور وفى كل الأحوال، وهو الأساس الثابت فى الحياة، وهو الحل

الوحيد للمشاكل السياسية والروحية والاجتماعية، وهو طريق الخلاص الوحيد من المشاكل الجسدية والمادية التى تواجهها البشرية، وهذا اعـتراف صريـح منـه بعمـق الالتزام الدينى فى المستقبل، وإغراء صادق للشـعب الأفغـانى بـالتزام الأيديولوجيـة الإسلامية، وعلى كل فإن الحماس الدينى الإسلامى هو الأسـاس المسـيطر المتسـلط على أفكار زعماء التنظيمات الأفغانية الرئيسية، والهوية الإسلامية هى الأساس فـى كل حركة يقوم بها هؤلاء الزعماء الأفغان. وكذلك الأمر بالنسـبة للعمـق الدينـى الإسلامى لدى الأفغان، فهو موضوع من الموضوعات الهامة الرئيسية الأساسـية لا يوافق الشيخ سياف على مناقشته، أو إثارة الأسئلة حولـه، ولا يوافـق علـى إنكـار دور الدين فى المقاومة ضد الشيوعية، بل الديـن هـو الأسـاس الثـابت فـى الجهـاد الأفغانى فى كل مكان وزمان.

سياف الثورى السلفى رئيسا للاتحاد الإسلامى الأفغانى:

إن الشيخ السلفى الأفغانى الأستاذ سياف ذو ولاء إسلامى إخوانى كان رئيسا للاتحـاد الإسـلامى الأول الـذى تأسـس بـين التنظيمـات الجهاديـة الأفغانيـة سـنة ١٩٨٠م (١٤٠٠هـ)، ورأس الاتحـاد الإسـلامى الثـانى الـذى تأسـس فـى ١٩٨٣/٥/٢٢م (١٤٠٣/٨/١١هـ)، وقد رأس بالإضافة إلى رئاسته للاتحاد اللجنة السياسية بالاتحاد، كما عين قائدا عاما للجهـاد الأفغـانى. ويبـدو عليـه كأنـه مـن السياسيين المحترفين، إذ بدأ العمل السياسى فى الحقل الإسلامى مبكـرا، وهـو يعتز برأيه كثيرا، ويتحايل بإلحاح كبير، وبإصرار شديد لكسب التأييد لآرائـه ونظرياتـه الفكرية والسياسية والجهادية، وهـو قـادر علـى ذلـك ومتمكـن إذ أنـه ذو موهبـة

خطابية، وذو قوة كلامية تمكنه من القيام بإقناع خصمه بسهولة ويسر، وبالإضافة إلى ذلك فإنه واسع الإطلاع والدراية بأحوال بلده **أفغانستان** السياسية والاجتماعية، وبخاصة بالأوضاع التى تحيط بالقضية الأفغانية، وهو جاد فى الدفاع عن الإسلام فى البلاد الأفغانية وفى غيرها من بلاد العالم، ومن هنا يمكن القول بأنه إسلامى الولاء، عالمى الاتجاه، له أبواب عمل مفتوحة مع كل من باكستان والدول العربية المعتدلة الاتجاه، غير الشيوعية الميول، أما الدول العربية التى تدور فى الفلك الروسى فإن إذاعاتها ووسائل إعلامها الأخرى تذكره وغيره من زملائه المجاهدين الأفغان بالمتمردين إرضاء للروس، ودون أى إحساس بالأخوة الإسلامية التى تربط بين الشعوب الإسلامية. إنه لقوى المركز تمويلا وتسليحا ودعاية وديناميكية وبشريا وبخاصة بعد أن انضمت إليه المجموعة المنشقة على ربانى التى منحته قوة دفعته إلى القمة، وأكثر أعضاء هذه المجموعة ينتمون بهويتهم العرقية إلى البشتون.

سياف من أشد المعارضين لإعادة الملك السابق إلى العرش:

الزعيم عبد رب الرسول سياف من أشد المعارضين لإعادة الملك السابق إلى الحكم فى **أفغانستان**، وليس له أى نوع من الميول إلى التعاون مع الثورة الإسلامية فى إيران، ونظرته إليها فيها شئ من الشك وعدم الرضا، وعلاقته بها تقترب من العداوة والكراهية بدلا من الصداقة والمحبة، وهو لا يرضى بالحل الوسط لمثل هذه العلاقات بين الثورتين الإسلاميتين فى البلدين الشقيقين، لعل سبب ذلك يرجع إلى المذهبين.. السنى الحنفى والشيعى الإمامى، ويمكن أن يكون سببه يرجع إلى كون

ثورة **أفغانستان** إسلامية الاتجاه سلفيته، وثورة إيران الإسلامية شيعية الاتجاه إماميته، وبينهما من المدى فى التباين والتباعد ما بين السماء والأرض. والأستاذ سياف لا يوافق على اقتسام الرصيد الحضارى الإسلامى فى **أفغانستان** بين القوتين الأعظم. وهو لا يؤمن إلا بالسياحة الإسلامية العملية فى هذا الشأن عملا بقوله **صلى الله عليه وسلم:** " سياحة أمتى الجهاد " وهو لا يؤمن إلا بهذا المبدأ: الإيمان بالله، والرضا بالقضاء، والصبر على البلاء، والجهاد فى سبيل الله. إن رجال سياف من الأفغان فى حاجة إلى الجهاد.

الميت الحى يفضل السجن على المنصب الوزارى:

سياف يفضل السجن على المنصب الوزارى فى الحكومة الشيوعية العميلة فى كابل، فقد عرض عليه ابن خالته الرئيس حفيظ الله أمين منصبا وزاريا مرموقا، واقترح عليه وهو فى السجن أن يوافق على تعيينه وزيرا للإعلام فى الحكومة الشيوعية التى كان يرأسها بشرط أن يتنازل عن أفكاره الإسلامية فى الدعوة إلى الجهاد لقيام حكومة إسلامية فى **أفغانستان**، وقد رفض هذا العرض رفضا قاطعا، وشجعته فى ذلك أمه التى بعثت إليه فى السجن رسالة تطلب إليه بألا يقبل التعاون والعمل مع ابن أختها أمين مهما كانت العواقب والنتائج. لم يقبل التنازل عما يدعو إليه فى مقابل توليه الوزارة، وفضل البقاء فى السجن، والتهديد بالإعدام إلى أن قضى الله أمرا كان مفعولا، فأفرج عنه عن طريق الخطأ حيث نشر اسمه تحت رقم ٣٦ فى قائمة المسجونين الذين نفذ فيهم حكم الإعدام الجماعى، بينما كان حيا فى السجن يرزق، ويدعو المسجونين من زملائه إلى الصمود والصبر

وتحمل المشاق إيمانا بالمبدأ وتضحية وفداء فى سبيل الدفاع عن هذا المبدأ الذى من أجله ألقى بهم فى السجن الذى يعيشون فيه معذبين مهددين بالموت.. ولما علمت روسيا بخروج هذا الميت حيا من السجن هاجمت بيته فى بغمان بإثنتى عشرة دبابة، ولكن الميت كان فى طريقه إلى المقاومة و لم تتمكن الدبابات من إلقاء القبض عليه أو قتله داخل بيته، وبدأ الحى الميت يقود الجهاد ضد الشيوعية من هناك. وأعلن كارمل ١٥ مليون روبية مكافأة لمن يأتى سياف الميت الحى حيا أو ميتا.. ﴿**قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا**﴾.

تفجر مواهب سياف فى مواجهة السيوف:

هذا الزعيم الميت الحى الذى كان ميتا فى أوراق وزارة الداخلية الأفغانية، حيا فى أوراق العالم الواقع، والذى يتمتع بشخصية ثورية فى شئ من التعقيد والغموض، وفى شئ أكثر من الصلابة والشدة يدعو كغيره من الزعماء الأفغان، ويصر إصرارا على مواجهة الأوضاع والأحداث الجارية فوق الأرض الأفغانية على الجهاد الطويل النفس وذلك لإنهاك العدو، واستنزاف طاقاته وإرغامه على التخلى عن العملاء الذين جاء لحمايتهم فى وطنهم الذى باعوه بثمن بخس، مناصب معدودة محدودة ستزول بزواله واختفائه وجلائه ورحيله عن هذا الوطن. وهذا الزعيم الميت الحى يسلك فى ذلك مسلك أولى العزم من الزعماء، ويؤمن بأن بقاء الأعداء فى ربوع **أفغانستان** الثائرة قصير، وقصير جدا. إن قرارات الميت الحى فى القضية الأفغانية، وأفكاره حيالها جدية تصدر عن روية، وعن تعقل متأن، وعن دراسة وافية، وعن فكر واع موزون بميزان مفكر يرشح أن يكون الفكر المدبر

لسياسة **أفغانستان** الإسلامية فى المستقبل القريب بإذن الله. هذا المفكر الميت الحى ذو مواهب عديدة.. ذو موهبة علمية واسعة، وذو خبرة حزبية طويلة، وذو تجربة فى العمل الإسلامى، ذو اطلاع واسع عميق فى السياسة العالمية، ذو إدراك حقيقى للأحداث الجارية فى البلاد الأفغانية، وفوق كل ذلك ذو موهبة خطابية عظيمة فى اللغات الثلاثة.. البشتونية الأفغانية، والدرية الأفغانية، واللغة العربية. فالأولى لغة قومه ووطنه، والثانية كذلك لغة قومه ووطنه، والثالثة لغة قومه المسلمين، ولغة القرآن الكريم والسنة المحمدية، فهو جامع للحسنات كلها فى هذا المجال.. الإسلامى القومى الوطنى العظيم، فهو أدرى لذلك بأحوال البلاد الإسلامية كلها، وأدرى بأحوال بلاده **أفغانستان** الثقافية والعلمية والأدبية والسياسية. وكان نجاته من الموت بأعجوبة مكسبا للأمة الإسلامية برمتها عربها وعجمها. إنه لخطيب عظيم ماهر، وكاتب جيد، إن خطبه تحيل الإنسان إلى كتله مشتعلة من الحماس الإسلامى، تساعده فى ذلك شخصيته المهيبة، وصوته الجهورى، وإلقاؤه السليم المؤثر، كل ذلك يسيطر على مشاعر الإنسان وعواطفه وأحاسيسه الداخلية، وينسى نفسه، ويعيش معه فى خطبه وأحاديثه بفكره وإحساسه، وكأنه يعيش معه فى ميدان الجهاد لا فى مجال الخطابة والكتابة والأحاديث، وخطبه فى مؤتمرات القمة الإسلامية غنية عن التعريف. وهو يرسم فيها صورة حقيقية معبرة للجهاد الأفغانى بطريقته الخطابية الخاصة من الثقة والاعتزاز بالنفس والعقيدة، وهو يدعو فيها إلى التضامن الإسلامى فى صور موحية مصورة له أحسن تصوير. نشرت له مقالات جيدة فى أسلوبها، وأفكارها، وأغراضها، ومعانيها. ومجلة " البنيان المرصوص " تقدم لنا كثيرا من تلك المقالات التى تعبر عن شخصيته وأفكاره

الإسلامية الأصيلة، وتوظيف الدين، والمشاعر الدينية لخدمة الجهاد فى بلاد الأفغان. وهو متأثر أشد التأثر فى مقالاته، وكتاباته، وخطبه بالكُتَّابِ المسلمين البارزين من أمثال حسن البنا، وسيد قطب وعمر التلمسانى، والمودودى رحمهم الله، وهو شديد التعلق بفلسفتهم الإسلامية، إن هذه الأفكار الإسلامية هى الوجود الحقيقى، والأساس المتين الخالد، والمنهج القوى القويم. وهو متعاطف معهم، ومع كل أفكارهم الدينية والسياسية كل التعاطف، ويسير على خطاهم سيرا دقيقا مع الإصرار الشديد، إنه ينظر إلى أفكار هؤلاء الكُتاب الإسلاميين على أنها أساس للوصول إلى أسمى الأدوار الفكرية فى العقل البشرى، والوعى الإسلامى أرقى ما وصلت إليه الأفكار الإنسانية.. ومعنى ذلك أن الزعيم الأفغانى سياف يقلد فى مذهبه الفكرى المفكرين الإسلاميين، وأنه يستوحى أفكاره الاجتماعية من عدد كبير من صفوة هؤلاء المفكرين المسلمين، بجانب كثير من الأحداث الجارية فى البلاد الإسلامية، وعلى رأسها **أفغانستان** الدامية، وهو لم يبتكر شيئا من هذه الأفكار الفسلفية ولكنه جسمها، وشخصها، ونادى بتطبيقها، وقدمها فى صور حية نابضة ممزوجة بالطابع الأفغانى الإسلامى، وملونة بالدماء الأفغانية التى تراق فى الجهاد الإسلامى فى **أفغانستان**، نظرا للظروف والتطورات الدموية التى يراها وهى تجرى على مسرح الأرض الأفغانية، إنه قد أضاف إلى تلك الأفكار ما يلائمها من التعديل والتغيير والتحوير والتلوين، وسياف لا ينسى فى كل تلك المشاهد ما تقطعه السيوف من رقاب الأفغان الأبرياء، وما تأكله السجون من أجسام الأفغان من الرجال والنساء. وهو لا يتحدث عن مشاعره وتجاربه الشخصية، ولا يتغنى بمفاخره وأمجاده القومية، بل يتحدث عن حرب

الجهاد، وما تجره على البلاد من مفاخر التضحية والفداء، ويعبر عن مفاخر الأمة الإسلامية، وما تحققه من الانتصارات، ويصور مشاعر القومية الإسلامية، وما خلفته من الأمجاد فى تاريخها العظيم.

إنه قد أدرك أهمية الصحافة المقروءة، والثقافة المكتوبة، والمعرفة المتنوعة فى المعارك السياسية والحربية، ومن هنا نراه وقد جعل ذلك جزءا أساسيا من الجهاد بالقلم والفكر، ذلك لأن تأثير الصحافة والثقافة أكثر رسوخا، وأكثر بقاء من الجهاد بالبندقية والرصاصة، ومسؤلياتهما أكبر بكثير من المسؤليات الأخرى، وبخاصة أنه لا يملك من وسائل التبليغ والإعلام المرئية والمسموعة، ومن هنا كان عليه أن يهتم بالصحافة بإصدار مجلة " البنيان المرصوص " وبالثقافة بتأسيس عدد من الكليات فى الجامعة التى أسسها لتثقيف أبناء المجاهدين بالمعرفة والعلم، وذلك بالإضافة إلى اهتمامه البالغ بالتدريب العسكرى إدراكا منه أن هذه الجوانب الثلاثة عناصر إيجابية مؤثرة تنشر الفضائل، وترسخ القيم وتعمق الانتماءات الإسلامية بين الشعوب الإسلامية، وتسلح الأفراد، وتفضح دسائس الأعداء، وجرائمهم البشعة. إن الصحافة والثقافة جامعة تلتقى فى ساحتها كل الأعمال الجهادية، وتتفاعل فيها كل النظريات والآراء، لذلك كان النهوض بهما، والقيام برعايتهما، والإحساس بأهميتهما جزءا من إحساسه بالمسؤلية العامة. وقد استطاع سياف بذلك أن يختصر المسافات الزمنية التى كانت تفصله عن غيره فى هذا المضمار فى زمن قياسى نسبة إلى عمر تنظيمه، حيث بدأ من الصفر ومنه انطلق يبنى مجده الجهادى فى الصحافة والثقافة والعسكرية وفى المعرفة العامة، قام ببناء ذلك لبنة لبنة، وتحطمت على صخرة إرادته القوية كل المحاولات التى استهدفت كيانه المتماسك

بالدس والافتراء، وبالكيد والتآمر. وكان النصر حليفه فى ميادين الجهاد، والثقافة والصحافة، وفى مجالات الدعوة إلى الحق والعدل والجهاد، وفى تحقيق مزيد من التضامن والتكامل والتماسك. وهذا من أبرز مميزات الجهاد الإسلامى عنده فى " الاتحاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان** ". ويتم ذلك فى جو من الإخلاص والإخاء والصفاء وحسن النية. إن هذه المعانى والقيم الإسلامية فى صحافة سياف، وفى مؤسسته الثقافية وفى مدرسته العسكرية تجمع بين عمق الجهاد، وبين الرؤية الإسلامية الأفغانية الصحيحة للإعلام الإسلامى، والمعرفة الحقيقية المبنية على المبادئ الإسلامية والنظريات العسكرية السليمة المستنبطة من الحياة العسكرية والجهادية لحياة **الرسول صلى ا لله عليه وسلم**، ومن حياة صحابته فى الفتوحات الإسلامية، وهو يقدر المواقف كلها. يقدر الموقف العسكرى بدقة قبل الإقدام على زج رجاله فى المعارك، ويقدر الموقف فى مجال الصحافة قبل تقديم المواد الصحفية إلى المطبعة، وكان قد قدر الموقف قبل إقدامه على بناء الجامعة وكلياتها، وقبل افتتاح معسكرات التدريب العسكرى استعدادا لخوض المعارك الجهادية فوق الأرض الأفغانية.

إلى ماذا يهدف سياف:

إن الزعيم عبد رب الرسول سياف من أسرة فقيرة ولكنها شريفة، فهو شريف النفس، كريم الطباع، جميل السجايا، عزيز الشيم، وقد أجمع أصحابه وأعداؤه، مؤيدوه وخصومه على السواء على أنه شديد الرغبة فى تطبيق الشريعة الإسلامية وفى الدعوة إلى تطبيق أحكام الإسلام، كما أنه شديد الغيرة على كل ما هو

إسلامى. بنى نفسه بنفسه، وبدأ من الصفر، وهو يستحق بذلك التقدير، بل يستحق أن يوضع فى مكانة فوق مجرد التقدير، صنع االاتحاد الإسلامى للثورة الإسلامية، وقام بتنظيم الثورة للاتحاد، وهومن بناة الثورة والاتحاد الإسلاميين، وبدأ فى ذلك من الصفر أيضا. وسيأتى قريبا أو بعيدا ذلك اليوم الذى تتجلى فيه حقيقة شخصيته، وشخصيات هؤلاء الزعماء الذين قاموا ببناء الثورة الإسلامية فى البلاد الأفغانية ﴿**إنهم فتية آمنوا بربهم**﴾ حتى حققوا هذا الانتصار لهذا الدين الإسلامى فى هذا البلد الأفغانى.. إلى ماذا يهدف هؤلاء الفتية المؤمنون، ومنهم سياف ؟!

إن نظرة موضوعية فاحصة إلى خلفية سياف الإسلامية تعطينا صورة دقيقة شاملة لما يهدف إليه سياف الفولاذى الإرادة، ففى تصورى وهذا ما أستشفه من خطبه وأحاديثه ومقالاته أنه يرمى إلى ما يرمى إليه غيره من الزعماء الأفغان الذين يناضلون ويقاتلون ويجاهدون فى جبهات مختلفة لتحقيق هدف واحد، وهوتحرير **أفغانستان**، ثم تقرير المصير تلبية لرغبة الشعب الأفغانى المسلم، وإقامة حكم إسلامى برضاه وبرغبته الإسلامية الأكيدة. فقد أتاحت لى الظروف أثناء قيامى بدراسة بعض جوانب شخصيته الصلبة أن أعرف ميوله الإسلامية، كان من الممكن أن تكون حاسمة فى هذا الجانب لولا قسوة الظروف، ومرارة الواقع، وشدة الأهوال والأحوال التى تعرض له فى حياته النضالية، إنه مع قسوة تلك الظروف والأهوال ومرارة الواقع العملى يرمى ويهدف إلى إقامة نظام إسلامى شامل أساسه الشورى، ومصدره الشريعة الإسلامية. فالشورى التى تنبع من المنابع الإسلامية هى المرجع النهائى الأعلى لكافة القرارات، وهى المسئولة عن سياسة الدولة فى جميع

المجالات، وهى المصدر الأول الوحيد لوضع القوانين واللوائح وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية. وسياف يحرص حرصا كاملا على نشر الثقافة والمعرفة الإسلامية الواعية مع الاستفادة من تكنولوجيا العصر، وتحديث المؤسسات مع التقيد الصارم بالمبادئ والقيم الإسلامية، وإضفاء الصبغة الإسلامية على المؤسسات العامة والخاصة، وعند اللزوم يجب تنفيذ ذلك بالقوة، وإراقة الدماء وإزهاق الأرواح، وتصفية الأجواء، وإزالة العقبات والصعوبات. وهو لا ينظر إلى المجتمع الإسلامى الأفغانى إلا من المنظور الإسلامى فى الحقوق والواجبات والعدالة الاجتماعية والمساواة تحت الرقابة الإسلامية الجادة. يطالب بتسيير أمور الدولة.. الإدارية، والاقتصادية، والقضائية، والعسكرية بالطرق والأساليب الإسلامية، والاستفادة فى ذلك من الأساليب الحديثة مقيدة بقيود نظام الأحكام الإسلامية. يدعو سياف إلى العمل الجاد لخدمة الإسلام فكريا وعلميا وعمليا، والأخذ بالمسلمين الأفغان نحو التقدم التكنولوجى والحضارى، وتأصيل المثل والقيم الإسلامية فى الحياة، وإثراء الفكر الأفغانى بالفكر الإسلامى الأصيل، لأن الفكر الإسلامى هو العاصم الوحيد من الغرق، وهو وحده أمل العالم، وأمل الإنسانية فى حضارة رحيمة سمحة تعيش تحت جناحيها الرحيمتين البشرية المعذبة بجرائم الحضارة الغربية الحديثة، وفى تطبيق الشريعة الإسلامية خلاصها الأكيد بالإضافة إلى ما فيها من حلول جذرية لكل مشاكل القبائل الأفغانية التى تعتبر الإسلام هو الانعكاس الصادق لآمالها الإسلامية. إنه يدعو إلى الاقتداء الصادق الكامل بالمثل العليا والقيم الإسلامية التى سمت وارتفعت على كل المثل والقيم والعبقريات الأخرى، والتى كانت وما زالت المنارة المتلألئة فى آفاق الظلام، وفى دروب جاهلية العصر الحديث. إنه يدعو إلى

الربانية الإلهية، وإلى عالمية الشريعة الإسلامية فى كل أحكامها ومبادئها السامية، ويدعو إلى الشمولية الإسلامية فى كل جانب من جوانب الحياة.. فى العقائد والعبادات والأخلاق، وفى الإدارة والقوانين، وفى النظم الاجتماعية الإسلامية التى يتجدد عطاؤها، وتفى بحاجات الزمن المتطور، وتواكب حضارات العصور المتجددة فى أحكام المعاملات والمسائل الدستورية والنظم الاقتصادية، وفى العلاقات الدولية. يدعو بشدة إلى تمسك الأفراد والجماعات والحكومات بالأخلاق الإسلامية، وتطبيق السلوك الإسلامى فى المنازل والمدارس، وفى المصانع والمتاجر، وفى الدوائر الحكومية.. يدعو صادقا إلى الاهتمام البالغ بالعلم والمعرفة لأن العلم أساس كل أنواع التقدم، والعلم يشمل كل أنواع المعرفة التى تتصل بكل ما يفيد الناس فى الدين والدنيا، وفى المعاش والمعاد، وفى الأجساد والأرواح، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم.

الانتقادات الموجهة إليه:

إنه مَثل المقاومة الأفغانية الجهادية فى كثير من المحافل والمؤتمرات الدولية الإسلامية، كان آخر تلك المؤتمرات مؤتمر قمة الكويت الإسلامى الذى انعقد فى عام ١٩٨٧م (١٤٠٧هـ)، اشتركت فيه المقاومة الأفغانية كمراقب، ومثلها سياف وتحدث إلى المؤتمرين بحديث يغلب عليه لون الخطابة الدينية، وليس فيه ما يشتهر به سياف من الأفكار السياسية الناضجة. وقد قوى مركزه السياسى فى العالم الإسلامى منذ حديثه السياسى المؤثر فى قمة الطائف سنة ١٩٨١م (١٤٠١هـ)، واعتبر من ذلك التاريخ الممثل الرسمى للمقاومة الأفغانية الإسلامية. ومن ثم بدأت

الخصومة التقليدية بين رؤساء التنظيمات الأفغانية، ومن هنا بدأت مناوشة توجيه التهم إليه للحط من منزلته فى الدول الإسلامية، ومن حط قدر زملائه العاملين معه فى الاتحاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان**، ومن أخطر تلك التهم والانتقادات:

أولا: قد قام خصومه باستغلال صلة القرابة بينه وبين الرئيس الأسبق حفيظ الله أمين الذى قتله الروس فى ديسمبر ١٩٧٩م (صفر ١٤٠٠هـ)، وهو ابن خالة سياف فى تشويه صورته السياسية، فقد اعتبروها السبب الحقيقى لبقائه حيا، ثم سبب تمكنه من الهرب، ونجاته من الموت، ثم انضمامه بعد ذلك إلى المقاومة الأفغانية الإسلامية. ويلاحظ أنه أطلق سراحه عن طريق الخطأ أيام بيرك كارمل بعد الاحتلال الروسى لأفغانستان، وبعد قتل أمين وزوجاته الأربع، وجميع أفراد أسرته، وكان سياف يعيش فى السجن أيام حكم ابن خالته أمين.

ثانيا: يتهمه خصومه بسرقة الأموال العامة الخاصة بالجهاد الأفغانى، وتحويلها إلى حساب اتحاده الإسلامى الذى هو رئيسه وذلك لتقوية مركزه المالى والاقتصادى ويتهمونه بأنه يستغل الاتحاد لمصلحة حزبه الخاص، وبقتل الجهاد فى سبيل إحياء وتقوية الحزب الذى يرأسه، وقد سلط خصومه ألسنتهم وسيوفهم على سياف، ونالوا منه بالاتهامات كل ما يمكن أن ينالوه منه، ولكن الرجل صمد وواصل الجهاد لتحرير **أفغانستان**. وواصل بعض خصومه هجومهم عليه فاتهموه بأنه خائن ومستبد وظالم.

ثالثا: يتهمه خصومه من غير الناطقين باللغة البشتونية بالميل إلى العرق البشتونى وتفضيله على الطوائف الأخرى من الأتاجكة والأزابكة والناطقين بغير

البشتونية. إنه اتهام جائر يستغله الإخوة غير الناطقين بالبشتونية ضد كل زعيم من العرق البشتونى. ويعتبرون الكتابة والخطابة وحتى التحدث بالبشتونية خروجا على الإسلام، رغم أنها لغة الأغلبية. وهو اتهام مبنى على الحقد والكراهية التى يكنونها للبشتون ذى الأغلبية فى البلاد.

رابعا: ولا تخلو سيرة كل زعيم من كثير من المآخذ والتناقضات، ومن متناقضات **سياف** أنه وهو الداعى إلى هذه الأفكار الإسلامية، وإلى الوحدة الاندماجية بين التنظيمات الأفغانية، بل هو الداعى إلى الوحدة بين الشعوب الإسلامية، رغم ذلك يبدو على سلوكه أحيانا أنه انفصالى إيثارى، كأنه يحاول إبعاد غيره عن الطريق ليخلو له الجو وحده، وبعض تصرفاته مع بعض أصدقائه تنبئ عن ذلك، وتدل على أنه حقود غير مقدر الظروف التى يعيش فيها الآخرون من معارفه وأصدقائه. هذه الخصلة من خصاله، أو هذه الصفة من صفاته تدل على جمود عاطفته نحو إخوانه، ورفاقه، كما تدل على أنانيته التى لا تليق بشأنه، وهى تنبئ عن ترفعه على الآخرين.

خامسا: يأخذ عليه خصومه من رفاق دربه أنه لا يملك غير الخطابة، وقوة الكتابة، وأنه فى تخوف مستمر من بعض إخوانه ورفاق دربه، ويشبهونه فى ذلك بخصمه الماكر الرفيق كارمل الذى لا يتمتع إلا بهذه الصفة الخطابية. وقد سمعت من أصدقائه فى جده أنه خواف، ومن خوفه يركع لبعض الزعماء الأفغان احتراما وحماية من الأذى. وهذا أحد الصفات السيئة فى أنصاره ومؤيديه حيث أنهم يتكلمون عن عيوبه قبل غيرهم، والإنسان إنسان لا يخلو أبدا من العيوب والحسنات.

سادسا: يوجه إليه خصومه تهمة الميل إلى العصبية الأسرية، والمحسوبية الإقليمية، يقولون إن حاشيته تتكون من أقاربه، ومن أهل منطقته بغمان، ويذكرون فى ذلك شقيقه الذى يتصرف فى شئون الاتحاد الإسلامى تصرفات الأمراء السابقين فى شئون **أفغانستان**. وهذه الأخطاء البسيطة فى بداية الأمر تتحول فى النهاية إلى أخطاء واسعة لها خطرها المدمر، تجعل منه حاكما مستبدا، وتجعل من أعضاء أسرته أمراء مستبدين، وهو أمر يخالف ما ينادى به، ويجاهد لأجل القضاء عليه. أعتقد أن هذا الأمر وغيره من الانتقادات الموجهة إليه قد ساعد خصومه فى أن يتهموه بالاستبداد والظلم والدكتاتورية والخيانة.

سابعا: خصومه من المعسكر التقليدى فى التنظيمات الأفغانية يتهمونه بالخروج على مذهب الإمام أبى حنيفة، واتباع مذهب الإمام محمد بن عبد الوهاب الذى يشتهر فى الدوائر الدينية فى **أفغانستان** بالوهابية، وبالإضافة إلى ذلك فإنهم يضيفون إلى التهمة السابقة تهمة أخرى لها خطرها فى تلك الدوائر التقليدية وهى ميل سياف إلى السلفية على حساب الحنفية. وهذه النزعة السلفية تشتهر الآن بين كثير من الشباب الأفغانى المثقف.

ثامنا: يوجه إليه خصومه انتقادا لأنه شن على الأزهر ورجاله حملة عنيفة، أثار بها - دون داع - ضجة كبيرة لأن شيخا موظفا بوزارة الأوقاف المصرية، ومن خريجى الأزهر قد قام بزيارة كابل بدعوة من الحكومة الشيوعية، وقدم المصحف الشريف هدية إلى الشيوعيين الملحدين الذين لا يؤمنون به ويعملون للقضاء على مبادئه، وهذه الزيارة لا تتصل بالأزهر من قريب أو بعيد، ولكن الأستاذ سياف وجه بسببها انتقادا عنيفا إلى الأزهر والأزهريين. وباستعراض ما يشنه سياف من

الهجوم العنيف على هذه الزيارة لتوضيح دور الأزهر فيها يتبين أنها كلها موجهة إلى الأزهر دون ما سبب، إلا إذا اعتبر الأستاذ سياف دراسة الشيخ عبد الرحمن النجار فى الأزهر ذنبا ارتكبه الأزهر، فيوجه إليه هذه السهام المسمومة بسبب ذلك. والكل يعلم أن هذا أمر لا يوافق عليه أحد. إن كثيرا من الشيوعيين الأفغان من أمثال سليمان لائق، وعبد الوهاب صافى وفيضان الحق فيضان وغيرهم قد درسوا فى كلية الشريعة بجامعة كابل التى درس فيها سياف، فهل له أن يوجه انتقاده إليها وإلى الذين تخرجوا فيها وهو أحدهم لأن عددا من الشيوعيين درسوا فيها؟ فكان ينبغى أن يوجه سهامه مباشرة إلى الشيخ عبد الرحمن النجار نفسه الذى زار كابل وقدم المصحف هدية للشيوعيين، أو إلى المؤسسة التى يعمل فيها إن ثبت أنها أوفدته إلى كابل رسميا ومثلها فى زيارته **لأفغانستان**، لا إلى الأزهر ورجاله، وهناك فرق بين توجيه الانتقاد إلى شيخ الأزهر، وإلى رجال الأزهر، وبين توجيهه إلى شيخ درس فى الأزهر وتخرج فيه ويعمل فى مجال آخر غير الأزهر. لعل فى الأمر أسبابا وأشياء أخرى، وقد نبه إلى بعضها أحد أنصاره المقربين الذين هم أول من يبحثون عن عيوب رئيس الاتحاد الإسلامى لتحرير **أفغانستان**.

ضجة دون داع يدعو إليها، ليس فى إمكانها الحط من مقام الأزهر ورجاله الصادقين، هذا الأزهر الذى ترمقه أعين المسلمين فى شتى أنحاء العالم بكل إكبار وتجلة، تصبو إليه قلوب المسلمين حبا وتقديرا، وتصبو إليه قلوب الشيوعيين لتشويه صورته، والحط من جلاله وهيبته العلمية، ضجة تتهم الأزهر بما ليس فيه، وتثير ضده هذه الحملة العنيفة بسبب زيارة شيخ أزهرى لكابل.

وهكذا تعرض الأستاذ سياف الذى حصل على جائزة الملك فيصل عام ١٩٨٥م (١٤٠٥هـ) للانتقادات من خصومه ومن مؤيديه بحق وبدون حق، وتزعم حركة الانتقاد الموجه إليه خصومه من المعسكر التقليدى فى المقاومة الجهادية الأفغانية، وممن ناصبوه العداء والكراهية والبغضاء الأستاذ محمد يونس خالص والشيخ محمدى والشيخ مجددى والشيخ جيلانى الذين قالوا: إن سياف خائن ومستبد وظالم، ولكن سياف صمد لكل هذه الألوان من العداء السافر، والحقد القاتل، والانتقادات المرة، وواصل جهاده ونضاله، وكان بعض النصر والتوفيق من نصيبه.

أزمة الوحدة بين التنظيمات الجهادية الأفغانية:

إن المهمة الإسلامية الصعبة تنادى بالوحدة، والمنهج الربانى الواحد يطالب بالوحدة، والولاء الإسلامى الشامل يدعو إلى الوحدة، والإيمان بالقرآن يصارح بالوحدة لإقامة حكم الله فى الأرض، وإخراج عباد الله من عبادة عباد الله، ومن جور الشيوعية إلى عدل الإسلام، مهمتكم الكبرى الملقاة على عاتقكم يا زعماء الأفغان تطالبكم بإصرار إلى الوحدة التنظيمية كوحدتكم فى الهدف والغاية ولا يتحقق ذلك إلا بالإيمان الراسخ، والإخلاص الصادق، والعزيمة المتينة، والتضحيات الغالية، والعمل الدائب لأجل الوحدة التى تنادى بها مبادئ الإسلام التى اتخذتموها منطلقا لمسيرتكم الجهادية لتحرير **أفغانستان** وأعلنتم لذلك الحرب المقدسة للأرض المقدسة التى تقذف بالنار فوق أعناق هؤلاء الجبابرة فى ربوع الأفغان، وتصنع ما

تصنع من المفاخر والأمجاد. فإذا كان هذا من شأنكم فى ظل أزمة الوحدة والفرقة القاتلة، فما بالكم لو اتحدتم ضد عدوكم المتربص بكم وبالمسلمين جميعا !؟

إن فراغ الزعامة والصراع الدائر لأجلها جعل للدين المنزلة الأولى فى لم شمل المقاومة الأفغانية الإسلامية، يتم استغلاله حتى من قبل العناصر الشيوعية التى لا تؤمن به. إن التضامن الإسلامى المشترك هى الأرضية الصلبة التى تحمى المقاومة الجهادية الأفغانية فى الوقت الحاضر فى صورتها الشكلية الظاهرية، ومن هنا يتبادر إلى الأذهان هذا السؤال ويفرض نفسه فى هذا المجال فرضا، والتساؤل هو: إلى متى سيقدم التضامن الإسلامى المشترك شكليا باعثا قويا واستمرارية دائمة للمقاومة الجهادية الأفغانية، وذلك على الرغم من أن الغالبية العظمى من السكان ٩٩,٩٪ تشكل الهوية الإسلامية للشعب الأفغانى، و١٠٠٪ تشكل الهوية الإسلامية النقية للمقاومة الأفغانية. فبالقلوب الذكية، وبالأفئدة النقية، وبالمشاعر القوية، وبالإرادات الفتية، وبالتضحيات الكبيرة، وبالتنازلات عن الأنانيات الشخصية يمكن بل يجب القضاء على التفرقة والانفصالية. إن دماء الشهداء الأفغان عطر المسلمين، فيجب أن تكون تضحيات الزعامة الإيثارية الأفغانية عطر الوحدة الإسلامية، وسهام أعداء هذه الوحدة.

وقد قام عدد من الشخصيات الإسلامية ببذل مساع حميدة، وجهود إسلامية مخلصة لتحقيق توحيد فصائل الجهاد الأفغانى، وتوجيه رؤسائها على أساس من الحماس الإسلامى، والنقاء الدينى، والتمسك المذهبى، حيث أظهرت التجارب الواقعية الميدانية أن المذهب السنى الحنفى يوحد بين الأفغان، وهو عميق فى نفوسهم، وقد تمت محاولات كثيرة للاستفادة من هذ النقطة واستغلالها لتوحيد

المقاومة الجهادية الأفغانية إلا أنه كلما وصلت تلك المحاولات إلى اتفاق لتوحيد التنظيمات كلما نقض الاتفاق الوحدوى قبل أن يجف حبره على وثيقة الاتفاق، الأمر الذى يدل دلالة قاطعة على أن الجهاد الإسلامى فى **أفغانستان** فى الطريق إلى الأغراض الشخصية طمعا فى الزعامة بسبب فكرة التحزب والتفكك العرقى والإقليمى التى تسيطر على التنظيمات الأفغانية الجهادية، وهذه الفكرة وإن كانت قديمة تسيطر على المجتمع الأفغانى منذ القدم، إلا أنه يجب القضاء عليها لمصلحة الجهاد الإسلامى العليا، إذ أن القتال إن لم يكن للدفاع عن الأيديولوجية الإسلامية الخالصة النقية لم يكن جهادا إسلاميا خالصا لله، ومن قاتل وناضل فى سبيل الدفاع عن الأيديولوجيات القومية أو الوطنية كما هو الحال فى فلسطين مثلا، أو قاتل لأجل الحصول على الشهرة، وإظهار الشجاعة، وإبراز القوة، واصطياد مال الغنيمة، فهو يقاتل فى سبيل آخر لا ينتمى إلى أيديولوجية الإسلام فى شئ.

وكانت الظروف مهيأة للتوحيد إذ حدثت تحركات درامية كرد فعل للغزو الروس مهدت الطريق للوحدة بين المجاهدين، منها انعقاد المؤتمر الإسلامى الذى تم انعقاده فى باكستان لمناقشة القضية الأفغانية، وآثار الغزو الروسى **لأفغانستان**، وقد اشترطت الحكومة الباكستانية لاشتراك المجاهدين فى هذا المؤتمر الإسلامى ضرورة اتخاذ قرار للتعاون الوحدوى بين كافة فئاتهم وجماعاتهم المتصارعة، وتحت هذا الضغط الباكستانى والإسلامى بدأت اللقاءات بين رؤساء وزعماء التنظيمات الأفغانية للاتفاق على اتحاد بين الفصائل الجهادية الأفغانية المحاربة. وقد سيطر التنافس البغيض للحصول على تميز خاص فى الاتحاد كشرط مسبق للموافقة عليه، وأول من بادر إلى ذلك هو المهندس كُلْبُدِين حكمتيار، حيث يدعى أن حزبه أكثر

فعالية، وأحسن تنظيما، وأشد قوة، وأكثر عددا وعدة. وبعد مداولات ومناقشات مميتة، وفى صورة مكروهة من الفئوية والحزبية تم الاتفاق المبدئى على مشروع الاتحاد، ومع هذا فقد أبدى الأخ حكمتيار رغبته فى الاحتفاظ بحزبه الإسلامى مستقلا، وذلك بعد عودته من زيارة طهران. واتفق الآخرون على الاتحاد برئاسة سياف، ولكنه لم يدم طويلا، وذلك على الرغم من انتشار الأيديولوجية الإسلامية، وإدعاء الجميع التمسك بها والدعوة إليها، وانتهى الاتحاد بتأسيس حزب جديد بقيادة سياف، ثم كان هناك اتحاد رباعى ثورى بين سياف وربانى وحكمتيار وخالص الذين يمثلون الجانب الثورى فى الجهاد الأفغانى، إلى جانب اتحاد آخر ثلاثى تقليدى بين كل من الشيوخ التقليديين محمدى ومجددى وجيلانى. وقد انتهى كل من الاتحادين الثورى والتقليدى إلى الفشل الذريع. ويلاحظ أن فكر الانسجام الوحدوى بين المعسكر التقليدى لا يزال مستمرا، بينما يسيطر على المعسكر الثورى الميل إلى العمل المستقل.

المقاومة الأفغانية والحركات الإسلامية الإقليمية:

نترك الآن مؤقتا التنظيمات الأفغانية الجهادية لتواصل ضجيجها، واضطرابها وتموجها كأمواج البحر المتلاطم داخل الكيان الأفغانى وتنظيماته السياسية والجهادية وقيادته القتالية، وذلك لنتفرغ قليلا لإلقاء النظرة السريعة على المستجدات التى حدثت من حولها فى المنطقة وفى العالم الإسلامى من الحركات، وتأثير الحركة الإسلامية الأفغانية وما أثارته من التفاعلات والانفعالات فى القضايا الجهادية، وفى أمور السياسة الإسلامية، وإذا كان هناك تأثير أو تأثر متبادل، وهو

أمر طبيعى فى مثل هـذه الأحوال.. إن الحركات وبخاصة الإسلامية منها تؤثر بعضها فى بعض، وتتخذها قدوة لها فى الشجاعة والإقدام، أو فى المنهج والتخطيط. وقد أعطت الحركة الإسلامية فى **أفغانستان** نماذج من الشجاعة، فهى لا تخشى جبارا من جبابرة هذا العصر، ولا تخاف طاغوتا من الطواغيت المستبدة فى الأرض، ولا تهاب عدوا فتاكا من ألد أعداء الحركات الإسلامية فى عالم اليوم. وهى تستحق بجدارة أن تكون قدوة للحركات الإسلامية، بل لجميع الحركات التحررية فى العالم، وهى التى أحيت كثيرا من الحركات، وجددت كثيرا من النشاطات لكثير من الحركات فى كثير من أنحاء هذا العالم.

تجدد نشاط الجماعة الإسلامية فى باكستان:

الجماعة الإسلامية فى باكستان من الحركات القديمة فى القارة الهندية ولها ثقلها التاريخى الإسلامى، وقد تجدد نشاطها الإسلامى فى باكستان متزامنا مع الحركة القتالية فى **أفغانستان**. فالحركة الإسلامية بقيادة الجماعة الإسلامية الباكستانية قد قامت بتضييق النطاق والخناق على دكتاتور باكستان الراحل ذو الفقار على بوتو، وأرغمت الحكومة الباكستانية على تقديمه إلى المحاكمة بسبب جرائمه البشعة التى ارتكبها بتزوير الانتخابات النيابية، والقيام بالاغتيالات السياسية، والتصفيات الجسدية لعناصر المعارضة الباكستانية بغرض التمهيد لتطبيق سياسته الماوية، وتنفيذ حكم الإعدام فيه وفقا للقوانين الإسلامية فى باكستان، إن هذه الحركة الناجحة كانت موازية ومتزامنة لنشاط الحركة الإسلامية فى **أفغانستان**. ومما لا شك فيه أن الحركة الإسلامية الأفغانية لها تأثيرها الكبير فى

تحريك المشاعر الإسلامية فى الشعوب الباكستانية ضد الأنشطة الشيوعية والقومية والإقليمية فى باكستان، والجماعات الإسلامية الأفغانية حاولت كثيرا لفت نظر دكتاتور باكستان الراحل إلى الأخطار التى تنطوى عليها الشيوعية الماوية، ولكنه لم يحاول أن يفهم ذلك أو أن يتنبه إلى ذلك. ورغم نجاح الجماعة الإسلامية فى حركتها السابقة فإن موقفها من الاحتلال الروسى لأ**فغانستان** موقف بقية الحركات الإسلامية فى العالم الإسلامى، إلا أنه يتميز بشئ كبير من الحزم والجزم، وبشئ كبير من الجدية والتعاطف فى النظر إلى القضية الأفغانية التى تعتبر فى نظر كثير من المحللين القضية الأولى للمسلمين، وهى القضية الأولى دون شك بالنسبة للدول الإسلامية المحيطة بالبلاد الأفغانية، لأن **أفغانستان** هى الخط الدفاعى الأول لهذه الدول، فإذا كانت روسيا قد قفزت اليوم على **أفغانستان** فإنها فى طريقها إليها غدا، والغد لناظره قريب، ومن هذا المنظور اتخذت الجماعة الإسلامية فى باكستان موقفا متعاطفا مع القضية الأفغانية وبخاصة مع المهاجرين الأفغان، أضف إلى ذلك التأثير الإسلامى العارم الذى تركته الحركة الإسلامية الأفغانية على مستوى الشعب كله داخل باكستان. ورغم ذلك فإنه لا يمثل ثورة إسلامية عارمة جياشة تقف فى وجه الطغيان الروسى الذى اجتاح **أفغانستان**، ويهدد باكستان، ويهدف إلى تحطيم المقاومة الأفغانية الجهادية القائمة على الإسلام، والمبنية على مبادئه، السائرة على الأيديولوجية الإسلامية المشتركة بين الحركات الإسلامية فى العالم كله، فهو لا يمثل ذلك بقدر ما يمثل المصالح الإسلامية الإقليمية الخاصة بالبيئة الباكستانية وحمايتها، وهى كامنة فى الابتعاد الحذر عن الاحتكاك بروسيا الشيوعية. وبخاصة إذا أضفنا إلى ذلك الخطر الشيوعى العميل داخل باكستان

نفسها. وعلى ذلك فهو موقف دفاعى لا يوصف بالاتجاه المتصلب إزاء روسيا الشيوعية التى تحتل **أفغانستان** الجارة المسلمة لباكستان المسلمة، وانتصار الجماعة الإسلامية الباكستانية على ذو الفقار على بوتو المتزامن للجهاد الأفغانى، ثم انتصارها فى تطبيق بعض أحكام الشريعة الإسلامية التى طالبت بها ونفذتها الحكومة الباكستانية المتزامن أيضا للحركة الإسلامية الأفغانية، كل ذلك لم يخوف روسيا الشيوعية نظرا للتفاوت الكبير بين الحركتين الإسلاميتين، وبين الموقفين لكل واحدة منهما.. الجماعة الإسلامية تدعو إلى تطبيق حدود الشريعة الإسلامية فى باكستان وقد قام الرئيس الباكستانى ضياء الحق بتطبيق كثير من تلك الأحكام، والأحزاب الإسلامية الباكستانية تسير مع الأحزاب السياسية الأخرى فى مطالبها السياسية والاجتماعية. بينما تطالب الجماعات الإسلامية الأفغانية بتطبيق النظام الإسلامى فى **أفغانستان**، وتدعو إلى إضفاء اللون الإسلامى الأصيل إلى الحياة الأفغانية.. السياسية والاجتماعية والاقتصادية الفردية والجماعية. والحركات الإسلامية الأفغانية، أو أغلبها لا تسمح للأحزاب السياسية الأخرى غير الإسلامية بمزاولة نشاطها السياسى لا من خلال القنوات الإسلامية، ولا من خلال الأحزاب والشخصيات المستقلة، وكل من حاولوا ذلك إما لقى مصرعه من خلال عمليات الاغتيال السياسى، أو ترك المنطقة وغادرها إلى الدول الأخرى للنجاة بحياته.. وموقف الجماعة الإسلامية الباكستانية فى النظر إلى القضية الأفغانية ليس ببعيد عن موقف الحكومة الباكستانية، فالموقفان أساسهما المصالح الإسلامية والقومية المحلية الداخلية أولا وقبل كل شئ، ثم النظر إلى القضية الأفغانية، ولهما عذرهما فى ذلك.. إن الأفغان يفضلون أن يعانوا الفقر والبؤس بل يفضلون أن يعانوا من شقاء

حياة غير آمنة، ولكنهم لا يقبلون ولا يرضون أبدا بالحكم الأجنبى، وهـذه حقيقـة أبرزتها المعارك الجهادية التى يخوضها الشعب الأفغانى منـذ الغـزو الروسى لبـلاده دفاعا عن الاستقلالية الأبديـة، وحفاظـا علـى العقيـدة الإسـلامية، ويستمد قوتـه الأدبية والمعنوية فى ذلك من تأييد الشعوب الإسـلامية فـى العـالم أكـثر مـن تـأييد الحركـات الإسـلامية المكبـل بقيـود الأهـداف السياسـية لبلادهـا. وبالمقـابل فـإن الشيوعيين يستمدون قوتهم من الشـعوب بإثـارة المشـاعر القوميـة والوطنيـة لتلـك الشعوب، ويركزون على كبت الإسلام والإسـلاميين بـالحملات المطعمـة بـالطلاء القومى والوطنى المزيف، وهذا هو الذى يحدث الآن فى باكستان التى تأوى إليهـا المقاومة الجهادية وتتخذ منها منطلقا لنضالها الإسـلامى داخـل **أفغانسـتان** للقضـاء على الطغيان الشيوعى الموالى للروس الذى حاول جاهدا الحيلولة دون ثورة الفكـر الإسلامى على أفكار الشيوعيين الموالية للروس، وهذه الثورة للفكر الإسلامى قـوة دافعة للقيادة الإسلامية، والزعامة الدينيـة للمقاومـة الأفغانيـة. وليـس معنـى ذلـك بأننى أشك فى تأثير تجـدد نشـاط الجماعـة الإسـلامية فـى باكسـتان علـى الجهـاد الأفغانى، إن هذا التأثير كان عظيما فى تشجيع الحركة الإسلامية فـى **أفغانسـتان**، وبخاصة فى الجماعات الجهادية التى تقوم بنشاطها السياسى فى إقليم بشاور.. فقد غير نشاط الجماعة الإسلامية الجديد وميل الحكومة الباكستانية إلى تطبيق الشـريعة الإسلامية، الطابع العام للحركات الإسلامية فى كل مـن **أفغانسـتان** وإيـران وفـى باكستان نفسها، ذلك الطابع العام الإسلامى المشترك الـذى ظـل ينمـو فـى القـارة الهندية الباكستانية منذ قرون بعد أن قام الأفغان بنشر الإسلام هناك حتى وصل إلى دلهى وكلكتا وداكا وإلى غيرها من المدن والأقاليم الهندية.

ثم بدأ كل من التيارين الإسلاميين المتوازيين الأفغانى المتجدد، والباكستانى الجديد يعانق أحدهما الآخر فى جو من الأخوة الإسلامية مع ملاحظة الفارق الكبير بين التيارين فى المنهج والهدف، وأخذا يسيران سيرا حثيثا جنبا إلى جنب فى اتجاهات موازية مع الاتجاهات والتيارات الإسلامية العالمية فى كل من البلاد العربية وإيران وتركيا وإريتريا والفلبين وإندونسيا وفى غيرها من البلاد التى تفور بالحركات الإسلامية التى لم توفق حتى الآن فى تحقيق مآربها وأهدافها باستثناء الثورة الإسلامية فى إيران التى وفقها الله فى الإطاحة بالشاه، وطرده من العرش إلى الأبد.

الثورة الإيرانية:

نجحت الثورة الأيديولوجية الإسلامية فى إيران، وكان لها تأثيرها فى تنشيط الحركات الإسلامية الإقليمية، وقد هيئت بعض الظروف التشجيعية للحركة الإسلامية الأفغانية فى ذرى "هندوكش" وبخاصة للعناصر الشيعية الأفغانية التى هبت صامدة فى وجه الغزاة الروس، مؤكدة بذلك ذاتها فى ساحة القتال والجهاد، وأثبتت أن المعركة الإسلامية فى **أفغانستان** كل لا تتجزأ، وهى مسؤلية الجميع. وبالإضافة إلى ذلك فإن ثورة إيران كالحركات الأفغانية قد أثارت دون شك مخاوف روسيا من تأثيرها على مستعمراتها الإسلامية، ومن هنا قامت بإثارة بعض المشاكل القومية والإقليمية داخل وخارج كل من **أفغانستان** وإيران لإزعاج النظام الإسلامى فى إيران، ولإزعاج الحركة الإسلامية فى **أفغانستان**، وتفكيك البلدين الإسلاميين إلى دويلات ومناطق متفككة ليسهل بلعها وهضمها فى المستقبل،

وزعت **أفغانستان** تحت أسماء وبرامج عرقية ولغوية بغرض الاستقلال الإقليمى والثقافى لكل إقليم من الأقاليم الأفغانية للقضاء على القومية الإسلامية، وذلك لاستغلال تلك الانقسامات العرقية والقومية وغيرها من أسباب التمزق الكامنة فى كل من **أفغانستان** وإيران، ليس فقط للإبقاء والمحافظة على مركزها فى **أفغانستان** فحسب بل فى كل من إيران وباكستان مستقبلا، والثورة الأفغانية الإسلامية تدرك ذلك كما تدركه الثورة الإيرانية. كما أثارت روسيا الماركسية مشاكل فى إيران وفى المنطقة المحيطة بها، فقد حاولت الماركسية استثمار الثورة الإيرانية بالتصفيق والتأييد المزيف محاولة إظهارها لحسابها الخاص وكأنها ثورة ماركسية قام بها رجال الدين بمساندة الماركسية، ولتحقيق ذلك أشاعوا وأذاعوا أن حزب " توده " الشيوعى فى إيران وراء الثورة الإيرانية، وأن الإسلاميين ليسوا إلا مجرد واجهة لإخضاع الشعب الإيرانى سيختفون عن قريب، وأن الإنجازات الثورية إنجازاتهم، والثورة ثورتهم ولا شأن فى ذلك لرجال الدين الإيرانيين، ولكن الثورة الإيرانية كانت أقوى من أن يقوم حزب توده والروس والأمريكان بزعزتها عن عزمها الإسلامى، وكان الإجراء الحازم الجازم الذى اتخذته الثورة الإيرانية نحو الحزب العميل " توده " الماركسى مناسبا لمواقف الشيوعية، والامبريالية الإباحية، حيث تمكنت من صد تلك التهديدات الخطيرة التى نشأت عن ذلك، ولحق بها الفشل، وواصلت الثورة الإيرانية سيرها و لم تتمكن الماركسية من تحويلها إلى جانبها. والثورة الإيرانية تحاول محاولات جادة وتدعو إلى ظهور المظهر الدينى فى الحياة العامة بإظهار التعاطف الإسلامى مع الحركات الإسلامية، وذلك باللجوء إلى استغلال الإسلام، والدعوة الهادفة إلى إقامة الشرعية الدينية، والهوية المتميزة،

والعزة النفسية، والكرامة الإنسانية لمختلف المجتمعات الإسلامية بدافع من الدين الإسلامى، وفى شكل ثورة بركانية قوية، تحاول تحقيق كل ذلك فى داخل الحدود الإيرانية، وفى العالم الإسلامى كله، ونصيب **أفغانستان** فى ذلك ليس بكثير.

الثورة الأفغانية ومسؤلية الحركتين الباكستانية والإيرانية:

على الثورتين الإسلاميتين فى كل من **أفغانستان** وإيران، وعلى الشعبين المسلمين الباكستانى والإيرانى الممتزجين بالشعب الأفغانى عرقيا ودينيا مسؤليات كبرى فى تقديم كل عون ممكن للجهاد الأفغانى، وذلك من المنظور الإسلامى أولا، ثم من منظور الدفاع الإقليمى ثانيا، ذلك لأن **أفغانستان** تشكل خط الدفاع الأول لكل من باكستان وإيران ولما ورائهما من البلاد الإسلامية عسكريا وسياسيا، فيجب على الشعوب الأفغانية والباكستانية والإيرانية، وعلى ثوراتها التى يهددها عدو مشترك غادر أن توحد جهودها لتحقيق أهدافها الإسلامية بأن تكون للإسلام المكانة الأولى فوق كل المكانات الأخرى، وأن تكون هناك صلة التغلب الوثيقة للولاءات الإسلامية الشاملة على الولاءات السياسية المحلية الخاصة، وأن تكون كل الولاءات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية اسلامية بحتة لاتمت إلى الطائفية والقومية والوطنية بصلة، ولا تنم عن ذلك فى شئ ليعود للإسلام مجده، وليسترد الشعب الأفغانى مجده الإسلامى، وأن تتحقق التغيرات المنشودة فى المجتمعات الإسلامية فى البلدان الثلاث، بحيث تكفل لها عناصر القوة والمجد والعظمة فى كل أنحاء الحياة الاجتماعية، والثقافية والاقتصادية والسياسية

المستقلة التى تتوق لها كل الشعوب الإسلامية فى جميع أنحاء العالم. وأعتقد جازما أن هذه الشعوب قادرة بحركاتها الإسلامية على تحقيق الأهداف المصيرية إن هى اتحدت للدفاع عن بلادها الإسلامية وعلى رأسها **أفغانستان** الجريحة. ومن المؤكد الثابت أن روسيا الشيوعية ستتفرغ لكل من باكستان وإيران الدولتيين الإسلاميتين بعد اجتياح **أفغانستان** الخط الدفاعى الأول لهما ولغيرهما من البلاد الواقعة من وراء حدودهما لأن روسيا الماركسية تدرك خطر الحركات الإسلامية فى تلك البلاد الإسلامية وبخاصة فى كل من **أفغانستان** وإيران وباكستان على مستعمراتها الإسلامية فيما وراء النهر خوفا من إثارة الشعور الإسلامى لدى تلك الشعوب المسلمة، وهذه الشعوب فى انتظار مثل هذه الإثارة الإسلامية منذ أن احتلتها روسيا القيصرية، وسيؤدى بهم مثل هذا الشعور إلى الالتزام بالاتحاد الإسلامى بين الأفغان والفرس و الباكستانيين، فإن الدين الإسلامى يفيد كقوة دافعة ثائرة تدعوا إلى ذلك، وتطغى على الاتجاهات والولاءات الأخرى التى تريدها روسيا، ووجهت طيلة سنوات عديدة حملات قومية وعرقية بغرض كبت الشعور الإسلامى، والقضاء عليه داخل كيان تلك الشعوب المرتبطة بعضها ببعض بأواصر الأخوة الإسلامية والعرقية، وبالإضافة إلى ذلك فإن الشعور القومى لدى تلك الشعوب ممزوج بالشعور الإسلامى، والشعور الإسلامى هو العنصر الغالب الأقوى على الجانب العرقى فى عملية المزج بين الشعورين لأن الهوية الإسلامية هى التى يمكنها أن تشكل الصورة القومية لتلك الشعوب دون أدنى تميز بين قومياتها العرقية.

الحركات الإسلامية الثلاث فى مواجهة روسيا:

واجهت روسيا ثلاث حركات إسلامية فى الدول الإسلامية الثلاث بالقرب منها، والمتصلة بالجمهوريات الإسلامية التى كانت تحتلها.. الحركة الإسلامية فى **أفغانستان** التى تحولت إلى حركة قتالية ضد روسيا وأعوانها فى **أفغانستان**، والتى دوخت روسيا بالعمليات القتالية، وبنقل حركة إحياء التراث، والشعور الإسلامى إلى روسيا نفسها. والحركة الإسلامية الثانية فى إيران التى تمكنت من القضاء على الشيوعية وهيأت ظروفا مشجعة للجهاد الأفغانى. والحركتان الأفغانية والإيرانية هيأتا أسباب مخاوف الروس من تأثيرهما فى المسلمين فى روسيا. والحركة الإسلامية الثالثة فى باكستان التى قدمت عونا ماديا وتشجيعا معنويا ومساندة للمجاهدين والمهاجرين الأفغان، ورغم نجاح الحركة الإسلامية فى تقديم العون للجهاد الأفغانى، ورغم نجاحها فى كثير من الموضوعات الإسلامية على الساحة السياسية فى باكستان، فإنها لم تثر مخاوف روسيا، و لم تثر انتباهها، وحذرها على مستعمراتها الإسلامية فى ما وراء النهر لبعدها عنها، أو لأن هناك أسبابا أخرى تعرفها روسيا، لعل أهمها وأقواها وجود عناصر شيوعية، وقومية متطرفة فى باكستان، يمكن أن تقوم فى وجه التيار الإسلامى بدلا من روسيا، بجانب وجود عدو تقليدى لباكستان، وهى الهند التى تحركها روسيا حسب هواها، وبالإضافة إلى ذلك فإن الجماعة الإسلامية الباكستانية لم تصعد إلى مستوى القيادة والمسئولية القتالية كما هو الحال فى كل من البلاد الأفغانية والإيرانية. ونجاحها أيديولوجيا لم يرفعها إلى القمة التى لها خطرها فى المسئوليات العليا محليا وعالميا حيث إن القيادة

العسكرية أو شبه العسكرية هى التى تحكم البلاد ينازعها فى ذلك أحزاب أخرى ذات ميول غير إسلامية، والجماعة الإسلامية لا تملك الحرية المطلقة للتصرف فى الشئون الإسلامية، لا على المستوى المحلى والإقليمى، ولا على المستوى الدولى. ورغم كل ذلك فهى نقطة التبلور للفكر الإسلامى لكثير من العناصر الهامة فى الساحة الباكستانية. وتأثيرها الثقافى والفكرى أبعد مدى، وأعمق جذورا، وأقوى أثرا من تأثيرها السياسى، " **المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف وفى كل خير** ".

الحركة الإسلامية الأفغانية تعلن الحرب المقدسة على يد عصبة مؤمنة من الشباب المؤمن الصادق، ومن يدى هذه العصبة المؤمنة الصادقة طارت شرارة الجهاد الأولى فى البلاد، وهى التى حملت على أكتافها أعباء الدعوة الصادقة إلى الجهاد والقتال، حتى حققت لهذا الجهاد كيانه وانتشاره، حققت له انتصاره وتمكينه. تعالوا معى لنسأل وديان كونر وجبالها وأنهارها عن أخبار تلك الشرارة القتالية الأولى، فإن عندها الخبر الأكيد لتلك المعركة التى بدأت فى ذلك الوادى.

نعم ! بدأت ثورة الإسلاميين الأفغان الجهادية بشكل متواضع فى إقليم " كونر " ذلك الإقليم الذى يمتد إلى النقطة الحساسة التى تلتقى فيها الحدود الأفغانية والباكستانية بالحدود الصينية والروسية وتقترب من الحدود الهندية حيث تمكن المجاهدون من الاستيلاء على مستودع أسلحة الجيش الأفغانى فى قلعة أسمار العسكرية، واستسلمت حاميتها للمجاهدين، وقد قويت بذلك شوكة الجهاد بقوة السلاح والعتاد، وبقوة الرجال المدربين، وسار الجهاد المسلح قُدما بعد هذا الانتصار بدرجات متفاوتة بين الشدة والعنف، وبين الانتصارت والانتكاسات،

وكان من وراء ذلك تعدد القيادات الإسلامية، وقد سارعت كل قيادة من القيادات الجهادية إلى استغلال الظروف لصالحها، والسيطرة على هذه الأحداث الدرامية المتوالية الجارية فى ولاية كونر. علما بأن كلا من الزعيمين الكونريين الشيخ جميل الرحمن صافى، والشيخ فضل الكريم صافى وغيرهما من الزعماء هم الذين كانوا قد مهدوا الطريق لهذا الجهاد. والشيخ جميل الرحمن من الزعماء السلفيين، وبدأ نشاطه السياسى ضد حكومة محمد داود خان أيام أن كان طالبا، ويزاول الآن نشاطه السياسى من خلال جبهة مستقلة يمولها السلفيون فى البلاد العربية وبخاصة فى دولة الكويت. والشيخ فضل الكريم يتعاون الآن مع القاضى محمد أمين المتشدد فى دعوته إلى الوحدة بين الفصائل الجهادية المقاتلة، والقاضى أمين كان من الزعماء البارزين فى الحزب الإسلامى.. ثم انتشر الجهاد فى جميع أنحاء **أفغانستان** بدرجات متفاوتة لإنقاذ الأمة الأفغانية المسلمة التى بدأت النكبات تعصف بها، وبدأت الأهواء تتقاذفها، والمُغريات تتجاذبها..

الحركة الأفغانية الإسلامية تثير ذعر الروس:

كانت للحركة الإسلامية فى **أفغانستان** آثار مثيرة لانتباه الروس، ومخاوفهم وذعرهم، إذ أن **أفغانستان** نقطة العبور السهل، والاختراق الميسر إلى الجمهوريات الإسلامية التى احتلها روسيا، نظرا للجوار الحدودى، والامتداد العرقى، والاشتراك اللغوى، والانتماء التراثى بين القبائل الأفغانية وبين الطوائف فى تلك الجمهوريات الإسلامية. ومن هذا المنظور الخطير أسرعوا فى النزول إلى **أفغانستان**، ساعدتهم فى ذلك ظروف **أفغانستان** الداخلية التى كانت من أكثر العوامل أهمية فى عملية

مراكز وطرق الإمدادات الخاصة بكل من المجاهدين و السوفييت

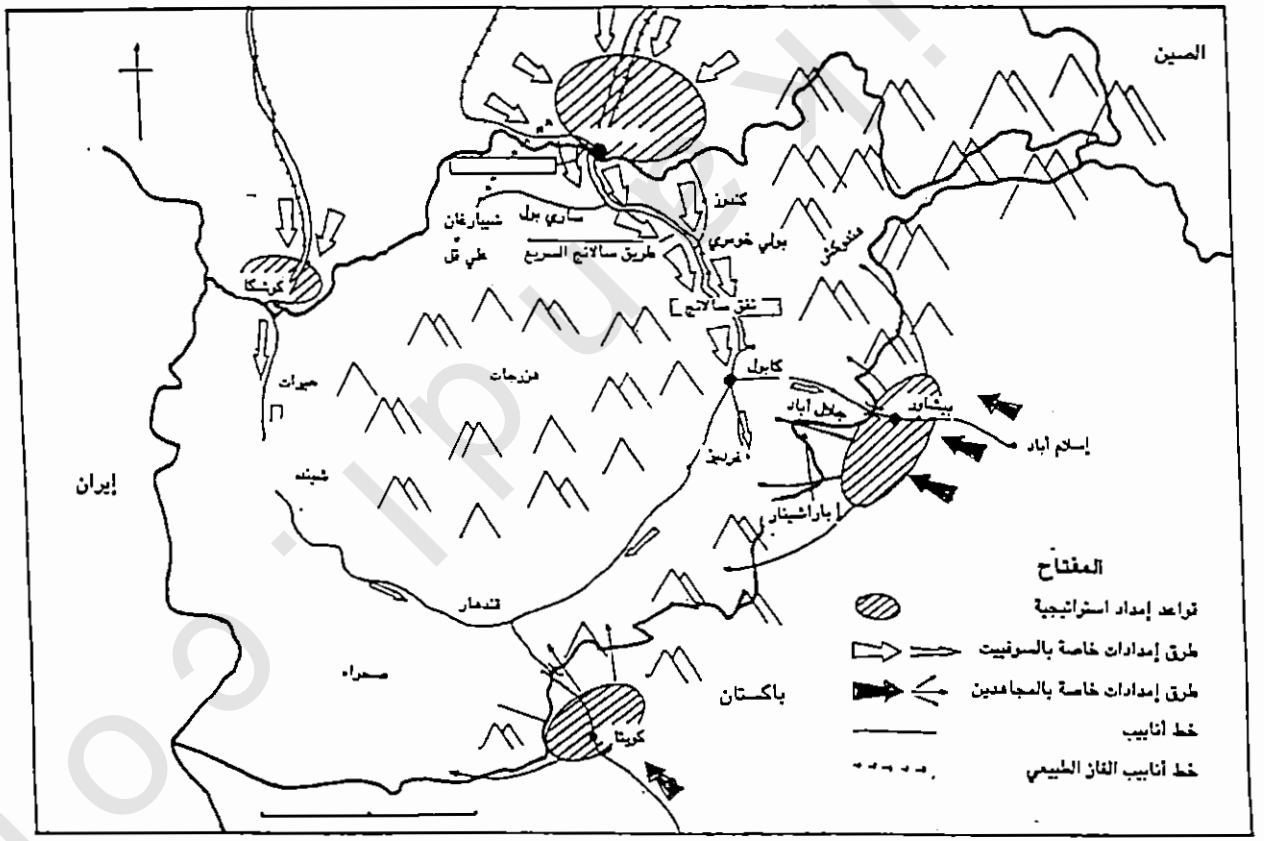

صنع القرار الروسى لاحتلال **أفغانستان** المباشر لحماية النظام الشيوعى الذى نصبته روسيا فى كابل، ولإخماد الثورة الإسلامية التى كانت على مشارف كابل لطرد عملائها منها، وقد حولوا البلاد، وبالأخص المناطق الإستراتيجية منها إلى غابة من الإسمنت المسلح، وإلى ترسانة من الأسلحة والذخيرة، وجابوا وديان **أفغانستان** الرهيبة كالغزاة والمغامرين القدامى لتحويلها إلى حقل من التجارب لتلك الأسلحة الروسية، وهذا سبب آخر يضاف إلى أسباب أخرى ساعدت فى صناعة القرار الروسى لنزولهم إلى منازل الأفغان بغرض الاحتلال المباشر. وضحت بكثير من أبنائها فى عملية الاحتلال الأمر الذى أثار هناك فى روسيا تفاعلات شديدة خطيرة تغلى فى نفوس الشعوب الروسية المغلوبة على أمرها حيث تحكمها موسكو بالحديد والنار.. ليس فى إمكان الرأى العام فيها أن يثور، أو يتمرد، ولكن الشباب الروسى يهربون من الخدمة العسكرية والتجنيد الإجبارى خوفا من الذهاب إلى **أفغانستان**. وبالإضافة إلى ذلك فإن مؤيدى الروس فى كابل وعملاءهم فيها ليس فى إمكانهم إخماد الثورة الإسلامية الأفغانية، ومن هنا قرروا مزيدا من العون والدعم، ومزيدا من التأييد والتدبير لعملائهم فى حكومة كابل.. فتعرضت كل المناطق الخارجة عن نفوذ الشيوعيين الأفغان للإبادة، ومن الغريب فى الأمر أنه لا يهمهم عمليات الإبادة والنسف، بل المهم فى نظرهم أن يستمروا فى الاستيلاء على الحكم فى كابل ولو على أشلاء الشعب الأفغانى كله، شأنهم فى ذلك شأن كل شيوعى عميل وصل إلى الحكم والسلطة بمساعدة موسكو ومساندتها بالقمع والرعب والإرهاب حتى إن دخول الشيوعية إلى **أفغانستان** قد تم بالقهر والقوة والإرهاب وبالإضافة إلى كل ذلك فإن هؤلاء الشيوعيين العملاء

فى خوف مستمر دائم على أنفسهم بعد هزيمة الروس فى تحقيق أهدافهم الدنيئة.. لذلك كله يجد النظام الشيوعى نفسه مهزوزا محليا ودوليا، لن يستطيع البقاء فى الحكم طويلا. ليس هذا فحسب بل إن موسكو نفسها قلقة جدا بسبب النضالية الجهادية الإسلامية فى **أفغانستان**، وليس من المستبعد أن تنبعث مثل هذه النضالية أو الشعور النضالى بين المسلمين فى المستعمرات الروسية فى بلاد ما وراء النهر الإسلامية التى لم يتمكن الروس من عزل هؤلاء المسلمين عن الأفكار والمعتقدات الإسلامية. علما بأن الانبعاث الإسلامى ما زال مستمرا بينهم حتى الآن. وتصدير الثورة الإسلامية إلى الجمهوريات الإسلامية المحتلة أحد أهداف الجهاد الإسلامى فى **أفغانستان**، والمجاهدون فى كل من **أفغانستان** وإيران وباكستان قادرون على ذلك، ومن الجائز والممكن أن تمتد هذه الثورة الإسلامية الأفغانية إلى الدول الشيوعية الأخرى الخاضعة للحكم الشيوعى فى موسكو.

حقول الغاز الطبيعى الأفغانى:

وحقول الغاز الطبيعى فى **أفغانستان** سبب آخر من أسباب صناعة القرار الروسى للتدخل المباشر فى **أفغانستان** بالقوة العسكرية. إن المحافظة على هذه الحقول لم تكن غائبة ولا بعيدة عن أذهان هؤلاء الروس الذين زحفوا على **أفغانستان** فى تدخل عسكرى سافر مباشر، هذه الحقول الأفغانية تغذى المصانع الروسية بالطاقة اللازمة لتشغيلها بواسطة خط أنابيب يمتد لمسافة ١٨٠ ميلا فقط داخل الأراضى الإسلامية التى كانت تحتلها روسيا السوفيتية. ومنطقة " شبرغان " فى شمال **أفغانستان** مركز هام لتجميع انتاج حقول الغاز الطبيعى الأفغانى الذى

يغذيها بالطاقة. ويساعدها فى توفير الطاقة لدول حلف وارسو حيث إنها ملتزمة بإمداد تلك الدول بالطاقة اللازمة لتشغيل مصانعها. ومن هنا كان جهد المجاهدين الأفغان الجهادى، والمسئولية الملقاة على عاتقهم للدفاع عن الأموال الإسلامية كبيرة وخطيرة.

وكذلك الأمر فى أهمية **أفغانستان** الإستراتيجية والعسكرية، فإنها لم تكن أقل شأنا من أهمية حقول الغاز الاقتصادية. ومن هنا كانت فكرة الاعتداء على **أفغانستان** تخامر الفكر الروسى منذ زمن بعيد نظرا لأهمية هذه البلاد الإستراتيجية. فقد كتب الجنرال الروسى " سوبوليف " فى مجلة الجيش " روسكايا ستارينا " فى عدد مايو ١٨٨٨م (شعبان ١٣٠٥هـ) يقول ما معناه: (إن الوقت قريب من أن تصبح جبال هندوكش الحدود الطبيعية لروسيا، وتصبح هرات جزءا من الامبراطورية الروسية). إن هذه المصالح الاستعمارية، والأطماع الروسية حيوية للروس لم يكن من الممكن المحافظة عليها إلا باحتلال **أفغانستان** البوابة الرئيسية للعالم الإسلامى، والاستيلاء عليها بداية سيئة لتطويق الأرض الإسلامية ومقدساتها، من أجل ذلك ارتكبت روسيا الشيوعية حماقتها الكبرى بالتدخل العسكرى المباشر فى **أفغانستان**، فانزلقت أقدامها المتدنسة على صخور جبال **أفغانستان** الوعرة كما انزلقت أقدام أمريكا وفرنسا بأوحال ضفاف نهر الميكونج فى فيتنام.. ولن يكون مصير الروس فى **أفغانستان** المحكوم به بالفشل أقل سوءا من مصير أمريكا وفرنسا فى فيتنام.

الفصائل الجهادية توسع نشاطها:

كانت الحركة الإسلامية فى **أفغانستان** ترقب الأحداث الجارية فى البلاد، الشيوعيون من أمثال ترهكى وأمين وكارمل استولوا على الحكم بمساعدة من موسكو، وتسلموا زمام الأمور فى منازل الأفغان. وكان الرئيس الأسبق محمد داود قد مهد لذلك منذ أن كان رئيسا للوزراء. لذلك فقد أخذت قوى الثورة الإسلامية المضادة فى التجمع العملى. وبدأت فصائلها الجهادية تزيد من نشاطها الجهادى المسلح للإطاحة بالنظام الماركسى الجديد فى كابل الذى تسانده روسيا. وقامت ثورات قبلية ضد هذا النظام اليسارى فى كل أنحاء **أفغانستان**، وتأسست جماعات قتالية تقوم بعمليات فدائية جريئة لمواجهة المد الإلحادى، واستبداله بحكم إسلامى يقوم الشعب الأفغانى بتوظيفه بكل طاقاته لخدمة الإسلام، ورفع راياته عالية فى ذرى **أفغانستان**. وقد حاول السيد ترهكى وغيره من الشيوعيين عبثا دعوة وفود قبلية إلى المجئ إلى كابل للاجتماع بهم وفقا للتقاليد الأفغانية التاريخية، وأعلنوا مرارا احترامه للإسلام وتعاليمه، ولكن هذه المحاولات الشيوعية لم تجد نفعا، وبالعكس فقد ازدادت أخطار الثورة الإسلامية نظرا لطبيعة المجتمع الأفغانى المسلم. وازداد النهج الثورى الإسلامى الشامل قوة ونشاطا، وأخذ يسير على الطريق الإسلامى الثورى يوجه الضربات إلى النظام الماركسى المقام فى كابل، ويثقل كاهله السياسى، ويهدده بالخطر، وهذا النهج الثورى الإسلامى يمثل الاتجاه الإسلامى للشعب الأفغانى المسلم. ومن هذا المنطلق الإسلامى قامت الحركة الإسلامية الجهادية بتوسيع فاعليتها القتالية تشترك فيها كافة جماهيرها المسلمة،

وقبائلها المقاتلة المعادية للشيوعية بقيادة الحركة الإسلامية الأفغانية، وقد لقى النهج الإسلامى الثورى المضاد كل عون ومساعدة وتأييد بلا حدود من جميع القبائل والطوائف الأفغانية فى جميع أنحاء البلاد، وقد تمكنت الثورة الإسلامية المضادة أن تجند أعدادا كبيرة من الشعب الأفغانى فى المناطق الريفية والمدن تحت راية النهج الثورى الإسلامى للوقوف أمام النظام اليسارى الإلحادى فى كابل الذى لجأ إلى العنف المدروس فى صورة وحشية أشد بكثير من عنف النظم الشيوعية فى العالم. وذلك على أمل السيطرة والتسلط على الأوضاع المتردية فى **أفغانستان**، الأمر الذى أدى إلى خلافات داخل الحزب الشيوعى الحاكم إلى درجة الغليان واستعمال الرصاص لحلها نتيجة للفشل الذى لحق به فى كل ميادين العمل السياسية والقتالية، وفى حل المشاكل التى يواجهها فى سبيل القضاء على الثورة الأيديولوجيات الإسلامية من خلال الانتقاضات القبلية، والقومية، والشعبية. وهذا الأمر شاهد إنذار خطير على ما يحدث للنظام اليسارى الماركسى الذى وصل إلى السلطة فى بلد إسلامى متمسك له تقاليده الإسلامية العريقة من المستحيل التنازل عنها. وبذلك فشلت كل الجهود والمحاولات التى بذلها النظام الشيوعى الحاكم لجذب القبائل الأفغانية إلى الالتفاف حوله. وهكذا تمكنت الثورة الجهادية فى **أفغانستان** من توسيع نشاطها السياسى والقتالى على المستوى الشعبى فى جميع أنحاء منازل الأفغان ووجهت بذلك ضربة شديدة إلى النظام الشيوعى الماركسى الذى تسانده الأحزاب الشيوعية فى العالم وبخاصة فى كل من روسيا، والهند، وباكستان، وإيران.

قيادة الجهاد الإسلامى تتجه نحو الدول الإسلامية:

تمكنت القيادة الإسلامية للجهاد الأفغانى من توسيع دائرة نشاطها على المستويين الأفغانى والإقليمى، فحاولت بناء على حسن الظن الاتصال بالدول الإسلامية لهدفين.. الأول توسيع نشاطها السياسى داخل المجموعة الإسلامية، والثانى تقديم العون والمساعدة والدعم المادى والمعنوى للثورة الإسلامية فى **أفغانستان**. وكانت نتائج هذه الاتصالات سلبية فى أغلب الأحوال، وبخاصة أن الدول العربية فى حاجة إلى التأييد الروسى فى قضية الشرق الأوسط، شأن الدول العربية الدائرة فى الفلك الروسى فى ذلك شأن الطفل الذى يحاول إمساك القمر، وهو يلهو فى سريره ناظرا إلى السماء مشاهدا فيها القمر المضئ، فيمد يديه القصيرتين إلى السماء لعلهما تصلان إلى القمر... إن الروس يستثمرون قضية تأييدهم الوهمى لحسابهم ولحساب عملائهم فى البلاد العربية بصورة بشعة، وبأقل التكاليف. هذه الدول العربية التى تدور فى الفلك الروسى وتطمع فى التأييد الروسى قد تخلى زعماؤها عن دعم الجهاد الأفغانى. وأيدوا صراحة الاحتلال الروسى **لأفغانستان**، وباركوه، ورفضوا توجيه أى نوع من الانتقادات إلى المسلك الروسى الشائن فى المؤتمرات الإسلامية، والدولية. وكانت المملكة العربية السعودية وجمهورية باكستان الإسلامية القاعدة الإسلامية الصلبة للمساندة المادية والمعنوية للجهاد الأفغانى إلا أن السيد على بوتو رئيس وزراء باكستان فى ذلك الوقت لم يكن يضمر الخير للحركة الإسلامية فى كل من **أفغانستان** وباكستان، حيث إن الجماعة الإسلامية الباكستانية قد أخذت تنافس حزبه

الشيوعى على الحكم بصورة خطيرة متطورة ومتصاعدة. فلم يكن يقدم التأييد المؤثر للقضية الأفغانية كما كان يفعل ذلك المسئولون فى المملكة العربية السعودية. على أية حال فإن سقوط بوتو، وتقديمه إلى المحاكمة، وإعدامه قد أنهى المشكلة تماما. على أن الشعب السعودى، والحركة الإسلامية الباكستانية، والثورة الإيرانية قد تركت أثرا جيدا وحسنا على معنويات الثوار المسلمين الأفغان الذين يعملون ويقاتلون ضد الماركسية فى كابل.

إن العالم الإسلامى يجب أن يكون طرفا مهتما بتسوية الأزمة الإسلامية فى **أفغانستان** المسلمة لأنها عضو فعال وأصيل فى مجموعة الجسد الإسلامى الذى ينزف دما من جرحه الدامى فى الوقت الحاضر. والقيادة الجهادية الأفغانية تعول كثيرا من فرط التفاءل وحسن النية على العالم الإسلامى. إن المجموعة الإسلامية تتكون من أكثر من مليار مسلم من البشر فى ٤٥ دولة من دول العالم قد أصدرت كثيرا من القرارات والتوصيات الخاصة بالأزمة الأفغانية التى خلقها التدخل الروسى فى **أفغانستان**، ولكن هذه القرارات الإسلامية تدور فى حلقة مفرغة نتيجة لغياب السياسة الإسلامية الموحدة بسبب تشتت الدول الإسلامية وتفرقها شيعا بالإضافة إلى عدم القدرة على استغلال ما تملكه هذه الدول من عناصر التأثير العملى واستخدامه ضد الأعداء لتحقيق الأهداف، ومن جانب آخر فإن الأهداف فى هذه الدول متضاربة المقاصد، متناقضة المسالك، متعارضة الأغراض لتعارض الارتباطات بالمذاهب السياسية بين المعسكرين الغربى الإباحى، والشرقى الإلحادى، ولتعارض العلاقات الدولية بالدول العظمى المتصارعة المتناحرة

المتنافسة على كسب مناطق النفوذ فى العالم الإسلامى. مجموعة من الدول الإسلامية ترتبط بالغرب فتقدم التأييد والمساندة للثورة الإسلامية فى **أفغانستان**. ومجموعة أخرى من هذه الدول ملتصقة التصاقا بروسيا الشيوعية فتؤيد بكل قوة النظام القائم المنصوب فى كابل، وتبارك عملية الاحتلال الروسى **لأفغانستان**. وليس هذا فحسب بل تندد بالمقاومة الإسلامية، وتتهم المجاهدين بالتمرد واللصوصية، وتلتقط ذلك من إذاعة كابل وموسكو. وفى ظلال هذا التناقض الواضح العجيب داخل هذه المجموعة الإسلامية الغريبة التشكيل فكريا من الناحية السياسية، فإن قراراتها وتوصياتها لا ترتفع إلى المستوى المطلوب عمقا وتأثيرا، إذ أن هذه المجموعة الإسلامية الكبيرة ليس فى إمكانها أن تفرض نفسها على الأحداث العالمية لعدم تمتعها بالمكانة العالمية التى تجعل لقراراتها تأثيرا، ولسياستها وزنا، ولفكرها الإسلامى قدرا. وفيما يلى مثال لموقف من يدور فى الفلك الروسى من المتقاعسين:

حركتنا تهنئ فى ذكرى تأسيس حزب الشعب الديمقراطى الأفغانى:

بعثت حركتنا " فتح " المجلس الثورى، ببرقية تهنئة إلى الرفيق نجيب الله بمناسبة الذكرى الثالثة والعشرين لتأسيس حزب الشعب الديمقراطى الأفغانى فيما يلى نصها:

الرفيق الدكتور/ نجيب الله - الأمين العام لحزب الشعب الديمقراطى الأفغانى المحترم.

يطيب للجنة المركزية لحركة التحرير الوطنى الفلسطينى - فتح - المجلس الثورى أن تبعث بأصدق التهانى الرفاقية لكم ومن خلالكم إلى رفاقكم قيادة وأعضاء حزب الشعب الديمقراطى الأفغانى الصديق، وذلك بمناسبة الذكرى الثالثة والعشرين لتأسيس حزب الشعب الديمقراطى الأفغانى.. الحزب الذى استطاع وعبر نضال دؤوب وعلى مدى اثنين وعشرين عاما أن يثبت وبحق أنه المدافع عن آمال وطموحات الكادحين فى **أفغانستان** وأن يثبت حقه كحزب للطبقة العاملة وأن يأخذ مكانه فى قلوب الملايين من جماهير الشعب الأفغانى الصديق.

الرفيق العزيز..

إن المؤامرات التى يدبرها التحالف الأمريكى - الباكستانى والدعم الذى يقدمه هذا التحالف العدوانى لعصابات المرتزقة المعادية للشعب وللثورة الأفغانية، بلا شك ستتحطم ولن يلقى أصحاب هذه المؤامرات وأدواتهم إلا الخيبة والفشل، ولن يتمكنوا من إعاقة عجلة الثورة والبناء عن التقدم وتحقيق أهداف حزبكم النبيلة الرامية إلى القضاء نهائيا على أثار ومخلفات الفترة السوداء والرجعية..

إن الإنجازات التى حققها الشعب الأفغانى الصديق بقيادة حزبكم لم يعد باستطاعة التحالف الأمريكى - الباكستانى الرجعى طمسها.. هذه الإنجازات هى خير دليل على بطلان كل ادعاءاتهم وحملاتهم العدوانية القذرة التى استهدفت، يائسة، الإساءة إلى الشعب والثورة الأفغانية كما استهدفت الإساءة إلى علاقات الصداقة والتضامن التى تربط بين **أفغانستان** والاتحاد السوفياتى الصديق.. وذلك عبر تفسيرها السئ والمتعمد لعلاقات الصداقة هذه..

الرفيق العزيز..

إن حركتنا، حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح - ومنذ انطلاقتها والتي تصادف ذكراها أيضا اليوم الأول من شهر كانون الثاني (يناير) تخوض نضالا دؤوبا وعلى محاور متعددة وفي مواجهة الإمبرالية والصهيونية والرجعية العربية والفلسطينية.. وهي اليوم تواجه وبصلابة جنبا إلى جنب مع الفصائل الوطنية الفلسطينية المؤامرة في لبنان، والتي تستهدف نزع سلاح الثورة الفلسطينية ومصادرة حق شعبنا في مواصلة الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني..

وكما ناضلت حركتنا بثبات وصبر ضد القوى الرجعية الفلسطينية التي حاولت حرف نضال شعبنا واستخدام منجزاته كجسر للانخراط في الحلول الأمريكية مستغلة هيمنتها على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، فإن حركتنا ستظل تقاتل دفاعا عن شعبنا وثورته وستظل تناضل من أجل تحقيق وحدة شعبنا وثورته المسلحة على أسس راسخة واضحة ومعادية للإمبريالية والصهيونية والرجعية..

الرفيق العزيز..

يسرنا أن نعرب لكم عن عميق تقديرنا واحترامنا لكم، وأن نبعث لكم بتحياتنا وتهانينا الحارة.. ونرجو لكم ولشعبكم دوام التقدم والإزدهار.

وإنها لثورة حتى النصر

اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح المجلس الثوري

١٩٨٦/١٢/٢١

فلسطين الثورة، العدد ٢٢٢، ١٩٨٧/١١/١م ص ١٧، نقلا عن مجلة البنيان، العدد ١٢، رمضان ١٤٠٧هـ / مايو ١٩٨٧م.

وتتميز الحركة الأفغانية الإسلامية أنها نشأت وقامت فى **أفغانستان** البلد المسلم المتمسك بالإسلام، والذى توجد فيه الأيديولوجية الإسلامية المحكمة من الممكن أن تقوم الحركة بحشدها ضد الانقلاب الشيوعى أكثر من أى دين آخر أو عقيدة فى العالم، لذلك فإننا نرى استمرار الثورة الإسلامية على أشدها رغم تخلى أغلب الحكومات فى البلاد الإسلامية عن تأييدها. فالإسلام هو الخصم الحقيقى للنظام الشيوعى فى **أفغانستان**. شأنها فى ذلك شأن بقية الدول الإسلامية، والنظم اليسارية فيها. ومن حسن حظ الحركة الإسلامية الأفغانية أيضا أن الأحزاب الشيوعية فى كل من باكستان وإيران إما مقضى عليها، أو بعيدة الآن عن المسؤليات الحكومية، حيث إنها تضمر العداء السافر للحركة الإسلامية والمهاجرين الأفغان. والانفجارات المدمرة فى المدن الباكستانية، وإثارة المشاكل القومية والإقليمية لون من ألوان العداء الذى تضمره تلك الأحزاب للثورة الإسلامية الأفغانية التى تنطلق من ذرى الهندوكش، وقمم تخت سليمان، ومن أعالى سقف العالم (بامير) للإطاحة بذلك النظام الدخيل الذى تم تنصيب حكامه فى كابل بمساعدة موسكو، والذى يتحالف مع تلك الأحزاب الشيوعية فى كل من إيران وباكستان تلبية لرغبة الروس فى القضاء على الحركات الإسلامية المناوئة للسياسة الروسية فى المنطقة. ونظرا لهذه الظروف الحساسة التى نشأت عن الاحتلال الروسى لأ**فغانستان** فقد سارعت الحكومة الباكستانية، وهى خصم كابل القديم فى قضية بختونستان بتقديم العون إلى القبائل الأفغانية التى اجتازت الحدود فرارا من الجحيم الشيوعى فى كابل، كما اعتمد الرئيس الباكستانى ضياء الحق على العلاقات الوثيقة بين الجماعات الإسلامية الأفغانية والباكستانية لإرباك خصوم

باكستان التقليديين بغرض تشجيع المجاهدين الأفغان، وتأييدهم، فقد ساهم كل من الرئيس ضياء الحق والجماعة الإسلامية الباكستانية فى دعم هذا التأييد والتشجيع للعناصر الجهادية المعارضة فى **أفغانستان** وكذلك أيدت الثورة الإيرانية الحركة الأفغانية ضد الشيوعية فى كابل فكانت لذلك التأييد نتائج طيبة أيديولوجيا على الجهاد الإسلامى فى **أفغانستان**. ونظرا لهذا التأييد والتأثير الباكستانى الإيرانى فقد صعد المجاهدون الأفغان من عملياتهم القتالية، وازداد التفاف الشعب الأفغانى من حولهم لتأييدهم، والاشتراك معهم فى حربهم ضد النظام الماركسى فى كابل. لقد تعرضت القواعد الروسية والحكومية العميلة فى **أفغانستان** لعمليات قتالية ناجحة من الثوار المسلمين الأفغان الذين ينطلقون من قواعدهم فى جميع الأقاليم الأفغانية وبخاصة كونر وننكرهار وبكتيا وبكتيكا وغزنة وكندهار المتآخمة لحدود باكستان، ودوخوا بذلك الحكومة العميلة فى كابل حتى استعانت بالروس فى اتخاذ التدابير الأمنية الحازمة فازدادت بذلك مشاعر الكراهية والعداوة ضد الحكومة فى كابل، وضد مستشاريهم من الروس، وقد هاجم الثوار المسلمون هؤلاء الروس فى الأقاليم الأفغانية المختلفة وقتلوا منهم عددا كبيرا. ومن أشهر المعارك التى انتصر فيها المسلمون المجاهدون الأفغان هى تلك التى دارت بين الجانبين فى كل من هرات وكندهار تمكن المجاهدون فيها من قتل وإعدام عدد كبير من الروس والعملاء. وهكذا واصل الثوار المجاهدون الأفغان جهادهم ونضالهم ضد الروس رغم تقاعس رؤساء الحكومات فى الدول الإسلامية التى تدور فى الفلك الروسى، ودفاعهم عن الاحتلال الروسى **لأفغانستان** والذى باركوه فى المؤتمرات الإسلامية.

القيادة الجهادية الأفغانية

تركز على الجبهة الداخلية:

فى١٩٧٩م (١٤٠٠هـ) بدل الروس دمية بدمية، حيث أطاح حفيظ ا لله أمين بصديقه نور محمد ترهكى بغرض زحزحة الموقف الإسلامى الصلب خوفا من أن يحرك المشاعر الإسلامية فى المستعمرات الإسلامية الروسية الأمر الذى يخوف الروس خوفا كثيرا. وقد أثارت التغييرات الروسية سخط الشعب وغضب قيادته الإسلامية، فوجه الإسلاميون إلى الحاكم الجديد ضربة التمرد المدنى الإسلامى فى الريف والقرى والمدن الأفغانية، وبخاصة فى إقليمى هرات وكندهار أفقدته صوابه، وهددت مستقبله السياسى، ووضعت عقبة فى طريق طموحات الروس فى الوصول إلى بحر العرب الذى تفوح من حواليه رائحة الذهب الأسود الذى يسيل له لعاب روسيا الشيوعية. فقد دفع ذلك الروس إلى تغيير جذرى فى أمور الدولة الأفغانية على أمل القضاء على الانتفاضات الإسلامية، وإزالة العقبات من الطريق، فاحتل الروس مكانا مرموقا أكثر نشاطا وأكثر أهمية فى كل الأجهزة الحكومية، ولتحقيق أهدافهم السياسية وطموحاتهم الإمبريالية من ناحية، ولزعزعة مكانة الحركة الإسلامية فى المنطقة من ناحية أخرى، ولتوجيه الضربة إلى الجهاد الأفغانى من ناحية ثالثة، ولمواجهة النشاط الإسلامى الواسع داخل **أفغانستان** ومنعه من التسرب إلى المستعمرات الإسلامية من ناحية رابعة تقوم روسيا - بالإضافة إلى نشاطها العسكرى المكثف - بتحريك قضايا القوميات والأقليات فى **أفغانستان** كقضية اللغات والأصول العرقية، وفى باكستان كقضية بختونستان وبلوجستان

وغيرهما، وفى إيران كقضية كردستان وعربستان وغيرهما. ولتحقيق هذه السياسة وتطويرها فى **أفغانستان** وصل إلى كابل وفد روسى برئاسة وكيل وزارة الدفاع لدراسة الوضع الأمنى الخاص بالروس فى **أفغانستان**، ومسألة التسرب الإسلامى إلى ما وراء النهر، ومسئولية إدارة المعارك المباشرة ضد المقاومة الجهادية، ولتنشيط سياسة خلق المشاكل القومية والأقلية واللغوية والعرقية فى كل من البلاد الأفغانية والباكستانية والإيرانية. قد تدفق بعد ذلك الآلاف من الجواسيس ورجال المخابرات الروسية على منازل الأفغان تحت ستار الخبراء، وبدأوا يساعدون جهاز الأمن الأفغانى فى إثارة تلك المشاكل والاضطرابات فى دول المنطقة. وكان رد الجهاد الإسلامى وصوته أقوى وأشد، وأكثر تأثيرا، وأشد عمقا وأكثر إثارة للمشاعر الإسلامية بين الشعوب الإسلامية فى هذه الدول، فقد تصاعد النشاط الجهادى مع تصاعد الشعور الإسلامى وتوطدت العلاقات بين الجهاد الإسلامى وبين شعوب المنطقة الإسلامية، وقد اتخذت القيادة الجهادية قرارا بالتركيز على النقاط الآتية:

اتخاذ إجراءات قتالية صارمة ضد الحكومة العميلة فى كابل، وضد مراكز الجيش الروسى، والمخابرات الروسية فى **أفغانستان**، وضربها بلا رحمة، وتدميرها، وإثارة الشعور الإسلامى والوطنى والقومى بين العناصر الشيوعية الأفغانية التى انساقت وراء سراب الجنة الوهمية التى تدعو إليها الشيوعية. وقهر المليشيات الشيوعية وتدمير مراكزها فى كل مكان، وبخاصة فى الولايات الأفغانية الواقعة على الحدود مع الأقاليم الممتدة من يشاور إلى بلوجستان، وإرغام أفرادها على التسليم إلى الثورة الإسلامية خوفا من الموت والقتل والاغتيال، وإغلاق أبواب

خطوط إمداد الأسلحة

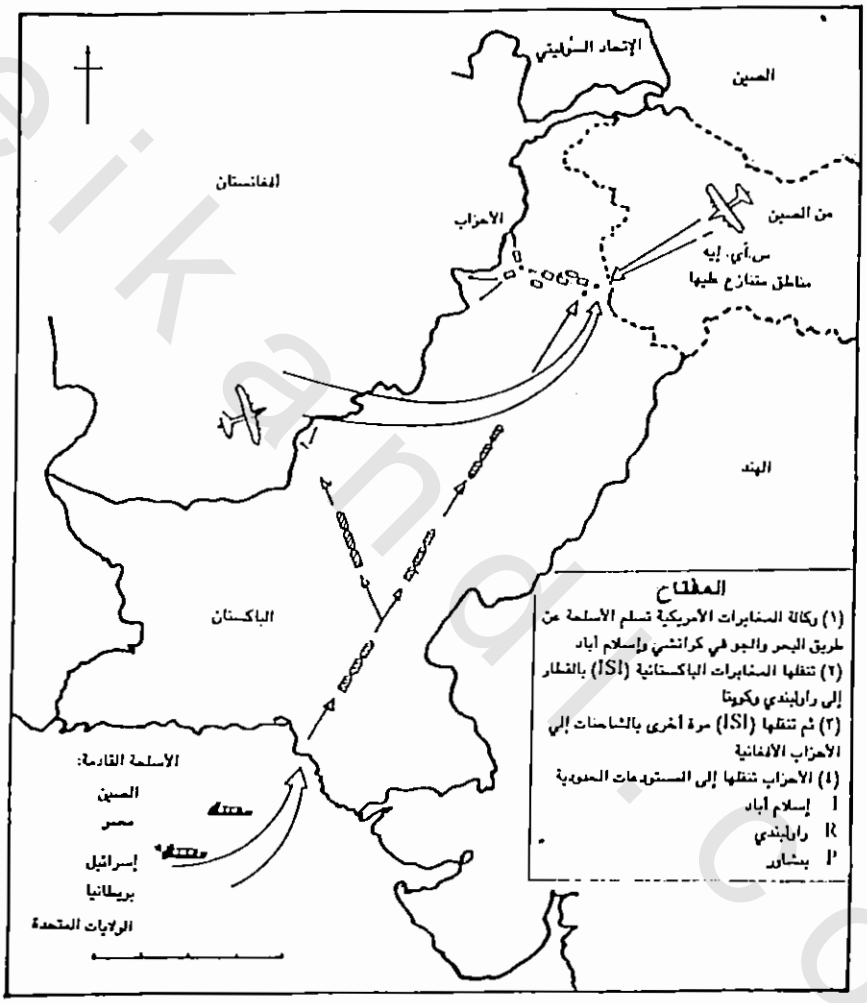

obeikandl.com

العودة والانضمام إلى الحكومة فى كابل. وقد تحقق كل ذلك فى ثورة الربيع الإسلامية التى قضت على الخطط الحكومية لإثارة المشاكل القومية فى كل من **أفغانستان** وباكستان وإيران. لقد ثارت البلاد الأفغانية كلها ضد النظام الشيوعى، وغدت مقاطعات بأكملها تحت تصرف الثورة الإسلامية، وضرب المجاهدون فى شمال **أفغانستان** الطريق الذى يصل كابل بمدينة " مزار شريف " فى الشمال بالقرب من الحدود الروسية الإسلامية، وقاموا بتهديد ممر " سالنك " الشهير، وحملت قبائل هزاره فى وسط **أفغانستان** السلاح ضد حكومة كابل الشيوعية. والتفت كافة فئات الشعب الأفغانى والتحمت بالثوار المجاهدين، حتى الجيش الأفغانى الذى حاول الروس تجريده من السلاح قد انضمت أعداد كبيرة منه بأسلحتها إلى صفوف الجهاد المسلح، واستطاعت الثورة الإسلامية المضادة أن تشد أنصارا كثيرين بحيث انحازت القوميات الأفغانية إلى الثورة الإسلامية بسهولة، وانفجرت الحرب الأهلية الإسلامية فى جميع أنحاء **أفغانستان**، وأثارت الشعور العدائى الكامن ضد الروس وأعوانهم العملاء فى **أفغانستان** لأسباب دينية وقومية واجتماعية. كل ذلك ساعد فى نمو وتطور الثورة الإسلامية فى منازل الأفغان، وأصبحت على درجة عالية من القوة والفعالية ماديا ومعنويا، مكنتها من إلحاق كوارث ثقيلة بالقوات المعتدية. وقد ترك ذلك صدى عميقا، وأثرا كبيرا فى الجمهوريات الإسلامية المحتلة. ذلك لأن الانتصارات الإسلامية فى أى مكان تشد بالضرورة كافة الشعوب الإسلامية، وتثير فيها الشعور بالسعادة والفخر والاعتزاز، وتحرك فيها بالضرورة مشاعر الأخوة الإسلامية كما أثارت مشاعر النفور والكراهية الشديدة للروس فى الشعب الأفغانى وفى القوات المسلحة الأفغانية،

وفى الشعوب الإسلامية فى العالم كله. وهذا أخوف ما تخاف منه روسيا الشيوعية. وهذا هو الذى يعرض مصالحها فى الوطن الإسلامى للخطر.

الثورة الإسلامية تشكل خطرا للروس فى الجمهوريات الإسلامية المحتلة:

كانت حكومة الرئيس حفيظ الله أمين تعانى من عمليات الحركة الإسلامية المتصاعدة وتأكد للروس بأنها مهددة بالسقوط لتصاعد الثورة الإسلامية التى تشكل خطرا حقيقيا على المصالح الروسية فى المنطقة. فلابد إذن من اتخاذ إجراء لتحطيمها، وتدمير مراكزها وأوكارها فى المدن والريف الأفغانى، وكان القضاء على هذا الخطر الإسلامى الثورى أحد الأهداف الرئيسية للاحتلال الروسى **لأفغانستان**، بالإضافة إلى إزالة إمكانية تأثر المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية المحتلة بما يدور حولهم من الثورات وانتصاراتها الإسلامية التى تنذر بالخطر بالنسبة لروسيا الشيوعية. والجهاد الإسلامى فى **أفغانستان** هو الذى يقف عقبة فى طريق تحقيق أهدافها فى المنطقة وإذا سقط الجهاد الأفغانى فإنه ليس فى وسع أية قوة أخرى أن تقف أمام زحف الروس نحو البلاد الإسلامية، فمن الواجب إذن تحطيمه وتدميره والقضاء عليه حتى يستطيعوا بسهولة ويسر ابتلاع الخليج وما فيه من الثروة البترولية الهائلة ولكن الثورة الإسلامية الأفغانية أصبحت قادرة على أن تضرب، وأن تضر، وأن تنفع، وأن تثير وتثأر، وأن تضيق الخناق والنطاق على القوات الروسية الغازية فى سفوح هندوكش، وعلى شواطئ أنهار لغمان وكونر، وعلى ضفاف أنهار كابل وهلمند، وأثبتت أن ربوع **أفغانستان** المجاهدة لن تكون

منتزها لها إذ أن مسيرة الجهاد مستمرة على أرض الأفغان تساندها صحوة إسلامية يمتد شعاعها بقوة ليبدد ظلام الإلحاد والكفر فى أراضى الجمهوريات الإسلامية المحتلة. وقد أدرك الروس ذلك نتيجة لصلابة الموقف النضالى، وقد أدركوا كذلك أن محاولاتهم لتحطيم الثورة الإسلامية باءت بالفشل، فبدأوا يفكرون بجدية ويعلنون استعدادهم للانسحاب من البلاد الأفغانية. وأن جهدهم فى القضاء على الثورة الإسلامية ضياع للوقت والجهد، وأنها قد أيقظت وأثارت أحاسيس المسلمين وعواطفهم الإسلامية ضدهم فى كل مكان فى بلاد ما وراء النهر الإسلامية. وقد تأكد لهم أنهم حاولوا عبثا القضاء على الحركة الإسلامية فى **أفغانستان** عن طريق العملاء والخونة من الحكام، ثم عن طريق التدخل العسكرى المباشر بغرض ترسيخ المبادئ الشيوعية فى البلاد.و لم تجد عمليات القمع التى لجأت إليها القوات الروسية فى صراعها المرير ضد الثورة الإسلامية المضادة فى **أفغانستان**، بل بالعكس فقد مكنت تلك العمليات القمعية الوحشية الثورة من حشد تأييد أوسع لإثارة الكراهية والبغضاء والعداء الكامن ضد الاحتلال الروسى لأ**فغانستان**. لذلك فإنهم يبدون الآن أكثر جدية ورغبة فى الخلاص من تورطها المشين فى **أفغانستان**، وبخاصة بعد أن تأكد لهم الرفض الجماهيرى الإسلامى فى المنطقة الإسلامية لسوء فعلتهم فى البلاد الأفغانية. إن الجماهير المسلمة حينما تشعر بالمسئولية وتدرك أنها فى خندق الثورة وفى جبهة القتال الساخنة دفاعا عن العقيدة فإنها تخلق المعجزات.. تقضى على الصعوبات، وتزيل العقبات، وتتحمل المشاق، وتؤمن بحتمية المقاومة وفقا للمنهج الإسلامى، وتؤمن بحتمية التصدى والصمود فى وجه الهمجية الشيوعية التى تحركت للقضاء على جذور البعث

الإسلامى فى البلاد الأفغانية. إن الجماهير الإسلامية فى الأقاليم الشمالية من بلاد الأفغان قد تمكنت - بفضل قيادتها الإسلامية الأفغانية - من تفجير الثورة الإسلامية فى الجمهوريات التركستانية التى كانت يحتلها الروس، وهو خطر داهم يهدد الكيان الروسى العنكبوتى فى تلك الجمهوريات على حدود **أفغانستان** الشمالية. لما رأى الروس ذلك آثروا الخلاص من المأزق الأفغانى مع الاحتفاظ بماء الوجه بإبداء الرغبة فى الانسحاب.

إن الجهاد الإسلامى نابع من أعماق الشعب الأفغانى المحارب الذى مارس الحرب والضرب والقتال طيلة تاريخه الطويل، تساعده فى ذلك طبيعة بلاده الجبلية الحصينة، رجال الجبال جبال، ولا يمكن أن ينسجم هذا الشعب المسلم المتدين مع شيوعية ملحدة كافرة بما يؤمن به من المبادئ الإسلامية السامية، شيوعية كافرة فاجرة جاءت إلى البلاد الأفغانية على أسنة الحراب، وتحت ظل الطائرات المقاتلة. إن المجاهدين الأفغان يواجهون ويحاربون قوة عظمى بسلاح الإيمان، وهم على كل حال فى حاجة دون شك إلى التأييد والمساندة من الشعوب الإسلامية أولا، ثم من الشعوب المحبة للسلام ثانيا. ولن يتمكن الروس أبدا من تحطيم الثورة الإسلامية المحصنة بالإيمان وبسلاحه الأقوى من كل سلاح.

الجهاد الأفغانى ولعبة الأمم:

إن لعبة الأمم لعبة عنكبوتية معقدة، والمقاومة الإسلامية الأفغانية قد أُرغِمت على الدخول فى إطار هذه اللعبة المعقدة دون رضا منها أو رغبة فيها، إن القوى العظمى والصغرى تتسابق على مواقع النفوذ فيها، باتباع سياسة كتم أنفاس

الجماهير المضطهدة وتنظيماتها الجهادية وإخضاعها لسياسة الوفاق بين الدول الكبرى.. روسيا كطرف أساسى تلعب دورا رئيسا فى هذه اللعبة ضد الجهاد الإسلامى المسلح، تحاول قهره، وكتم أنفاسه، وتدمير تكوينه الروحى والفكرى، وتحطيم خصائصه القومية والاجتماعية، وتغيير مسيره الإسلامى، وإزالة طبقاته الدينية والسياسية، ومواريثه التراثية والثقافية وفرض نظام عميل يعمل لها قبل أن يعمل لنفسه ولشعبه الذى ينتمى إليه عرقيا، أو لوطنه الذى ينتمى إليه منبتا، وذلك قبل أن تقضى عليه جسديا.. قتال ضار تقوم به قوة عظمى ضد قوى صغرى، قتال غير متكافئ، عمليات حربية تقوم بها قوة عظمى لجر شعب لا يملك من السلاح إلا سلاح الإيمان إلى متاعب ومحن لا طاقة له بها، وإلى تفريقه وتشتيته وتقسيمه إلى كتل صغيرة متشتتة لتسهيل عملية ابتلاعها بعد ذلك.. لاعب متشاكس شرس لا يعرف من الإنسانية إلا اسمها. ثم أمريكا التى تحسنت صورتها فى البلاد الإسلامية بعض الشئ بعد العدوان الروسى على **أفغانستان**، إنها تتجاذب الكرة فى الملعب حينا من هنا.. من **أفغانستان** وباكستان، وحينا من هناك من الشرق الأوسط، وهى تدعى أنها حامية البلاد الإسلامية تقف صامدة فى وجه الزحف الأحمر الذى ربض ثابتا يحتل بوابة العالم الإسلامى من فوق ربى هندوكش، وذرى " سبين غر " وسقف بامير. وقد تركت منازل الأفغان للدب الروسى وفقا لمبدأ تقسيم مناطق النفوذ. وهى لا تريد ولا ترغب فى قيام نظام إسلامى، أو حكومة إسلامية فى **أفغانستان**. وهى تشجع روسيا أو شجعتها وجرت رجلها إلى الوحل الأفغانى بالتدخل الهجومى المباشر فى **أفغانستان** لكى تلعب بالدول الإسلامية كلها فى لعبة الأمم أيضا. ثم الدول الغربية التى تناهض

السياسة الأمريكية حينا، وتسير فى فلكها حينا آخر، وخاصة فى القضية الأفغانية بعد التدخل الروسى العسكرى فى **أفغانستان**، فعندما احتلت روسيا البلاد الأفغانية عسكريا فى أواخر عام ١٩٧٩م (أوائل ١٤٠٠هـ) نددت الدول الغربية بهذا الاحتلال العسكرى فى اجتماع طارئ لدول حلف الأطلنطى فى العاصمة البريطانية لندن. وطالبت بوضع حد للتدخلات الروسية فى **أفغانستان** بغرض ابتلاعها. وقد زاد هذا التنديد الغربى قوة وشدة بعد أن فوجئ العالم وبخاصة الدول الغربية بشراسة المقاومة الجهادية الأفغانية التى دوخت موسكو وأعوانها فى كابل، وأثبتت بجدارة أنها شجى فى حلق الدب الروسى الذى جاء لابتلاع البلاد الأفغانية، وأثبتت كذلك بأن **أفغانستان** ليست باللقمة السهلة للإمبريالية الروسية.

اللاعب الرابع فى لعبة الأمم المعقدة هو موقع الصين الشعبية فى هذا الملعب الأفغانى الذى تحول إلى ملعب كبير للأمم، ففى غداة الاحتلال الروسى **لأفغانستان** فى أواخر عام ١٩٧٩م (أوائل ١٤٠٠هـ) أعلنت الصين موقفها من هذا الاحتلال، وحددت الاتجاه الصينى من هذا العدوان الروسى السافر على دولة مستقلة حرة. وقالت: إن هذا التطور لن يؤدى إلا إلى زيادة الثورة المسلحة فى **أفغانستان** اشتعالا فى الحريق لن تسلم منه أصابع موسكو. ولعل التنديد الصينى بالاحتلال الروسى **لأفغانستان** إشارة البدء والتحدى للرفاق الروس الذين يحتلون البلاد الأفغانية على حدود الصين الغربية، فقد أكد رئيس وزراء الصين اعتزام بلاده التعاون مع الشعب الأفغانى لمواجهة العمليات العدوانية التى يقوم بها الروس ضده رغم اختلاف النظم الاجتماعية والسياسية للشعبين الأفغانى والصينى، وقال فى هذا الصدد: " ستتعاون الصين حكومة وشعبا مع الشعب الأفغانى، ومع جميع

الشعوب المحبة للسلام والعدل بهدف التصدى للأعمال العدوانية الروسية والتوسعية السوفيتية ". وهذا الموقف الصينى مبنى على عاملين أساسيين.. الأول العداوة التقليدية بين الصينيين والروس. وبناء على ذلك فإن الصين تعارض كل نظام فى كابل يتعامل مع موسكو. فما بالك بنظام عميل تدعمه روسيا بكل ثقلها وإلى أقصى المدى الممكن. والعامل الثانى هو الصداقة الصينية الباكستانية التى تزداد وتزدهر يوما بعد يوم، وذلك لموازنة الثقل الهندى على باكستان من جانب، ولمواجهة الثقل الروسى الهندى المشترك الضاغط عليها من جانب آخر. ومن هنا فإن هذه الإستراتيجية هى التى دفعت بالصين الشيوعية إلى إعلان إدانتها للتدخل العسكرى الروسى فى **أفغانستان** الإسلامية، وإلى مساندة حركة الجهاد المسلح الأفغانية، وبالتالى دفعتها إلى دعم الموقف الباكستانى الذى يتعرض عمليا للضغط الشديد المزدوج من الهنود البوذيين والروس الشيوعيين الذين يحاولون بشتى الوسائل إضعاف موقف باكستان الصلب تجاه القضية الأفغانية والمحنة القاسية التى حلت بالشعب الأفغانى. ونظرا للأوضاع الداخلية فى بلاد الصين فإن حكومة الصين تكتفى فيما يتعلق **بأفغانستان**، وبمواجهة الروس فيها بالتصريحات والتنديدات والمعارضة القولية، وبالمساندة البسيطة التى تقدمها لجهات خاصة فى المقاومة الأفغانية. والصين هى التى تمول حزبا شيوعيا وهو حزب " الشعلة الخالدة - شعله جاويد " وكان السيد بوتو رئيس وزراء باكستان الراحل يقوم بتدريب واستغلال أعضاء هذا الحزب، واستخدامهم ضد السردار محمد داود خان. والدليل على تهدئة موقف الصين فيما يتعلق بالقضية الأفغانية سكوتها وعدم مبالاتها تجاه دخول الجيش الروسى شريط " واخان " الحدودى الأفغانى الضيق

الذى يربط **أفغانستان** بـالصين، وذلـك بغـرض إغـلاق طريـق الإمـدادات الصينيـة للمقاومـة الأفغانيـة، ورغـم ذلـك فإنهـا لم تحـرك سـاكنا لمواجهـة دخـول قـوات الاحتلال الروسى هذا الشريط الهام الذى يشـرف علـى تركسـتان الشـرقية. ومـع ذلك فإنها ظلت تضع شرط الانسحاب الكامل من **أفغانسـتان** كواحـد مـن أهـم شـروطها لتحسـين علاقاتهـا السياسـية، وحـل مشـاكلها الحدوديـة مـع روسـيا الشيوعية.

ثم يأتى دور الدول الإقليمية الثلاثة المحيطة **بأفغانستان** فى هذه اللعبة التى تحاك ضد المقاومة الأفغانية. وهى كل من باكستان، وإيران، والهند. وموقـف الهنـد مـن القضية الأفغانية هو موقف مؤيد لروسيا فى احتلالها **لأفغانستان**، وهو مبنـى علـى العداوة التى تظهرها حكومة الهند البوذية نحو الإسـلام والمسـلمين، وهـذا الموقـف الهندى المؤيد للروس يختلـف اختلافـا كليـا عـن موقـف باكسـتان نظـرا لعلاقـات الصداقة بينها وبين روسيا الشيوعية، فهى لذلك أقل اهتمامـا وحـدة فـى معارضـة التدخل الروسى العسكرى فى **أفغانستان**، بل بالعكس من ذلك فإن رئيسـة وزراء الهند فى ذلك الوقت قد باركت هذا التدخل، وقالت إن **أفغانستان** بالنسبة لروسيا ككوبا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية. والعلاقات المتميزة بين الهنـود والـروس تقوم أساسا على تدفق المساعدات الروسية الضخمة إلى الهند الأمر الذى جعل مـن الهند مستعمرة روسـية، إن لم يكـن اليـوم فـإن الغـد آت وكـل آت قريـب، فمـن الصعب جدا نظرا لهذه المساعدات الضخمة فك ارتبـاط الهنـود بأسـيادهم الـروس وإن كانت الهند تتستر فى ذلك من وراء ستار زعامة حركـة عـدم الانحيـاز، تلـك الحركة التى فقدت مفهومها العملى تحت الضغط الشديد لتدخل روسيا السـوفيتية

والدول الشيوعية التى تدور فى فلكها، وفى تغيير مسيرها عن المبادئ التى أعلنتها الحركة فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٧م (١٣٧٦هـ). ويؤيدنى فى ذلك كثير من المراقبين السياسيين فى كل من **أفغانستان** وباكستان ممن يعتقد أن الحكومة الهندية قد شجعت حينئذ الاحتلال الروسى لأ**فغانستان** لتسقط باكستان الإسلامية محاصرة بين كل من الهنود وأسيادهم الروس، لكى لا يتمكن الغرب ولا الصين العدو اللدود لكل من الهنود والروس من مساعدتها بعد سقوطها بين سندان هذا ومطرقة ذاك. وللغرض نفسه تحاول كل من كابل وموسكو الضغط على الحكومة الهندية الدائرة فى الفلك الروسى، لتقوم بفتح جبهة قتال مع باكستان لتكف عن تقديم مساعدات للمجاهدين والمهاجرين الأفغان. وبالتالى لتتمكن حكومة كابل الماركسية العميلة من القضاء على المجاهدين المسلمين الذين يقاتلون ببسالة ضد الشيوعية، فتنتهى الأزمة الأفغانية لصالحها ولصالح الماركسية. وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك خطرا آخر أشد ضررا وخطرا تضمره الهند البوذية لباكستان الإسلامية، وهذا الخطر الهندى يكمن فى أن الهند بعد انتصارها على باكستان ونجاحها فى فصل بنجلادش عن باكستان، وتمزيقها إلى دولتين منفصلتين عام ١٩٧١م (١٣٩٠هـ) ترغب الآن - بعد التدخل الروسى فى **أفغانستان** - وتريد أن تقوم باقتسام باكستان نفسها مع **أفغانستان** بمساعدة أسيادهم الروس.وهذه الفكرة التى كانت الحكومات الأفغانية ترددها كثيرا وبخاصة أيام الرئيس محمد داود خان، وتريد حكومة الغاندية فى الهند إحياءها وتنفيذها فى هذه الظروف تقوم بمقاسمة باكستان بين **أفغانستان** والهند على الأسس الآتية:

١- بشتونستان: أن تسيطر **أفغانستان** على الأقاليم الغربية التى يسكنها البشتون ويطلق عليها اسم يشتونستان (بختونستان) الممتدة مع مجرى نهر " أباسين - الاندوس - السند " الذى يشق باكستان شرقا وغربا، ويفصل أقاليم بشتونستان عن أقاليم البنجاب والسند. واعتبار هذا النهر حدا فاصلا بين الأفغان والهنود بعد تنفيذ فكرة اقتسام باكستان بينهم. وكان هذا هو الأمر الواقع قبل الاحتلال الإنجليزى.

٢- وأن تسيطر الهند على أقاليم البنجاب والسند، وتصبح حدودها السياسية بعد تنفيذ الفكرة السابقة نهر الاندوس (أباسين - السند) الذى ينبع من منابعه فى الهملايا أو الهندوكش، ويجرى شرقا، وينزل فى مصبه عند كراجى العاصمة الباكستانية القديمة غربا.

٣- وأن يُخلَق كيانٌ منفصل فى بلوجستان يتمتع بحكم ذاتى، وأن يكون جزءا من بشتونستان الأفغانية (مستقبلا) بشرط أن يترك للروس عن طريق **أفغانستان** الكبرى الطبيعية بابه مفتوحا، وأن يوفر لهم خطا مباشرا يفتح لهم الطريق ويضمن لهم الوصول إلى المياه الدافئة فى المحيط الهندى، والتمتع برائحة الذهب الأسود فى الخليج، وأن يقطع بذلك طرق الاتصال بين العالم الإسلامى والعربى. وهذه النقطة هى التى تسعى إليها النظم الحالية فى كل من كابل وموسكو ودلهى.. فك الارتباط بين جزئى العالم الإسلامى العجمى والعربى.

ومن هنا نرى كثيرا من الباكستانيين المخلصين - غير الشيوعيين - يجثم على قلوبهم كاس ثقيل خوفا من تنفيذ هذه الفكرة التى تعنى القضاء على دولة

باكستان الإسلامية بالضغوط المزدوجة عليها من جانب الهنود الأعداء التقليديين لباكستان، والروس الأعداء التقليديين للإسلام والمسلمين فى كل مكان. وتجدر بنا الإشارة إلى أن موقف الشعب الهندى بالنسبة للقضية الأفغانية موقف مشرف حيث إنه يعارض ويندد بشدة وبدون تحفظ التدخل الروسى فى **أفغانستان** وهو مبنى على أن الخطر الروسى موجه إلى الهند بعد ابتلاع كل من **أفغانستان** وباكستان. أما موقف كل من الحكومتين الباكستانية والإيرانية فقد مر الحديث حولهما فى الفصول السابقة من هذه الدراسة.. فموقفهما معروف واضح وهو لا يخلو من الأغراض السياسية الإقليمية للبلدين وبخاصة موقف الحكومة الباكستانية. وبإلقاء النظرة الفاحصة الباحثة على تلك المواقف الأممية فى الملعب الأفغانى للقضية الأفغانية تبدو لنا واضحة بأنها مبينة على المصالح السياسية والإستراتيجية لتلك الدول والأطراف المختلفة التى تدلى بدلوها فى بئر القضية الأفغانية العميقة، فإنه لا أحد من العالمين ابتداء من الصين وانتهاء بالولايات المتحدة الأمريكية يضمر للإسلام خيرا، وللجهاد الإسلامى انتصارا، وللقضية الأفغانية حلا، وللأفغان نصرا وتوفيقا وفوزا، إلا من منظور المصلحة القومية الخاصة. ومن المؤكد قطعا بأن التفاهم مع الإسلام والمسلمين فى الجهاد الأفغانى مرحلى نفعى مصلحى مبنى على المصالح والمنافع القومية. والأغراض السياسية والأهداف الإستراتيجية والعسكرية والاقتصادية، ولكن هذا لا يمنع أساسا أن يلتقى الجهاد الأفغانى المسلح مع حلفاء نفعيين من المسلمين، ومع خلفاء من غير المسلمين التقاء يبنى على المصلحة الجهادية والمنفعة القومية، ولمصلحة البلاد العليا الوطنية التى تمثل فكر المقاومة الجهادية وأبعادها السياسية والثقافية والعسكرية.

وبرغم ذلك يجب الحذر والنظر إلى هـذه اللعبة المعقـدة مـن منظـار العلاقـات المعقدة بين المعسكرين الغربى والشرقى. لقد جاء الغزو الروسى **لأفغانستان** نتيجـة لتصاعد السباق لنشر النفوذ وحماية المصالح فى العالم لكل مـن المعسـكرين ولـبروز التناقض، والتضاد الإستراتيجى بين مصالحهما الأمر الذى فتح المجال لعنصر التشدد والصلابة فى العلاقات الدولية بـين المعسـكرين وفـى ظـل هـذه المجابهـة الأمريكيـة الروسـية، أو الغربيـة الشـرقية يشـهد عالمنـا اليـوم لعبـة الاسـتقطاب الـدولى بـين العملاقـين.. نجحـت أمريكـا فـى استقطاب الصـين الشـيوعية، ونجحـت روسـيا الشيوعية فى استقطاب الهند الصينية عن طريق عميلتها فيتنام. ونجحت أمريكا فـى استقطاب باكستان الجارة الشرقية **لأفغانستان** وتمكنت روسيا من استقطاب الهنـد إلى صفها. احتل الروس وسيطروا على **أفغانستان**. قامت أمريكا بإثارة بولندا على الثورة والتمرد ضد النفوذ الروسى الخانق هناك. فاحتلال روسيا **لأفغانسـتان** يـأتى ويتم فى إطار التسابق الذى يجرى بينها وبين أمريكا على خريطـة العـالم، وموضـع **أفغانستان** الإستراتيجى يدعو إلى ذلك بإلحاح. ومـما لا شـك فيـه أن هـذه العمليـة القذرة التى تمت فى إطار لعبة الأمم المعقدة قد أوقعت روسيا الشيوعية فى المصيدة الأفغانية، تستنزف قواها الاقتصادية والعسكرية، وتلوث سمعتها الدولية بين شعوب العالم الإسلامى ودول العالم الثـالث.. دولـة عظمـى دفعـت بجيوشـها لغـزو دولـة إسلامية حرة مستقلة محـايدة، وقـد ألقـت جانبـا بتلـك المبـادئ التـى تنـادى بهـا، وتنازلت عنها تلبيـة لرغباتهـا التوسعية، وفرضـت واقعـا جديـدا فـى هـذه البـلاد الإسـلامية المحايدة رغـم تصـاعد المقاومـة الأفغانيـة، والاحتجاجـات الشـديدة، والقرارات الدولية وقد انتقلت بذلك من مرحلة نشر نفوذها بالفكر الأيديولوجـى

الهادئ إلى مرحلة بسط النفوذ والتسلط بالقوة العسكرية العدوانية السافرة التى نفذتها بدقة فى **أفغانستان**.

واتخذ الجهاد الأفغانى رغم كل ذلك الدين منهجا ومنطلقا للخروج عن هذه اللعبة القذرة، وانطلق أساسا من هذه الأرضية الدينية الإسلامية شكلا وحركة واستمرارية، وعلى هذا الأساس تمكن من تعميق المفاهيم العسكرية والسياسية فى أذهان الشعب الأفغانى تحت مظلة إسلامية واحدة محكمة رغم تنافر التنظيمات الإسلامية الأفغانية فى مجموعات ووحدات منفصلة يصل عددها إلى سبعة أحزاب فى مجموعتين الثورية والتقليدية. وقد انتصر الجهاد الإسلامى فى **أفغانستان** على اليسار الماركسى فى كابل، كما انتصر فى ميادين المعارك على القوات الروسية المقاتلة التى يساندها الجيش الأفغانى التابع لليسار فى كابل، وتمكن إلى حد كبير من الخروج عن لعبة الأمم العنكبوتية سليما نظيفا غير ملوث، وفرض نفسه على المجتمع الدولى. ولم تعد روح الفرقة والتشرذم بين عناصر المقاومة عقبة صلبة فى طريق خروجها عن لعبة الأمم.

قصة الثورة الإسلامية مع الإنقلاب الشيوعى:

فى ابريل سنة ١٩٧٨م (ربيع الثانى سنة ١٣٩٨هـ) قام الروس بتنصيب السيد نور محمد ترهكى البالغ من العمر واحدا وستين عاما على كرسى الحكم فى كابل، تعاون معه فى إدارة الدولة كل من حفيظ الله أمين، وببرك كارمل وغيرهما من العناصر الشيوعية فى **أفغانستان**، وكونوا مجلسا ثوريا من خمسة وثلاثين عضوا، ومجلسا للوزراء من واحد وعشرين وزيرا، وقاموا بتوحيد جناحى

الحزب الشيوعى تحت اسم " خلق " الأحمر الذى كان ممثلا أمينا للفكر الشيوعى الروسى، وأغلبهم قد مارسوا الحياة السياسية من خلال حركة " ويش زلميان " والحركة الديمقراطية الجديدة، وسرعان ما بدأت الانشقاقات والخلافات بين الجناحين العضوين العاملين فى الحزب الشيوعى الأفغانى وفى الحكومة الماركسية. وكان السيد " ترهكى " حريصا على أن تبقى حكومته الشيوعية مستقلة عند حدود معينة لا تتجاوزها نحو موسكو للمحافظة على الصورة القومية لحزبه وحكومته الشيوعية، ولكن كارمل كان يرغب فى أن يرمى بنفسه وبحزبه فى أحضان موسكو التى ربته تربية ماركسية لا يحيد عنها ولا يميل. وكانت الحركة الإسلامية الأفغانية ترقب وترى ما يجرى فى **أفغانستان** من الأحداث الخطيرة، ترى الشيوعيين قد استولوا على الحكم فى كابل، وتسلموا زمام الأمور فى البلاد من خلال الأمير الاشتراكى محمد داود وبمساعدة موسكو. وكان ذلك بداية للمقاومة الجهادية المسلحة فى **أفغانستان**، فقد أخذت القوى الثورية الإسلامية فى التجمع والتكتل الثورى الإسلامى الجاد، وبدأت الفصائل الجهادية المقاتلة نشاطها المكثف على الجبهتين العسكرية والسياسية للقضاء على النظام الماركسى، والإطاحة به، وقامت بإثارة ثورات قبلية قومية إسلامية فى الولايات الشرقية والجنوبية، وتأسست جماعات جهادية أخرى بالإضافة إلى الجمعية والحزب الإسلاميين، يقوم أعضاؤها بعمليات فدائية ضد النظام الماركسى فى كابل، ولمواجهة المد الإلحادى واستبداله بنظام إسلامى يعبر عن الإرادة الإسلامية للشعب الأفغانى المسلم. وقد حاول السيد " ترهكى " الوقوف أمام هذه الثورات الإسلامية القبلية، ووجه الدعوة إلى القبائل الأفغانية الثائرة للاجتماع به، وأعلن مرارا احترامه للإسلام،

ولكن محاولاته هذه باءت بالفشل. ومن المنطلق الإسلامى المشترك ازداد التعاون والتماسك بين الشعب وقيادة ثورته الإسلامية، تلاحمت فيه كافة الجماهير المسلمة، وقبائلها المعادية لشيوعية ترهكى، ولنظامه الماركسى فى كابل الذى تسانده موسكو والشيوعية العالمية.

فى سنة ١٩٧٩م (١٤٠٠هـ) قام السيد حفيظ الله أمين الذى كان رئيسا للوزراء بانقلاب عسكرى أطاح فيه بالرفيق ترهكى الذى كان قد قام بزيارته لموسكو فى طريق عودته من مؤتمر عدم الانحياز فى كوبا الشيوعية، وقال المراقبون للأحداث فى **أفغانستان** فى ذلك الوقت إن موسكو قد بدلت عميلا بعميل آخر لزحزحة موقف الثورة الإسلامية المهددة لنظام ترهكى المشرف على السقوط. وخيل إلى السيد أمين أن مهمته الوحيدة هى القضاء على الثورة الإسلامية، واعتقد مخطئا أن خير وسيلة لتحقيق هذا الهدف توطيد علاقاته بكل من إيران وباكستان، ليتخلى كل منهما عن دعم الحركات الإسلامية فى **أفغانستان** فى مقابل تسوية الخلافات بين البلدان الثلاثة، ولم يكن يعلم أن استمرار مشاكل الحدود بين البلاد الإسلامية الثلاث **أفغانستان** وباكستان وإيران تعتبر فى نظر موسكو أهم بدرجات من القضاء على الحركة الإسلامية ومن تمكين الحكومة الماركسية واستمرارها فى الحكم فى كابل. إن موسكو تحاول دائما إبقاء هذه المشاكل الحدودية والقومية العرقية معلقة كالقنابل الموقوتة لاستغلالها وتفجيرها فى ظروف مناسبة ضد كل من البلدان الإسلامية الثلاثة. وأعتقد جازما أن السياسة التى اعتمدها كل من الرئيس أمين والروس بعد فشل محاولات التقارب للقضاء على الحركة الإسلامية قد تركزت على النقاط الثلاثة الآتية:

١- اتخاذ إجراءات قتالية صارمة وعاجلة ضد المقاومة الإسلامية داخل **أفغانستان**، وفيما وراء الحدود، وتوجيه ضربات شديدة ومؤثرة إليها فى كل مكان من البلاد، وضربها بلا رحمة، ودون أدنى رفق، و لم يكن فى الإمكان استخدام القوات البرية لانضمام أكثرها إلى المجاهدين، فبدأ استخدام سلاح الطيران الحربى لقصف وتدمير القرى والمدن فى المناطق الريفية التى تسيطر عليها المقاومة الأفغانية فقامت الطائرات الحربية بضرب الريف فى إقليم كونر، وقصفت فيه قرية ودمرتها بالقنابل المحرقة لأن موظفا شيوعيا وصل إليه أن أهل القرية قد أطعموا المجاهدين وآووهم ليلا. وأصبح الطيران الوسيلة الوحيدة لضرب قوات المجاهدين نظرا لسيطرتهم على القرى والمناطق الريفية، والطرق التى تصل بينها وبين العاصمة كابل مقر الحكومة الماركسية.

٢- اتخاذ أجراءات قهر المجاهدين وإرغامهم بمنع الغذاء والمواد التموينية عنهم، ولتحقيق هذا الغرض استخدمت قوات الشيوعيين الأفغانية والروسية سلاح الطيران الحربى فى حرق المحاصيل الزراعية، وبساتين الفواكه، وغابات الصنوبر وأشجار البلوط فى وادى كونر وننجرهار وبكتيا وغيرها من الأقاليم الأفغانية، وذلك على أمل أن تنسحق الثورة الإسلامية نتيجة للمجاعة، أو تضطر إلى التسليم خوفا من الجوع والموت، ولتحقيق هذا الهدف الدنئ قام الشيوعيون باتباع سياسة الأرض المحروقة، وتنفيذها بدقة وبخاصة فى وادى كونر حيث تكثر الغابات والبساتين والحقول التى تسيطر عليها العناصر الإسلامية، وانضمام قاعدة أسمار العسكرية هناك إلى المجاهدين قد زاد من الغضبة الشيوعية على هذا الوادى الأخضر مهد الثورة الإسلامية فى العصر الحاضر، ومسقط رأس السيد **جمال الدين الأفغانى**

أب الثورات الإسلامية، وحركات التحرير فى الشرق منذ القديم. وفيه تم تدمير " كيراله " ومايحيط بها من الحقول والبساتين، كما تم تدمير مدينة " ننجلام " وما يحيط بها من بساتين التوت والحقول.

٣- اتخاذ سياسة التودد واتباعها بغرض الوصول إلى اتفاق مسبق مع عناصر سياسية يؤمل وصولها إلى السلطة فى باكستان. وبدأت الاتصالات بين عبد الولى خان القومى المتطرف، وذو الفقار على بوتو الشيوعى المتستر وكان الاعتقاد السائد لدى السلطات فى كابل أنه من الممكن إغلاق الباب على المجاهدين بعد وصول هذه العناصر القومية والشيوعية إلى السلطة السياسية فى باكستان. وسيقع الجهاد الإسلامى فى **أفغانستان** بعد ذلك بين مطرقة هذا وسندان ذاك. وحينئذ من السهل ضربه من المؤخرة فى باكستان، وبقوة النار والدمار، وبقوة الترهيب والتخويف من الجوع والمجاعة داخل الحدود الأفغانية ولكن الثورة الإسلامية المضادة كانت أقوى من أن تقضى عليها مثل هذه السياسة الوهمية الواهنة التى تم الاتفاق عليها بين العناصر الشيوعية فى كل من كابل وموسكو، فقد عمت البلاد الأفغانية ثورة عارمة أطلق عليها اسم ثورة الربيع المضادة التى جعلت تلك الخطط الشيوعية عديمة الجدوى عقيمة، انتصر المجاهدون واشتد الجهاد، ولبى الشعب الأفغانى نداءه فى جميع أنحاء البلاد.

لقد ذهبت حكومة الرئيس أمين بالسياسة المتشددة قدما رغم ظهور خلافات بينه وبين الروس الذين كانوا فى انتظار فرصة مناسبة للإطاحة بهذا الشيوعى الأفغانى المتهور الذى اتهم الروس والرئيس السابق ترهكى، وعصابة من وزرائه بأزمة سبتمبر (أيلول) ولكنهم مع هذا واصلوا تقديم المعونات الاقتصادية

والعسكرية مع تقديم التأييد والمشورة السياسية إلى حين حتى يتسنى لهم تنصيب عميل آخر من عملائهم فى كابل بعد التخلص منه..

وقد حل الوقت المناسب لتنصيب أفغانى آخر من عملاء الروس فى البلاد الأفغانية، كان العالم الإسلامى غارقا فى مشاكله المعروفة، وكان العالم الغربى لاهيا بالاحتفالات بأعياد الميلاد الوشيكة، والحكومة الأمريكية كانت مشغولة بالرهائن الأمريكيين فى طهران وبالأعياد المسيحية الوشيكة، وكان الشعب الأفغانى مشغولا وغارقا فى أنهار دماء الشهداء تحجبه عن كل شئ سواها، وكانت الثلوج تمنع الروس من التدخل المباشر، والقيام بالعمليات العسكرية القمعية ضد الثوار المسلمين فى وديان **أفغانستان** الثائرة، فاستغلوا ذلك فى حشد قواتهم بالقرب من الحدود الأفغانية على الجانب الآخر من نهر آمو (جيحون) وفى الأسبوعين الأخيرين من ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٧٩م (صفر عام ١٤٠٠هـ) قاموا بإرسال عدة فرق عسكرية قتالية إلى كابل، وفى ٢٧ ديسمبر (٩ صفر) تمت عملية الاحتلال قتلوا فيها السيد أمين، ونصبوا العميل ببرك كارمل على كرسى الحكم فى كابل بدلا منه. وهكذا تمكن المجاهدون من الانتصار على الشيوعية والشيوعيين رغم الدعم الروسى، وأصبحوا أكثر إقداما وجرأة فى مواجهة الشيوعيين. ولم يتمكن الإطار الذهبى للعبة الأمم، كما لم يتمكن التآمر الأفغانى الروسى، والتقارب الأفغانى الباكستانى، والاتصالات التآمرية المستقلبية بين الشيوعيين الأفغان والشيوعيين الباكستانيين أن تقف عقبة فى طريق الجهاد والمجاهدين فى **أفغانستان**، وكان النصر حليف المقاومة الأفغانية على أيدى رجال القبائل الأفغانية المشهورين بالحرب والقتال، يرفعون السلاح الأبيض فى وجه

عمليات فى وادى كونر فى ربيع ١٩٨٥م

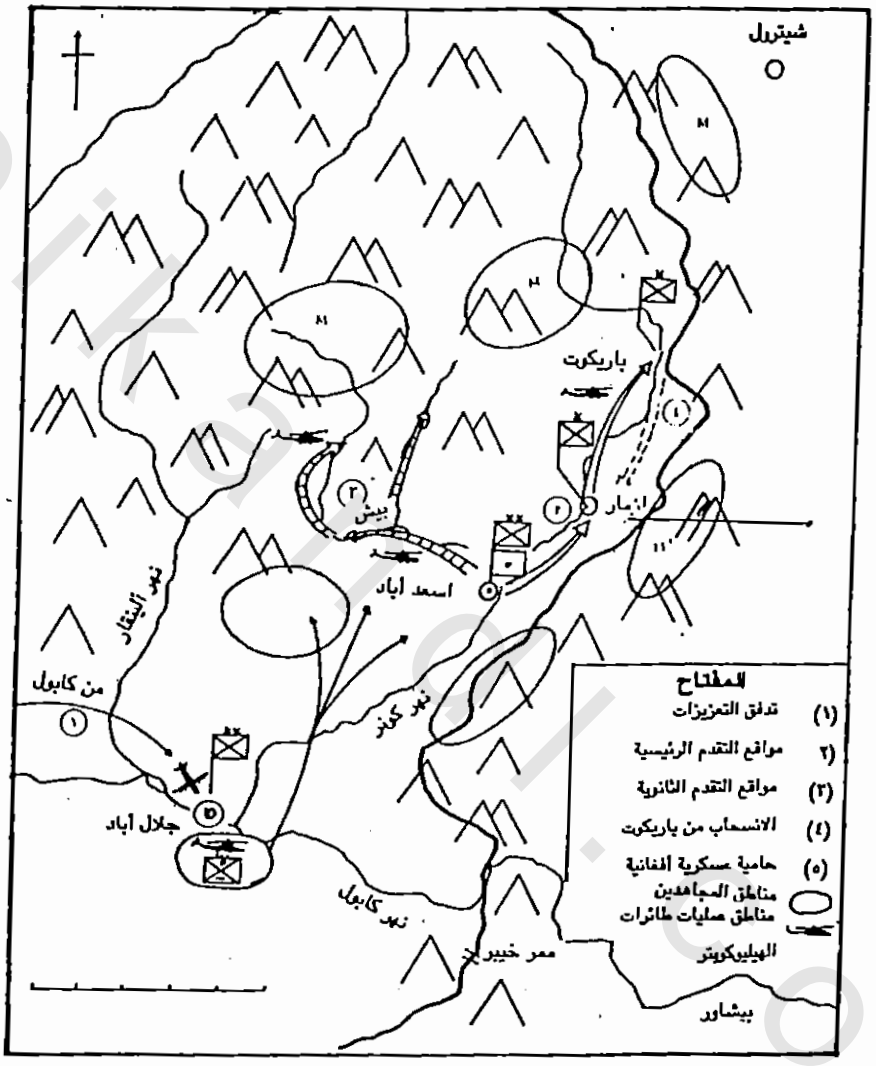

قوات الاحتلال الروسية المعتدية التى أسقطت الحكومة الشيوعية القائمة فى كابل برئاسة حفيظ الله أمين، ونصبت حكومة صورية وعلى رأسها الدمية الروسية الأفغانية ببرك كارمل. تتعاون معه طغمة أفغانية فاسدة تحمل الدمار والهلاك تحاول القضاء على الجهاد الإسلامى، حمل رجال القبائل الأفغانية السلاح فى وجه الروس، والطغمة الأفغانية الفاسدة، ومؤامراتها الدنيئة دفاعا عن عقيدتها الإسلامية، ونزعتها الاستقلالية الأزلية، وهم لا يزالون يدافعون عن موطن عقيدتهم الإسلامية الاستقلالية الأزلية بقيادات وبدون قيادات، فرادى وجماعات، بأوامر وبدون أوامر، بسلاح وبدون سلاح، ولن يلقوا السلاح، ولن يستسلموا للغازى الأحمر الجار الخطير على الحدود الشمالية لبلادهم، ولن يتركوا طغمته الفاسدة من أصحاب السلطة فى كابل تنعم بالراحة والطمأنينة. إنهم يتسلحون بقوة الإيمان الراسخ يرفعون سلاحهم الأبيض.. بنادق بسيطة متخلفة يرفعونها لمواجهة قاذفات اللهب، وراجمات الصواريخ، وطائرات النار، ومدافع الدمار، والمقاتلات الأسرع من الصوت، يرفعونها لمواجهة كل الأنواع من الأسلحة الحديثة المدمرة.. شجاعة نادرة، وإيمان راسخ فى مواجهة قوة عظمى مدججة بالسلاح المدمر الحديث. وقد أصبحوا سيفا مسلطا على رؤوس الروس، وعلى حكامهم فى كابل لإزالتهم، ولإزالة الشيوعية، ولإزالة الفكر الشيوعى من أدمغة الطغمة الفاسدة من فوق أرض **أفغانستان**، على الرغم من الخطر الشيوعى الزاحف من الشمال، يحاول تأكيد ذاته بالغزو المدمر، والهجوم المسلح على البلاد والعباد فى بلاد الأفغان.

وعلى الرغم من مرور كل هذه السنوات القاسية على الحرب المدمرة فى بلاد الأفغان، وعلى احتلال أكثر من مائة ألف جندى روسى **لأفغانستان**، يساندون جيش النظام الشيوعى المنهار الحاكم فى كابل، فإن المقاومة الجهادية الأفغانية فى تقدم مستمر، أثبتت للروس وللعالم بأن الجيش الروسى المحتل قد تورط فى عمل عسكرى صعب، وفى مناطق جبلية وعرة صعبة، ضد شعب مسلم متدين صعب المراس، شعب مارس حرب العصابات منذ القديم فى مناطق جبلية قاسية ملساء ذات مدكات مذللة، وممرات موحشة تفر من وحشتها الوحوش، دكت فوق نتوءاتها الحادة ومنحدراتها السحيقة، والتواءاتها العنيفة الآلاف من الفاتحين والغزاة من الآريين والإغريق والمغول والإنجليز. لم يتمكن من تذليلها والمرور عليها إلا الأفغان المسلمون. إنها مصيدة دون شك - إن شاء الله - لهؤلاء الغزاة الجدد الذين تورطوا فيها ولا يعرفون طريق الخروج منها. وقد زاد من يأسهم فى هذا التورط الخطير بسالة جماعات الجهاد الإسلامى الثائرة التى ما زالت تحارب وتقاتل ببسالة نادرة تثير إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء رغم صعوبة تلك المناطق التى تقف فوقها، هى الحاكم المتحكم الوحيد فى هذه الأرض الصعبة، لا تعترف بسلطة إلا بسلطتها الإسلامية الأفغانية، ولا ترضى بحكم إلا بحكم الإسلام الذى ينبثق منه مجلسها القبلى (جركه) فى أكثر أصولها ومبادئها وقيمها التاريخية الضاربة فى القدم، ولا تحارب إلا للإسلام، ولإعلاء كلمة الحق. وذلك كله بعدد قليل جدا من الأسلحة المتوسطة يحصلون عليها غنيمة من غنائم الحرب، أو عن طريق وسائل التهريب المتنوعة المعروفة فى تلك المنطقة منذ القدم، رغم المحاولات المميتة البائسة التى تبذلها الحكومة العميلة فى كابل لإغلاق كل المنافذ والمداخل للوصول إلى

أفغانستان والخروج منها. مائة وعشرون ألـف جنـدى روسـى بالإضافـة إلى مائـة ألف جندى حكومى أفغانى يعنى مائتان وعشرون ألف جنـدى يحـاربون جماعـات الجهاد الإسلامى الموزعة على جميع الأقاليم فى جميـع أنحـاء **أفغانسـتان**، ويحـاولون إغلاق المنافذ فى وجه الجهاد، ومع هذا كله فقد فشلت كل هذه القوات الروسـية الضخمة، والقوات الأفغانية المساندة فى إغلاق المنافذ والمداخل والطـرق مـن وإلى **أفغانستان**، وفـى إخضـاع الثـوار المسـلمين الأفغـان المسـلحين بالأسـلحة الخفيفـة والمتشتتين فـى الكهـوف والمغـارات، والمدكـات والممـرات. وفـى الأوديـة الجبليـة الضيقة، وفوق قمم الجبال الوعرة. وقد برز هذا الفشل الذريـع واضحـا جليـا فـى جميع الأقاليم الأفغانية حتى تلك التى تقع فى مواجهة الجمهوريات الإسلامية التـى تحتلها روسيا حيـث تتعـاظم حركـة الثـوار المسـلمين الأفغـان، وتـتزايد فعـاليتهم، ويتجدد نشاطهم يوما بعد يوم فى جميـع الجهـات السـاخنة بالنـار والدمـار. ومـن الظاهر الجلى، ومن الواضح البين أنه بعد مرور هذه السنوات المريرة القاسـية علـى الاحتلال الروسى **لأفغانستان**، فـإن الجهـاد صـار أفضـل تسـليحا، وأكـثر خـبرة، وأحسن تدريبا، وأكثر ثقة وإيمانا بانتصاره على العدو الروسى المحتـل لأرضـه، لأن المجاهدين أصبحوا بالفعل بفضل الله، ثم بفضـل التسـليح، وخـبرة المعـارك اليوميـة أكثر إقداما وجرأة فى مهاجمة أهدافهم. وثبت واضحا أن ثمة فى **أفغانستان** حركة جهاد إسلامى أصيل. قد انطلقت فعلا وبخالص النية، وقفزت فى الأجواء الأفغانية عالية صافية صادقة مع الدخان المتصاعد من فوهـة البندقيـة البسـيطة المتخلفـة مـن الحرب العالمية الأولى أو الثانية على أكثر تقدير. وذلـك علـى الرغـم مـن الإهمـال المتعمد الذى مارسه الإعلام، وبالأخص الإعلام اليسارى الذى يهيمن على وسائل

الإعلام العالمية. و لم تقفز أخبار **أفغانستان** النضالية وبخاصة أخبار الجهاد الإسلامى المسلح إلى اهتمام الصحافة العالمية إلا بعد الاحتلال العسكرى الروسى المباشر **لأفغانستان**، وبعد أن حمل المجاهدون الأفغان بنادقهم القديمة لمواجهة الصواريخ الروسية المحرقة. والأفغان بارعون بصورة عامة فى استعمال السلاح، وهم مغرمون بحمله ورفعه فى وجه الأعداء. وقد شحذ فيهم الجهاد هذه الصفة، وأضرمها إضراما.

وكان الروس قد بدأوا منذ بداية عام ١٩٧٩م (نهاية عام ١٣٩٩هـ) دعم وجودهم العسكرى فى **أفغانستان** بنقل أعداد كبيرة من الجنود الروس إلى جهات غير معلومة فى البلاد لحماية النظام الشيوعى العميل هناك من أى انقلاب إسلامى بعد تصاعد الثورة الإسلامية فى **أفغانستان**، وفى البلاد المحيطة بها. ويبدو أن الحكومة الأمريكية كانت على علم بهذه التحركات المريبة إلا أنها كانت ترغب فى محاولة جر الروس إلى التدخل المباشر فى الأراضى الأفغانية لأغراض سياسية انتقامية أهمها توتر العلاقات الروسية مع العالم الإسلامى، ومع العالم الثالث، وتورطهم فى عمل عسكرى فى المستنقع الأفغانى ضد شعب مقاتل يعرف كيف يتعامل مع الغزو الأجنبى. ومحاولة جعل **أفغانستان** فيتنام للقوات الروسية.

من يحكم أفغانستان؟ :

رغم مرور هذه السنوات، ورغم انقضاء الزوبعة الأولى على احتلال الجيش الروسى **لأفغانستان** لدعم نظام الحكم الشيوعى الماركسى القائم فى كابل،

وتقويته، أريد أن أثير هذا التساؤل البسيط: من يحكم **أفغانستان** فى هذه الأيام؟.. المقاومة الإسلامية المسلحة، أم القوات الروسية بمساعدة القوات الأفغانية التابعة لنظام كابل العميل؟

تعيش **أفغانستان** اليوم - رغم مرور كل هذه السنوات على احتلالها - تحت نوعين متضاربين متضادين من أنواع السلطة والحكم، كأنهما قد اتفقا على أن يحكم البلاد كل نوع من النوعين المتضادين المتناقضين فى وقت ومكان معينين محددين بدقة وفقا لاتفاق تمت الموافقة عليه، لا يتجاوزان ذلك. قوات المجاهدين المقاتلة وتنظيماتهم الإسلامية والسياسية المتعددة تسيطر مكانيا على المناطق الريفية بقراها الكثيرة، والمناطق الجبلية بقممها العالية المشرفة على السهول، وعلى الطرق الصحراوية بمناطقها الواسعة الشاسعة، تقوم بقصف المدن الرئيسية بما فيها كابل العاصمة وتدكها ليلا ونهارا، وتقوم بقطع الطرق فى وجه الحركة أثناء الليل، وبالإضافة إلى ذلك فإن سلطة المجاهدين الزمنية تبدأ من المغرب وتمتد حتى الصباح حيث ينطلق الثوار المجاهدون الأفغان للسيطرة على جميع أقاليم **أفغانستان** وولاياتها. أما القوات الروسية المدعومة بالقوات الأفغانية التابعة لنظام كابل الشيوعي فإنها تسيطر على المدن الرئيسية بما فيها كابل، وعلى الطرق الإستراتيجية والأودية المكشوفة أثناء النهار، وعلى القواعد العسكرية، والقواعد الجوية، ويتم الاتصال بين تلك المدن والقواعد عن طريق الجو بالطائرات الحربية. وتقوم بمقاتلة هذه القوات الروسية والأفغانية المساندة كافة القبائل الأفغانية الشديدة التدين والمراس، المغرمة بحمل السلاح فى وجه الأعداء، البارعة فى مهاجمة العدو الذى جاء عارضا رمحه، يهدد كيانه، ويبغى فناءه، ويحاول القضاء على عقيدته

الإسلامية، والنيل من وجوده السياسى، واستقلاله الذاتى، وحريته الوطنية. هذا العدو الروسى الذى اجتاح **أفغانستان** بجيوشه الجرارة تريد تغيير عقيدتها الدينية والسياسية وحيادها الإيجابى، هذا العدو هو الذى أرغم القبائل والطوائف الأفغانية على أن ترفع السلاح وتؤيد الثورة الإسلامية دفاعا عن عرين الإسلام فى منازل الأفغان..

أفغانستان بين سلطتى النور والنار:

نور ونار، لعلهما لأول مرة فى تاريخ **أفغانستان** الجريحة يجتمعان على مسرح الأرض الأفغانية، سلطة النور وسلطة النار سلطتان متضادتان متناقضتان تقومان بمقاسمة الحكم والسيطرة على مناطق وأقاليم فى **أفغانستان** من حيث الزمان والمكان.. فالسلطتان النورانية والنارية هما الثورية الإسلامية، والانقلابية الشيوعية كالماء والنار، الالتقاء بينهما مستحيل، ورغم ذلك فإن الظروف والأحوال قد جمعت بينهما على مائدة الحكم فى **أفغانستان**، وكل واحد من النظامين المتناقضين يرفع درجة الاستعداد إلى الدرجة القصوى كل فى نطاق سلطانه وفى منطقة نفوذه ليلا أونهارا، فى الظلام أو فى النور.. الثورة الإسلامية فى **أفغانستان** لا ترى إلا فى الظلام، تبدده بنورها النورانى.. والإسلام نور وثورة بكل المقاييس وبكل الموازين المعروفة فى هذا الشأن، هذه الثورة النورانية هى القضية المطروحة فكريا ومنهجيا، عمليا وتنفيذيا على جميع التنظيمات الجهادية الأفغانية التى ترى فى العودة إلى الإسلام دافعا ثوريا يحطم أصنام النظام الشيوعى الماركسى الإلحادى الكافر فى كابل، وفى غيرها من المراكز الإسلامية.

سلطة الثوار المسلمين الإسلامية يقوم بحمايتها والدفاع عنها هـؤلاء المجاهدون الذين يحاربون قوة عظمـى بالأسـلحة التـى غنموهـا فـى معـاركهم الطاحنـة ضـد الجيش الروسى والأفغانى الذى يسانده، وذلك لتبقى الثورة الإسلامية السـد المنيـع أمام هذا الجيش الغازى تأمينا لجريان التيار الإسلامى فى مجراه الطبيعى. ويسـاندها أيضا النظام القبلى المتمتع بـروح الاستقلالية الأزليـة، الرافـض بقـوة لكـل سيطرة أجنبية، المتمتع بشدة بتسامى العقيدة الإسلامية الراسخة التى تجذب الأفغـان جذبـا إلى معانقة بندقية الجهاد، والوقوف مع المجاهدين البسطاء الأشـداء الذيـن يتمتعـون مثلهم بقوة الشكيمة، وبقوة الإيمان والإرادة القوية، يحاولون جاهدين صادقين مـد أنابيب مشاعر الجهاد، وقنوات المقاومة الإسـلامية إلى جهـات أخـرى فـى الوطـن الإسلامى. الأمر الذى يبشـر بانتصـار سـلطة النـور علـى سـلطة النـار فـى منـازل الأفغان. وبالإضافة إلى ذلك فإن ديناميكية الطبيعة الأفغانيـة المطعمـة بحيويـة الديـن الإسلامى، وبقدرته الفائقة تقف بكل قوة وشدة وراء سلطة الجهاد النضالى الـذى تقـوده القيـادة الإسـلامية بكـل نتوءاتهـا الحـادة، ومنحدراتهـا السـحيقة العميقـة، والتواءاتها العنيفة الشديدة، واختناقاتها الخانقة، وممراتها الضيقة، ووديانها المخيفة، حروب ليلية شرسة قاسـية، وحـروب نهاريـة دمويـة مـن جـانب الثـوار المسـلمين أصحاب السلطة النورانية الإسلامية، الذيـن ينطلقـون فـى الظـلام وفـى النـور مـن مواقعهم الحصينة فى الجبال والكهوف والمغارات لمواجهة الأعداء أصحـاب سـلطة النار والدمار، حيث إن هؤلاء المناضلين لا يـرون إلا فـى نـور الظـلام، إن الظـلام الدامس الحالك نور لامع مضئ عند هؤلاء الناس من المجاهدين.

أما سلطة الروس فـى كـابل الغارقـة فـى أوحـال **أفغانسـتان** الإسـلامية حتـى الأذنين فإنها تستند فى حكمها واحتلالها **لأفغانستان** إلى:

أولا- النظام الأفغانى الماركسـى العميـل الـذى نصبـوه فـى العاصمـة الأفغانيـة كابل، هذه السلطة النارية الدمارية الروسية تحكم قبضتها بمساندة النظام الشـيوعى فى كابل على المدن الرئيسية الكبيرة، والطرق الإستراتيجية العامة نهارا، وفـى نـور الشمس، وفى وضح النهار، وتقوم بمطاردة الثوار المسلمين الأفغـان، إن هـم قـاموا بعملياتهم الانتحارية نهارا، وقلما يحصل ذلك. ونقطة الانطلاق الزمنية عند الروس ومن يساندهم من العملاء والأعوان فى العاصمة كابل من صبـاح كـل يـوم حتـى قبيل المغرب، تساندهم فى مطـاردة الثـوار المسـلمين ١٨٠ طـائرة مقاتلـة، و٢٧٠ طائرة هليوكوبتر، و٢٠٠٠ دبابة، و٣٠٠٠ عربـة مدرعـة، وغيرهـا مـن الأسـلحة الروسية الفتاكة كراجمات الصواريخ والمدافع البعيدة المدى.

ثانيا- تستند كذلك فى حربها ضد الشعب الأفغانى إلى عدم التغطية الإعلاميـة الكاملة، وإلى الإهمال العجيب لكل الأنباء والأخبار الخاصة بحركة الجهاد البطولى المسلح الذى يقوده الشعب الأفغانى المسلم ضد قوات الاحتـلال الروسـية، وذلـك لسببين رئيسيين اثنين، السـبب الأول.. استخفاف وسـائل الإعـلام العالميـة بقـدرة الشعب الأفغانى الصغير على مواجهة قوة عظمى لدولة كـبرى كروسـيا الشـيوعية التى تدور فى فلكها دول وشعوب الكتلـة الشـرقية الشـيوعية والاشـتراكية وأكـثر دول العالم الثالث. هذه الوسائل الإعلامية العالمية لم تكن تصدق أن يقف الشـعب الأفغانى الصغير أمام هذه القوات صامدا لهذه السـنوات الطويلـة. والسـبب الثـانى لهذا الإهمال العجيب هو هيمنة اليسار الشيوعى تحـت سـتار الاشـتراكية وسياسـة

الحياد الإيجابى على وسائل الإعلام العالمية فى جميع أنحاء العالم، فعمدت إلى هذا الإهمال الفاحش، وقصدته قصدا تنفيذا للسياسة التى تعمل بها وتسير عليها الشيوعية العالمية فى إهمال أخبار أحداث العالم الإسلامى المغلوب على أمره، الموزع بين أنياب الشيوعية والاشتراكية والإمبريالية الغربية.

ثالثا- سلطة الروس تستند كذلك إلى الإمبريالية الأمريكية التى عانت وتعانى من ألاعيبها الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية، وشعوب العالم الثالث عامة. كانت روسيا الشيوعية متأكدة تمام التأكد من أن الدول الإسلامية لن تحرك ساكنا عند غزوها العسكرى المباشر **لأفغانستان** البلد الإسلامى المحايد. وقد كان هذا الاعتقاد الروسى فى محله.. حيث إن كثيرا من الدول الإسلامية قامت بتأييد هذا التدخل الروسى السافر بدلا من التنديد به، وباركته بدلا من معارضته، وضربت بذلك أمانى الشعوب الإسلامية وآمالها فى مساعدة الجهاد الأفغانى المسلح عرض الحائط، نظرا لفقدان الثقة بالسياسة الأمريكية فيما يتعلق بالتدخلات الروسية فى الدول الإسلامية وفى غيرها من دول العالم، بدليل تركها فيتنام نهبا للدب الروسى المفترس لينهشها نهشا بأنيابه الحادة، كما تركت فلسطين نهشا للصهيونية،ولبنان وقودا للحرب الأهلية.

رابعا- قوات السلطة الروسية فى كابل تستند فى حربها - ضد فصائل الجهاد الأفغانية المسلحة بقوة الإيمان الراسخ، وفى مواجهة هذه الترسانة الإيمانية - إلى الترسانة الروسية التى يساندها نظام كابل العميل بكل ما لديه من الجيش والميليشيات المسلحة، وعلى حدودها الطويلة مع **أفغانستان**، والتى تقدر بـ١٤٨١ ميلا، تساعدهم فى وصول إمدادات عسكرية جديدة عند الضرورة. واستغلت فى

عمليات فى وادى كونر فى ربيع ١٩٨٥م

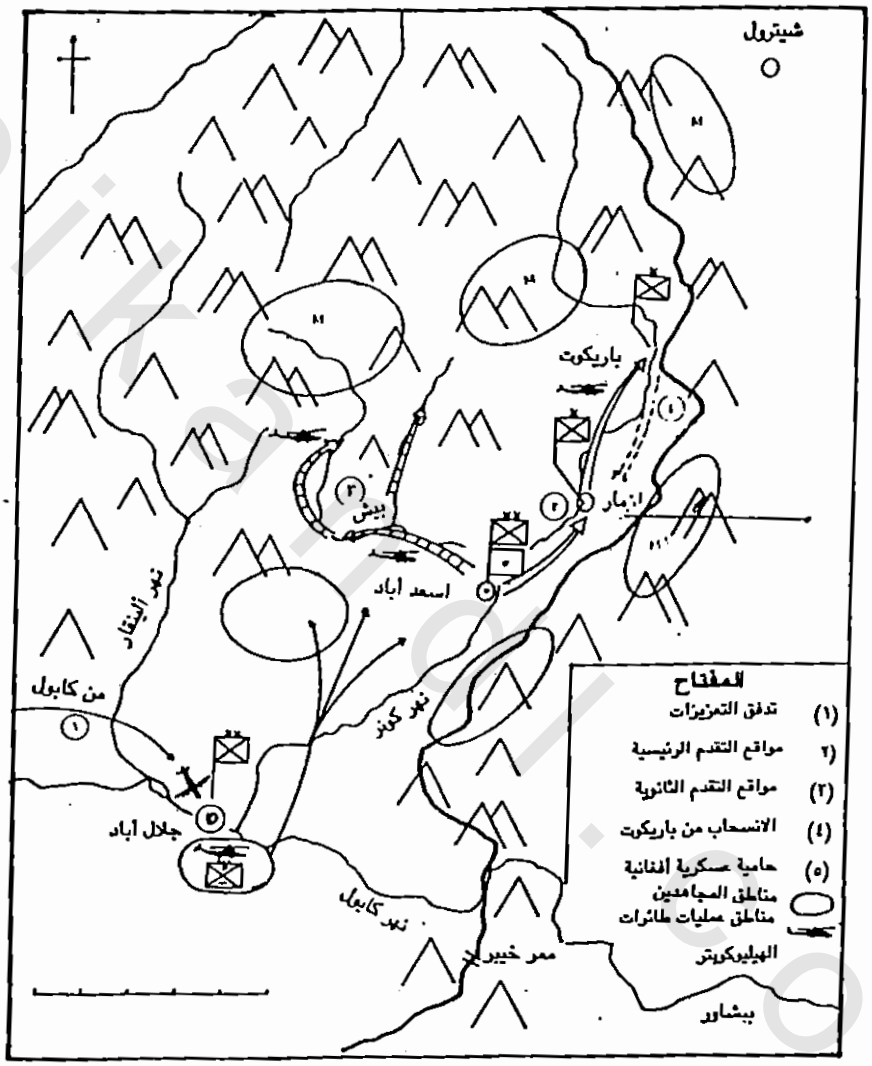

كل ذلك الخط الإستراتيجى القائم على العلاقات القديمة بين **أفغانستان** وروسيا، والتى تميزت بالود والتعاون الظاهرى منذ قيام الثورة الشيوعية فى روسيا ١٩١٧م (١٣٣٥هـ).

قوات الاحتلال الروسية فى المصيدة الأفغانية:

سقطت روسيا الشيوعية فى المصيدة الأفغانية بزعامة الشيوعى الأفغانى " بـبرك كارمل " بناء على عوامل كثيرة متعددة المسالك، متنوعة الأهداف والأغراض، أهمها ما يأتى:

العامل الأول: هو ذلك الخط الإستراتيجى الذى حاول الروس استغلاله لحماية النظام الشيوعى الماركسى فى كابل بزعامة العميل الروسى " كارمل " وهو الخط القائم على العلاقات القديمة القائمة بين **أفغانستان** الإسلامية وروسيا الشيوعية، تلك التى كانت مبنية فى الظاهر على حسن الجوار، والاحترام المتبادل، والتفاهم، والاعتماد على حسن الجوار، والتعاون، والثقة المتبادلة بين الدولتين المتجاورتين من أيام الملك الأفغانى أمان الله خان، ومنذ أن قامت الثورة الشيوعية فى روسيا عام ١٩١٧م (١٣٣٥هـ)، وكان الملك أمان الله خان أول زعيم أجنبى يزور موسكو لتقديم التهانئ بقيام الثورة الروسية، وسرعان ما ترجمت هذه الزيارة بتوقيع معاهدة صداقة بين **أفغانستان** الملكية وروسيا الشيوعية. ومنذ ذلك التاريخ كان النفوذ الروسى فى ظل الحكومات الأفغانية فى العصور الملكية والجمهورية والشيوعية المتعاقبة ملحوظا، ومتزايدا عبر القنوات الخاصة بالمساعدات العسكرية والاقتصادية والثقافية، وفى فروع النشاطات المختلفة، وذلك لبناء الفكر الماركسى

والأيديولوجية الشيوعية تحت غطاء تلك المساعدات وقد تمكنت روسيا بذلك من تأسيس تنظيمات شيوعية أفغانية، وتربية عناصرها تحت الأرض إلى أن ظهرت على السطح فى أواخر عام ١٩٧٩م (١٤٠٠هـ) عندما احتلت **أفغانستان**.وبفضل تلك المساعدات أصبحت المؤسسات الاقتصادية والعسكرية والتعليمية تحت سيطرة الروس الذين تدفقوا على البلاد الأفغانية منذ أيام الملك السابق محمد ظاهر شاه، ثم فى أيام الرئيس الأحمر محمد داود الذى مهد الطريق للتدخل الروسى الأحمر. ثم اتسعت رقعة الأحداث الدرامية الدامية التى قامت بجر الجيش الروسى إلى الوقوع فى المصيدة الأفغانية، وإلى الدخول فى العمليات الحربية الصعبة فى جبال تخت سليمان، والهندوكش وبامير العالية دفاعا عن النظام الماركسى فى كابل وتثبيتا له فى الأرض الأفغانية، ذلك النظام المتعفن الذى نصبه الروس فى كابل ووضعوا على رأسه دميتهم الدنيئة ببرك كارمل. ومهما يكن الأمر فإن الروس قد سقطوا فى هذه المصيدة، وأحدثوا أمرا واقعا وهو محاولة انضواء **أفغانستان** البلد الإسلامى المستقل المحايد تحت السيطرة العسكرية والسياسية الروسية من ناحية، وتصاعد المقاومة الجهادية الأفغانية محدودة القدرة العسكرية، ومحدودة التسليح والتمويل من ناحية أخرى. أحدثوا ذلك وفرضوه رغم تصاعد موجة الاحتجاج الدولى والإسلامى الذى ظهر واضحا فى قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة، وفى المؤتمرات الإسلامية، وفى اجتماعات دول العالم الثالث. فهل يمكن يا ترى أن يرغم كل ذلك روسيا الشيوعية على الانسحاب من **أفغانستان**، والنجاة من المصيدة الأفغانية التى سقطت فيها بقيادة الرفيق كارمل رغبة فى الاستفادة من الخط الإستراتيجى القائم على العلاقات القائمة بين كل من **أفغانستان** الإسلامية

وروسيا الشيوعية؟ إن الحرب القاسية الضارية الدائرة بين المقاتلين الأفغان وبين الجيش الروسى الذى يسانده الجيش الأفغانى الحكومى منذ عدة سنوات يصعب القول بأن أحدا من الطرفين المحاربين قادر على فرض حل عسكرى فاصل لهذه الأزمة الأفغانية المعقدة. إن القوة العسكرية وحدها لن تحسم الصراع المرير فى **أفغانستان** وبالتالى فإن الاعتماد على هذا العامل يشبه الاعتماد على السراب، وإن كان قد جر الروس إلى الوحل الأفغانى والسقوط فى المصيدة الأفغانية.

العامل الثانى: إن العامل الثانى فى الإستراتيجية الروسية تجاه القضية الأفغانية، هو ذلك الخط القائم على العلاقات الروسية الأمريكية من ناحية، وعلى سياسة توازن القوى الدولية بين المعسكرين المتنافسين الرأسمالى والاشتراكى من ناحية أخرى. وأعتقد أن هذا الخط سيفرض نفسه فرضا على أية محاولة لتسوية الأزمة الأفغانية التى وقعت روسيا فى مصيدتها المعقدة. لذلك يجب الحذر الشديد فى النظر إلى الأوضاع فى **أفغانستان**، وإلى قضيتها التى خلفها التدخل الروسى فى ضوء العلاقات المعقدة بين المعسكرين الشرقى والغربى. ومما لاشك فيه أن أحد أسباب هذا الاحتلال والتدخل الروسى فى **أفغانستان** هو تعثر سياسة التقارب والوفاق بين القوتين العظميين، وظهور التناقض الإستراتيجى، والتضاد المصلحى، والتنافس الشديد على كسب مناطق النفوذ بينهما فى جميع أنحاء العالم، وهذا الأمر هو الذى شجع التصلب الشديد فى علاقاتهما، وفى نظرتهما إلى دول العالم الثالث، وبدأت كل قوة من القوتين العظميين وفى تنافس وسباق شديدين بنشر النفوذ وحماية المصالح والمنافع وتلبية الرغبات الاستعمارية على الشعوب الأخرى وفى ظل هذا السباق الاستعمارى الخطير جاء احتلال **أفغانستان** وبالتالى سقوط

روسيا فى المصيدة الأفغانية التى تستنزف قواها العسكرية والاقتصادية والبشرية، وتلوث سمعتها السياسية والعالمية التى كانت تتمتع بشهرة طيبة بين دول العالم الثالث وشعوبها التى كانت تعتقد خطأ بأن روسيا نصيرة الشعوب المستضعفة فى العالم، وتساعدها فى التخلص من الاستعباد والاستعمار والاستغلال.

بعد أن تم التورط الروسى فى المستنقع الأفغانى، وانغرزت رجل روسيا فى الأوحال الأفغانية، واتسع مداه إلى هذا الحجم الهائل، وبالوسائل المباشرة، وبعد أن أصبح الروس طرفا أصيلا فى القضية الأفغانية، وخاصة بعد تدخلها العسكرى المباشر لحماية النظام الماركسى فى كابل، وبعد أن توطدت أقدام السلطة الروسية فى كابل بفضل الدعم الأفغانى الشيوعى العميل لهذه السلطة الدخيلة، وكذلك بعد أن زاد واتسع جهاد المقاومة الإسلامية الأفغانية فى جميع أنحاء **أفغانستان** وقويت كفاءة المجاهدين القتالية والحربية، ونال اعجاب العالم كله، وكذلك بعد انجذاب أطراف وقوى خارجية إلى لهيب لعبة الحريق الأممية فى أتون المصيدة النارية الأفغانية، بعد كل ذلك كيف يمكن للروس أن يخرجوا من هذا المأزق الأفغانى؟! وبالتالى كيف يمكن التحدث عن إمكانيات التسوية للأزمة الأفغانية المعقدة؟! إن الحرب بين المقاومة الأفغانية والقوات الروسية فى تصاعد خطير ومستمر يوما بعد يوم، وتزداد مصيدة الحرب الأفغانية نارا وأوارا، ورغم ذلك فإن الحديث عن التسوية السلمية يتصاعد يوما بعد يوم، تذاع من كابل وموسكو كل يوم تعليقات وتصريحات تطالب بوقف الحرب ووضع الحد، وإيجاد الحل للأزمة الأفغانية وفقا لشروط تمليها كابل على موسكو، فتذيعها كابل وموسكو، كما نسمع فى الوقت نفسه آراء وتصريحات مضادة يذيعها قادة الجهاد الأفغانى، تعلن شروطا مضادة

بغرض إنهاء الحرب، وإحلال السلام فى منازل الأفغان، وإقامة نظام إسلامى وفقا لإرادة الشعب الأفغانى المسلم، ودون ضغوط خارجية. فهل يجوز لنا أن نقيم هذه التصريحات لكابل وموسكو الخاصة بالتسوية السلمية للأزمة الأفغانية دليلا على أن الروس يحاولون الخروج من المأزق الأفغانى، والخلاص من المصيدة الأفغانية العنكبوتية التى سقطوا فيها بقيادة دميتهم الأفغانية ببرك كارمل؟ أعتقد ذلك ولكن ليس بهذه السهولة التى تصورها التصريحات الروسية فى كل من كابل وموسكو، ذلك لأن الثورة الإسلامية فى كل من **أفغانستان**، وباكستان قد تركت رجع صدى فى العالم الإسلامى بكونها ثورة إسلامية نبعت من الشعب، قائمة على عواطف الشعب الإسلامية ليس فى إمكان النظم المدعومة بالمساندة الخارجية الوقوف أمامها، مهما كانت قوية بالاستبداد والبطش، وبالنار والحديد ليس فى مقدور مثل هذه النظم المستندة إلى غير نفسها أن تقوم بإخماد ثورة المسلمين، أو أن تقف فى سبيلها. ومن هنا نرى المسئولين فى موسكو وعملاءهم فى كابل فى قلق شديد بسبب النضالية الدينية المتصاعدة فى **أفغانستان**، تلك النضالية التى استطاعت بنضالها المتصاعد أن تفرض نفسها بمعالم بطولية بارزة اعترف بها الروس وأعوانهم فى كابل، ودخلت فى طور اليقظة الدينية والسياسية والفكرية والقتالية دوخت كلا من كابل وموسكو. هذا كله صحيح وثابت معترف به لدى الجميع، ولكن العدو الذى دخل البلاد الأفغانية بكل قواه العسكرية وبكل ثقله السياسى لن يرضى بالاستسلام بهذه السهولة التى تصورها تصريحات كابل، وتعليقات موسكو، ومطالبتهما بوقف الحرب وإحلال السلام فى ربوع **أفغانستان**.. روسيا إحدى الدولتين العظميين فى هذا العالم! ولها مكانتها العالمية، والمقاومة الأفغانية

كونت لها مكانتها العالمية النضالية، إلا أن هنـاك فرقـا بـين المكـانتين، والموقفـين.. موقف قوة عظمى ضد موقف قوة صغرى.

نعم، باتت روسيا متأكدة أنه لا يمكن كسب الحرب، والخـلاص مـن المصيـدة الأفغانية بقوة السلاح. وتأكد لها أن المقاومة الجهادية قـادرة بـأن تضـرب وتدمـر، وأن تضر وتنفع، وأن تثير وتثأر، وأثبتت أن تدخل الجيش الروسـى فـى **أفغانسـتان** لن يكون نزهة فى سهول هندوكش، وعلى سواحل أنهار لغمان ونجرهار وكونر أو على ضفاف أنهار كابل وهلمند وهريرود، لـن يكـون هـذا التدخـل نزهـة فـى ربوع **أفغانستان**، بدأ الروس يفكرون بجديـة أو بغـير جديـة، ويعلنـون اسـتعدادهم للانسحاب من **أفغانستان** تلميحا أو تصريحا بشرط تأمين سلامة النظام الماركسـى فى كابل. وهى راغبة فى الخلاص من تورطها فى أوحال المستنقعات الأفغانية مـع الاحتفـاظ بماء الوجـه. هـذا هـو موقـف الجـانب الروسـى المتـورط فـى المسـتنقع الأفغانى، وفيه اعتراف صريح بأنه لا يمكن كسب الحـرب الأفغانيـة بقـوة السـلاح لدولة من الدول العظمى. وعلى الجانب الآخر فإن المجاهدين يحاربون هـذه الدولـة العظمى، ولا يمكنهم ذلك إلا بدعم الموقف وتوحيد الصف، وتقوية المصيـدة التـى ورطهم فيها رفيقهم كارمل، ورغـم أنهـم أثبتـوا جدارتهـم علـى ضعـف التسـليح والتدريب، وتمكنوا من أن يدهشوا العالم كله بقتالهم الشرس وبـإصرارهم الصلـب مع تشتتهم وتفرقهم، حيث إن كل فصيلة من فصائلهم تحمل السلاح وتقـاتل فـى إطارها المحدد، رغم كل ذلك فإنهم ليس فى إمكانهم الفوز بـالنصر الحاسـم علـى عدوهم الذى هو أقوى منهم تسليحا وتدريبا، ووحدة وتماسكا.

إن روح الفرقة والتشرذم بين التنظيمات الأفغانية الجهادية يشكل السلبية الصلبة التى لا يمكن التغلب عليها، والتى تسيطر على حركة المقاومة الأفغانية، بعكس الجيش الروسى المتماسك الذى يسير تحت قيادة عسكرية واحدة، وليس تحت قيادات سبعة غير متماسكة. والصورة الخارجية للمقاومة الأفغانية على عكس الصورة الخارجية للقوات الروسية الغازية. ورغم أن المقاومة الأفغانية انطلقت أساسا من أرضية دينية واحدة، وضد عدو واحد، ولتحقيق غرض واحد، إلا أن الحرب الجهادية الجارية مازالت قبلية الأساس والمنهج، وطائفية الشكل والحركة، وإذا ما أرادت المقاومة الاستمرار والدوام، وأرادت النصر والانتصار فإنها دون شك فى حاجة ماسة إلى توحيد قواها المتشتتة، وتوحيد تنظيماتها المتعددة فى إطار إسلامى واحد يعتمد على وحدة الأساس والشكل والحركة، ووحدة المسير، والمصير، والمقصد، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بانصهار كل هذه التنظيمات المتنافرة الشكل والحركة، وتذويبها فى اتحاد أوسع تحكمه قيادة واحدة تعمل بالجهاد للجهاد، وفى ظل الإسلام للإسلام، وتمثل أبعاد المقاومة السياسية والعسكرية، وهذا أبسط شرط لاستمرار المقاومة الإسلامية، وانتصارها على اليسار الشيوعى فى كابل، وعلى القوات الروسية التى تسانده.